

الفائز بالجائزة الثالثة في التأليف

الإمام الرضا عليه السلام

بين نصوص الرسالة وسلطة الرأي والقبيلة

عادل عبد الرحمن البدري



الإمام الرضا عليه السلام

بين نصوص الرسالة و سلطة الرأي و القبيلة



تأليف

عادل عبدالرحمن البدري

بدري، عادل عبدالرحمن، ١٩٥٦ ـ م.
الإمام الرضا(ع) بين نصوص الرسالة و سلطة الرأي والقبيلة / عادل عبدالرحمن البدري. ـ مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٣٠ق. = ١٣٨٨ش.
٢٧٠ص.
ISBN 978-964-971-326-7
فهرست‌نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي
كتابنامه: ص. ٢١٥.
١. علي بن موسي(ع)، امام هشتم، ١٥٣؟ ـ ٢٠٣ق. ـ ولايتعهدي. ٢. علي بن موسي(ع)، امام هشتم، ١٥٣؟ ـ ٢٠٣ق. ـ سياست و حكومت. الف. بنياد پژوهشهاي اسلامي. ب. عنوان.
١٣٨٨ الف ٣٧ب / ٦٣ / ٣٥ DS
٩٠٩/٠٩٧٦٧١
كتابخانهٔ ملی ايران
١٨٥٥٨١٧



الامام الرضا عليه السلام

بين نصوص الرسالة و سلطة الرأي والقبيلة

عادل عبدالرحمن البدري

الطبعة الاولى: ١٤٣١ق / ١٣٨٩ش
١٥٠٠ نسخة ـ وزيري / الثمن: ٣٦٥٠٠ ريال
الطباعة: مؤسسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم)٧٧٣٣٠٢٩
شركة بەنشر، (مشهد) الهاتف ٧-٨٥١١١٣٦، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠

www.islamic-rf.ir E-mail: info@islamic-rf.ir

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على نبيّنا المصطفى وعلى آله الطاهرين...

كانت القبيلة في التاريخ القديم والوسيط وحتّى في تاريخ العصور الحديثة بمثابة وحدة سياسية واجتماعيّة تعبّر بالضرورة عن كيان أُمّة ودولة، حسب مقاييس تلك الأزمنة، وكانت تحكم هذه الوحدة، و ما زالت إلى حدّ ما؛ رابطة الدم والمصالح المشتركة، فقيام مجموعة أفراد بالتعايش ضمن بقعة جغرافيّة محدودة يعني قيام دولة و أُمّة في آن واحد ضمن سياقها التاريخي، وما كان لهم من مجلس قيادة أو رئيس يتعارفون عنده على تمشية القواعد والعلاقات و الروابط بينهم بمثابة الحكومة أو الدولة أو القانون الذي ينظّم أُمورهم، و كانت البطون و الأفخاذ التي عرفت في تاريخ العرب بمثابة رئيس أو قائد يسمّى: زعيم

القبيلة، أو شيخها، أو رئيسها، على التقريب والمشابهة.

وعرف عرب الجزيرة العربيّة كرئيس و زعيم قويّ له سلطة الملـوك و هيبتهم، أشار له المؤرّخون و أذعنوا له في التاريخ السياسي للعـرب، هـو قصيّ بن كلاب جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله. و يعدّ هذا أوّل رئيس في قريش استطاع أن يثبّت الأمن في مكّة و ينظّم شؤونها، وعمل على أن يثبّت الملك فـي عقبه، و قسّم الوظائف و الواجبات على أولاده. ولمّا ظهر الإسلام كانـت أُمور مكّة في يد قريش، و لها وحدها حقّ الإشراف علـى المدينـة حتّـى عرف سكّانها بآل قصي. و كان أحـدهم إذا استغاث أو استنجد بأحـد صاح: ياقصي[1] و ذلك كناية عن رئيسهم التاريخي قصيّ بن كلاب جـامع قريش و باني مكّة و مدبّر شـؤونها، و باعـث نهضـتها فـي بـلاد العـرب جميعا. بحيث صارت قريش قبلة الملايين مـن البشـر. و أجـرى الخيـر والبركة على قبيلة قريش بما حقّق أولاده من منافع و مكاسب كبيرة لهم.

و أكبر مكسب حقّقته قريش هو عقد الإيلاف الذي أشار لـه القـرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ* إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**[2] و الذي كان ببركة هاشم جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله حيث خرجـت قـريش بتجارتهـا خـارج شبه الجزيرة العربيّة، و كـان هـذا العقـد بعـد أن قامـت قـريش بتوطيـد علاقاتها بالقبائل العربيّة الضاربة على جنبات الطرق التجاريّة لتضمن أمن مكّة الاقتصادي و مرور القوافل التجاريّـة بسـلام حيـث تعقـد الأسـواق التجار يّة، و كان من مصـلحة القبائـل أن توثّـق علاقاتهـا بقـريش إذ أنّ مصالحها مرتبطة بمصالح مكّة، فرخاء مكّة يعني، رخاءها و خسارة مكّـة

---

[1]- قصيّ الحسين، **موسوعة الحضارة العربيّة**، العصر الجاهلي ص٢٨٦.

[2]- قريش/١-٤.

هي خسارتها، فضلاً عن أنّها ترتـاد مكّـة لأغـراض الحـجّ و التجـارة[١] و الإيلاف - حسب ما تروي المصادر الإسلاميّة - لم يقم في رأي محمّـد بن حبيب حتّى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر.

و اسم هاشم يومئذٍ عمرو، فكان يذبح كلّ يوم شاة فيصنع جفنة ثريـد و يدعو من حوله فيأكلون، و كان هاشـم فيمـا يزعمـون أحسـن النـاس عصباً و أجمله. فذكر لقيصر و قيل: ههنا رجل من قـريش يهشـم الخبـز ثمّ يصبّ عليه المرق و يفرغ عليه اللحم، و إنّمـا كانـت الأعـاجم تضـع المرق في الصّحاف ثمّ تأتدم الخبز فلذلك سمّي عمرو: هاشما.و بلغ ذلك قيصر فدعا به فلمّا رآه و كلّمه أُعجب به، و كان يرسل إليه فيدخل عليه، فلمّا رأى مكانه منه قال له هاشم : أيّها الملك، إنّ لي قومـاً و هـم تجّـار العرب، فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمّنهم و تؤمّن تجاراتهم فيقـدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز و ثيابه فيكونوا يبيعونه عنـدكم، فهـو أرخص عليكم، فكتب له كتابا بأمان من أتى مـنهم، فأقبـل هاشـم بـذلك الكتاب فجعل كلّما مرّ بحيٍّ من العرب بطريق الشام أخـذ مـن أشـرافهم إيلافا.

و الإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف، و إنّمـا هـو أمـان الناس، و على أنّ قريشاً تحمل لهم بضائع فيكفونهم حملانها، و يـردّون إليهم رأس مالهم و ربحهم، فأخذ هاشم الإيلاف ممّن بينه و بـين الشـام حتّى قدم مكّة، فأتاهم بأعظم شيءٍ أتـوا بـه، فخرجـوا بتجـارة عظيمـة، وخرج هاشم يجوزهم و يوفّيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب حتّـى ورد بهم الشام و أحلّهم قراها، فمات في ذلك السـفر بغـزّة مـن الشـام و

---

[١]- خضير عبّاس الجميلي، **قريش و أثرها في الحياة العربيّـة قبـل الإسـلام**، المجمـع العلمـي العراقي ص٧٣.

حلّ إيلاف المشكلات التي لم تستطع أحلاف مكّة القبليّة أن تحلّها على طريق تجارة قريش[١].

و هذا المجد و الشرف الذي تحقّق لقريش من قصيّ و هاشم كان ينبغي أن تعرف قدره بطون قريش، و كان ينبغي لهم تقديم فروض الولاء و آيات الشكر لحفيد قصيّ و هاشم: محمد المصطفى صلى الله عليه وآله الذي جاء منقذاً و هادياً لهم و لغيرهم، إلا أنّ الغرور والصلف صيّر بطون قريش رمزاً للتآمر و الفتن على هذا الشخص العظيم الذي يتّصل معهم برحم و قربى و شيجة؛ بل سرت مكابرتهم و سطوتهم الجاهليّة إلى أعقابهم ليتوارثوا الكيد و التآمر على ذرّيّة هذا النبيّ المبارك. و ظهرت هذه المصائب جرّاء العصبيّة الجاهليّة و العنجهيّة من عهده صلى الله عليه وآله إلى قيام الدولتين الأُمويّة و العبّاسيّة، و ما قامت هاتان الدولتان إلا باسمه و بذريعته و بحجّة الانتساب و الانتماء القرشي، والذي هو و أولاده يشكّلون عماد النسب القرشيّ و أصله. فلقيت سلالته و عترته عليهم السلام صنوف العذاب و التنكيل على يد سلاطين قريش وحكّامها، كلاً حسب عصره، كما لقي جدّهم صلى الله عليه وآله نفسه ذلك منهم.

ويروي نصر بن مزاحم المنقري: أنّ الإمام عليّ عليه السلام قد عرّض بعصبيّة قريش الجاهليّة و سفّه طغاتها حين كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يذكّره بأصل العداوة و العنجهيّة قائلا له : «فأراد قومنا قتل نبيّنا، و اجتياح أصلنا، و همّوا بنا الهموم، و فعلوا بنا الأفاعيل و منعونا الميرة، و أمسكوا عنّا العذْب، و أحلسونا الخوف، و جعلوا علينا الأرصاد و العيون، واضطرّونا إلى جبل وعر، و أوقدوا لنا نار الحرب، و كتبوا علينا بينهم

---

[١]- فكتور سحّاب، **إيلاف قريش، رحلة الشتاء و الصيف**، المركز الثقافيّ العربيّ بيروت ص٢٠٥، ٣١٩.

كتاباً: لا يواكلوننا ولا يشاربوننا، ولا يناكحوننا ولا يبايعوننا، ولا نأمن فيهم حتّى ندفع إليهم محمّداًﷺ فيقتلوه و يمثّلوا به، فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه و الذبّ عن حوزته و الرّمّيّا من وراء جمرته، و القيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف بالليل و النهار، فمؤمننا يرجو بذلك الثواب، و كافرنا يحامي به عن الأصل و قال عليه السلام»[1]. وفي حديث له مع يهودي: «يا أخا اليهود، فإنّ قريشاً و العرب تجمّعت و عقدت بينها عقداً و ميثاقاً ألا ترجع من وجوهها حتّى تقتل رسول اللهﷺ و تقتلنا معه معاشر بني عبد المطّلب[2].

و الحقيقة أنّ كلّ بطون قريش كانت مجمعة على أنّ النبوّة الهاشميّة قد هزّت هزّاً عنيفاً الصيغة السياسيّة التي كانت قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل المكّيّة، و كلّ البطون رفضت هذه النبوّة الهاشميّة باستثناء بني المطّلب ابن عبد مناف حيث وقفوا مع الهاشميّين، لكن أكثر البطون رفضاً و اندفاعاً لوقف الزحف الهاشميّ و الحيلولة بين الهاشميّين للملك و النبوّة هم بنو أُميّة، و ذلك لعدّة أسباب: أوّلها ـ ماض طويل من الشحناء و العداوة و الحسد لبني هاشم حتّى قبل الإسلام. ثانيهاـ بسبب النبوّة الهاشميّة فقد الأمويّون القيادة. ثالثها ـ الهاشميّون قتلوا سادات بني أُميّة، فعتبة و الوليد وشيبة؛ قتلهم حمزة و عليّ و عبيد الله، فالأمويّون لا يكرهون الهاشميّين فحسب، بل يحقدون عليهم. و هند أُمّ معاوية و زوجة أبي سفيان عكست مقدار هذا الحقد، فهي لم تكتف بقتل حمزة، إنّما مثّلت بجثمانه الطاهر. ولكن مع انتصار النبوّة و شمول نور الإسلام و تأخّر الأمويّين عن دخوله، و ذكريات باعهم الطويلة في

---

[1]- **وقعة صفّين**، بتحقيق الدكتور عبد السلام محمّد هارون ص٨٩ ، **بحار الأنوار** ٣٣: ١١١.

[2]- الاختصاص للشيخ المفيدص١٦٦.

محاربته فإنّه يتعذّر عليهم الجهر و المناداة علناً بمنع الهاشميّين في أن يجمعوا مع النبوّة المُلك[١] فكان تاريخ المسلمين مؤامرات و انقلابات و دموع و دماء سالت بتحريك قبليّ ليمنع الخطّ الرساليّ الذي كان يقوده آل البيت عليهم السلام من أن يمسك زمام الأمور.

و من هنا نشأت في تاريخ المسلمين حركتان: الحركة الأولى: و هي حركة مبدئيّة تضع الرسالة وأهدافها غاية و مبتغىً لها، و قد مثّلها أهل البيت عليهم السلام ومَن أحبّهم و وقف معهم في هذا الدرب. و الثانية: و هي حركة سياسيّة ترنو إلى السيطرة على نظام الحكم و التصرّف بأُمور المسلمين تحت مسمّيات مختلفة: الخلافة، أو الحكومة، أو السلطة. و هذه الحركة تعتبر الحكومة أو السلطة هي غاية لِذاتها، فسواء كانت هذه الحركة اتّخذت اسم الدين أو القبيلة أو أيّ اسم آخر، فهي لا تعدو بحركتها غير السلطة و التشبّث بها لتحقيق أغراضها و امتطاء الشهوات و تحقيق المآرب، و كانت هذه الحركة في قوّتها عند مقتل عثمان بن عفّان ثالث الخلفاء، و مثّل أعلامها : معاوية بن أبي سفيان، و مروان بن الحكم و، عبدالله بن كريز و جمع من قبيلهم، ومن أحبّهم واعتقد بهم و اندفع معهم في هذا الاتّجاه، أو حالفهم وانتظر قيام دولتهم باعتبارها كتلة قرشيّة أُمويّة، أمّا طلحة و الزبير و من وقف معهما فمثّلا كتلة قرشيّة أُخرى مستقلّة عن الأُمويّين لها رؤيتها الخاصّة، و أمّا كتلة الثائرين على عثمان بن عفّان فهي كتلة سياسيّة خارجة عن التأثير القرشيّ أو الحزب القرشي، ولكن تحريكات الكتل القرشيّة كانت مؤثّرة في دفع هذه الكتلة و زجّها في معركة فاصلة مع عثمان لتحسم الأمر لحسابها، أو أنّ الأمر لا يخرج عن إرادتها، أو تمهّد الطريق لها على

١- المحامي أحمد حسين يعقوب، **نظريّة عدالة الصحابة** ص٨٧ .

الأقلّ. و لم يكن الثائرون على عثمان سوى دُمى تحرّكها القوى و الكتل القرشيّة. و قد كانت الكتلة أو الكتل القرشيّة تلعب دوراً كبيراً في مجريات الأحداث قبل مقتل عثمان، بل من اليوم الأوّل لرحيل النبيّ صلى الله عليه وآله.

و على العموم كانت الجزيرة العربيّة مليئة بقبائل عربيّة لها مجدها وعزّها و لها هيمنتها في أرض الجزيرة طبقاً لمساحة و حجم هذه القبائل، و لذا لم يكن مستساغاً أو مقبولاً لدى هذه القبائل أن تبتلعها الكتلة القرشيّة، و هذا الكمّ الهائل من القبائل كان لها شأن. و هذه القبائل قد «استجاب أكثرها لدعوة الله عزّ وجلّ طوعاً و تصديقاً بالنبوّة الخاتمة، و هي قد وطّنت نفسها على الالتزام بقيم الإسلام الحنيف و تشريعاته دون أن تجد حرجًا ممّا يقضي الله و رسوله صلى الله عليه وآله في مختلف شؤون الحياة، و هي إنّما سلّمت لرسول الله صلى الله عليه وآله لا لكونه رجلاً من بني هاشم أو من قريش أو من بلاد العرب، و إنّما سلّمت له باعتباره نبيّ الله المرسل بالرسالة الإلهيّة الخاتمة، فإنّ المنطق القبليّ يشعر القبائل بخطر المصادرة لوجودها ويتحدى قيمها[1]». لكن الأحداث و دهاء القرشيّين أبعدا أو جمّدا التأثير القبليّ في فترة الخلافة الراشديّة، و بقي تأثير قريش وحده يلعب دوره المرسوم إلى أزمنة طويلة و متعاقبة في تاريخ المسلمين.و من المعلوم تاريخيّاً أنّه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حينما دخل العراق و الشام و بقيّة البلاد ضمن إطار المجتمع الإسلامي، لم يتمكّن الخلفاء، الذين تزعّموا قيادة المسلمين؛ من تذويب النظام القبائليّ الذي كان موجوداً في هذه الأقاليم، بل بقي التنظيم القبائلي سائداً، و بقي زعيم كلّ قبيلة هو الرابط بين قبيلته و بين السلطان. و هذا التنظيم القبائليّ

---

[1]- عبد الزهراء عثمان محمّد، **المعارضة السياسيّة في تجربة أمير المؤمنين** عليه السلام ص٤١.

بطبيعة تكوينه يخلق جماعة من الزعماء المتنفّذين، و من شيوخ هذه القبائل الذين لم يربّهم الإسلام لأنهم لم تتح لهم فرصة معايشة أيّام النبوّة عيشاً صحيحاً، ممّا جعل من هؤلاء طبقة معيّنة ذات مصالح و ذات أهواء و مشاعر في قواعدها الشعبيّة، ممّا يوفّر لهم أسباب النفوذ و الاعتداء عليهم. و هذا المناخ القبليّ الذي سيطر على الجزيرة و ما والاها، و من ثمّ دول الإسلام الأخرى فيما بعد، هو الذي أوجد حالة الارتداد التي أشارلها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[١] و قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[٢] ولكن الخطّ الرساليّ الذي خرج وتمرّد على هذا القانون و اتّخذ مساره النبويّ كما جاء في الخبر: «ارتدّ الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله الغفاريّ إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود، وأبوذرّ الغفاريّ، و سلمان الفارسي، ثمّ إنّ الناس عرفوا و لحقوا بعد»[٣] فهناك من عرف لمن يتّجه، و هذا الاتّجاه الصائب و الصحيح كان يعود و يدور حول شخص المعصوم الذي أمسك عقد الإسلام من أن ينفرط ويضيع في خضمّ الصراعات القبليّة والأسريّة.

فالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله كان أوّل معصوم وضع الخطوط الأولى للسير بهذ الاتّجاه، إلا أنّ الخطوط القبليّة كانت ضاربة بوجودها في المجتمع

١- المائدة: ٥٤.

٢- آل عمران: ١٤٤.

٣- **الاختصاص** للشيخ المفيد ص ٦.

الإسلامي فزعزعت المجتمع بل مزّقته شرّ تمزيق، و قد حاولت هذه الخطوط تشكيل شرانق و خيوط ترتبط ببعضها ممّا أضعف، أو كاد أن يضعف الخطّ الرساليّ الذي يقف قبالتهم.و لقد لعبت القبيلة و الحسّ القبليّ دوراً كبيراً في تاريخ الإسلام و المسلمين، و حتّى الولاء السياسيّ و تنظيم الجيوش كان يعتمد على المشاعر القبليّة و الاتّجاه العام للقبيلة، فهناك قبائل ركبها حسّ القبيلة، و ما كان عليه زعماؤها و قادتها، و لم يفهموا من الرسالة شيئاً، و قد أشار عليّ عليه السلام إلى ذلك حين قال: «ادعوا لي غنيّاً و باهلة فليأخذوا عطاياهم، فو الذي فلق الحبّة و برأ النسمة، ما لهم في الإسلام نصيب، و إنّي لشاهد لهم في منزلي عند الحوض و عند المقام المحمود؛ أنّهم أعدائي في الدنيا و الآخرة، و لئن ثبتت قدماي لأردّنّ قبائل إلى قبائل، و قبائل إلى قبائل، و لأبهرجنّ [1] ستّين قبيلة ما لهم في الإسلام نصيب». [2] و قال عليه السلام أيضاً في تغلب : «لئن تفرّغت لبني تغلب، ليكون لي فيهم رأي، لأقتلنّ مقاتلهم، و لأسبينّ ذرّيّتهم، فقد نقضوا العهد، و برئت منهم الذمّة حين نصّروا أولادهم [3].»ولكن قبيلة همدان حظيت برضى علي عليه السلام و مودّته لهم فقال فيهم :

و لو كنت بوّاباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام [4]

لأنّ سعيد بن قيس الهمداني، سيّد همدان و عظيمها، كان مناصراً

---

[1]- البَهْرَج: الباطل و الشيء المباح، يقال : بهرج دمه، أي : أباحه و أبطله، و في الحديث : «بهرج دم ابن الحارث» أي: أبطله. ينظر **لسان العرب** (بهرج).

[2]- **بحار الأنوار** ٣٤: ٣٠٧، كتاب **الغارات** للثقفي ١: ٢١.

[3]- **البلدان و فتوحها** للبلاذري ص ٢١٦.

[4]- **مآثر الإنافة في معالم الخلافة** للقلقشندي : ١: ١٠٥، **بحار الأنوار** ٣٢:٤٧٧.

لعليّ، و متفهّماً لرسالته، و مؤمناً بمبادىء علي عليه السلام و فلسفته، بل كان طوع بنانه.

و قال له سعيد بن قيس لمّا شكا عليه السلام من تثاقل أصحابه عن نصرته : «و الله لو أمرتنا بالمسير إلى قُسطنطينيّة و روميّة مشاة حفاة، على غير عطاء و لا قوّة، ما خالفتك أنا و لا رجل من قومي»[1] فيظهر من هذا أنّ موقف عليّ عليه السلام كان متبايناً من قبيلة لأخرى، و هذا الانقسام و التباين في رؤية عليّ عليه السلام لم يكن عن عصبيّة أو رؤية فئويّة، بل هي رؤية ربّانيّة رساليّة تضع القبيلة في ميزان رساليّ ديني، فحينما تكون القبيلة مع الرسالة فهي أثيرة و محبّبة لدى عليّ عليه السلام، و حينما تبتعد عن الرسالة تكون بغيضة و مبعدة من قلب علي عليه السلام.

و من هذا التقسيم انقسمت قبائل العرب بين مناصر للرسالة و بين مناهض لها، و من ناصرَ الرسالة كان و لاؤه لله و لنبيّ الله صلى الله عليه وآله و لأوليائه عليهم السلام، ممّا حملهم هذا الأمر إلى الابتعاد النوعي و التدريجي عن مركز الشدّ العصبيّ و الجاهليّ الذي يتّجه باتّجاه العصبة و القبيلة، و أخذ بهم نحو مركز الشدّ الدينيّ و النبويّ فصاروا في جبهة عليّ عليه السلام من بعده مختارين.

و اتّحدت رؤية النبيّ صلى الله عليه وآله مع رؤية عليّ عليه السلام في هذا المجال حين قال صلى الله عليه وآله : «شرّ قبيلتين في العرب : نجران، و بنو تغلب[2]» و ظلّ هذا الأمر يطبع حياة المسلمين فوصفها بالانشطار و التفرّق بمحورين. و عزّز هذا الوضع دخول السيف بينهما.

و وصف الأُستاذ صالح الورداني هذا الانقسام بالقول : «و منذ وفاة

---

[1]- **بحار الأنوار** ٣٤: ٢٠.

[2]- **مسند أحمد** بن حنبل ٤:٣٨٧

الرسول ﷺ بدأت السياسة يساندها السيف تلعب لعبتها لتبرز لنا الخطّ القبلي. و الذي قام على أساسه الخطّ الأموي فيما بعد. و لم تكن صفّين سوى نهاية الطريق بالنسبة لمسيرة الإسلام القبليّ الذي ساد بعد وفاة الرسولﷺ. و إنّ فقه صفّين يتوقّف على فقه مرحلة احتضار الرسولﷺ. لقد برز بعد وفاة الرسول خطّان : خطّ سار في طريق القبيلة نتج من سقيفة بني ساعدة، و خطّ سار في طريق آل البيت و تحالف مع الإمام عليّ؛ الخطّ الأوّل مثّل الإسلام القبلي، و الخطّ الثاني مثّل الإسلام النبوي»[1].

و يتحدّث الأستاذ عادل الأديب عن بداية المواجهة قائلاً: «إنّ الإسلام جابه بعد وفاة الرسول ﷺ انحرافاً خطيراً و مبكّراً في صميم التجربة الاجتماعيّة و السياسيّة التي أنشأها النبيّﷺ للمجتمع و الأمّة الإسلاميّة، و ما كاد خطّ الإمامة في الحكم يُقصى عن الحياة الإسلاميّة و يُستبدل بأُطروحة جديدة في الحكم أُطروحة السقيفة حتّى بدأ الانحراف عن الخطّ الإسلاميّ يتسرّب إلى مراكز التوجيه الفكريّ و الاجتماعيّ والسياسي، حتّى وُئدت التجربة الإسلاميّة الأصيلة و استبدلت بحكم قبليّ و راثيّ بدأ بتعطيل الحدود و مصادرة روحيّة الشريعة و تكدير صفائها، و قد تجسّد ذلك بالحكم الأمويّ و العبّاسي، و ما تمخّض عنهما من مآسي و ويلات و مزالق خطيرة، و إبعاد للأجيال عن أهداف الرسالة و طابعها السماويّ الصميم».[2]

و يذهب الأستاذ صالح الورداني إلى حدوث مواجهة مبكّرة و سريعة، و كأنّ الانحراف قد اقترن مع المواجهة و تزامن معه، فلم تعد هناك

---

[1]- **السيف و السياسة في الإسلام** ص ٥.

[2]- **دور أئمّة أهل البيت**عليهم السلام **في الحياة السياسيّة** ص٣٤.

فاصلة بين الانحراف و المواجهة فقال : «و إنّ الصراع قد احتدم بين الإسلام القبليّ و الإسلام النبويّ فور وفاة الرسول، و إن كان الإسلام القبليّ قد تحقّقت له السيادة، فقد بقي الإسلام النبويّ في ساحة المواجهة. تارة يصارع السيف، و تارة يصارع السياسة».[١]

و إذا كانت الدولة الأُمويّة مظهراً متجسّداً للدولة القبليّة أو الخطّ القبلي، فإنّ الدولة العبّاسيّة تجاوزت الخطّين القبليّ، و النبوي، و أوجدت خطّاً ثالثاً هو أقرب إلى الخطّ الفرديّ الذي ضخّم السلطان والحاكم العبّاسي، و بعبارة أُخرى هو خطّ أهل الرأي أو الهوى الذي نفخ الحاكم و ألّهه و جعله يتمدّد و يستبدّ و يسحق أعراف القبيلة و الأجداد حتّى تناسوا أنّهم ينتسبون إلى الصحابيّ الكبير عبدالله بن عبّاس الذي جاء فيه الخبر : «لكلّ شيء فارس و فارس القرآن عبدالله بن العبّاس[٢]» وجاء في خبر آخر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وضع يده على كتفه أو منكبه و قال: «اللهمّ فقّهه في الدين، و علّمه التأويل».[٣]

ولكن السلطة العبّاسية لم تَرْوِ له فقهاً أو حديثاً أو تفسيراً بل أهملت أحاديثه و مرويّاته، فالعبّاسيّون همَ في الواقع أحفاد الصحابيّ عبد الله بن عبّاس تلميذ عليّ عليه السلام و صاحبه، ولكنّه حينما وصل إليهم أمر السلطان عاشوا سكراته فنسوا أخذ دين الله عنه، و أخذوه من شخص آخر هو عبدالله بن عمر و غيره، لأنّ ابن عبّاس لم يكن يخرج عن مدرسة النبيّ صلى الله عليه وآله و وصيّه عليّ عليه السلام. فلم يكن لدى الخلفاء العبّاسيّين ملاذ أو مهرب من الأخذ بفتوى الشيعة الإماميّة إن تمسّكوا بنصوص ابن عبّاس

١- **السيف و السياسة في الإسلام** ص ٥.

٢- **بحار الأنوار** ٢٢: ٣٤٣.

٣- **مجمع الزوائد و منبع الفوائد** للهيثمي ج٩ ص ٢٧٦.

جدّهم لأنّها تتطابق في الغالب مع نصوص الأئمّة المعصومين، و قد حصل هذا التصوّر في تفكير مالك بن أنس، كما يتّضح من دخول مالك على أبي جعفر المنصور و قول المنصور له : «لو تركتم قول عليّ عليه السلام وابن عبّاس و أخذتم بقول ابن عمر !» فأجابه مالك مبرّراً ذلك بالقول: «لأنّه آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال المنصور له : و الله يا أبا عبد الله، ما بقي على الأرض أعلم منّي و منك، خذ بقول ابن عمر و دعني ممّا سواه[1]».

و كان المنصور يأمل بالإمام أبي حنيفة ـ عندما رعاه بعنايته و نصره، و قدّمه على كثير من الفقهاء ـ أن يُوجدَ منه شخصيّة علميّة تقف أمام انتشار مذهب جعفر بن محمّد عليه السلام، ولَكنّه خاب أمله، فالإمام أبو حنيفة يصرّح للملأ بأنّه «ما رأى أعلم من جعفر بن محمّد عليه السلام و أنّه أعلم الأمّة». و سأله رجل يوماً عن رجل وقف ماله للإمام، فمن يكون المستحقّ؟ فأجاب أبو حنيفة : «المستحقّ هو جعفر الصادق عليه السلام، لأنّه هو الإمام الحقّ». و ذهبت تلك المحاولات فاشلة، و لم يزل المذهب الجعفريّ يتّسع في الأقطار، و ينتشر في العواصم، و كثر أتباعه رغم تلك المحاولات و الخطط التي خطّها المنصور و من بعده المهديّ و الهادي و الرشيد. و قد بذل الرشيد كلّ ما في وسعه من أجل تحويل أنظار الناس عن آل محمّد، و أظهر تعظيم مالك بن أنس فكان يجلس بين يديه تأدّبا يتعلّم منه العلم و يأمر أولاده و خواصّه باحترامه، و كان يقرّب الفقهاء، و ينظر إلى الشافعيّ نظر عطف و حنان لأنّه قرشي، و أرسله إلى مصر صحبة للوالي؛ و أمره باحترامه و إكرامه، و تقريب

---

[1]- ينظر **طبقات ابن سعد** ٤٧: ٤، لباسم الحلّي **الرسول المصطفى و مقولة الرأي** ص ٢٦٧ ، **شرح الزرقاني** على موطأ مالك ٧: ١ـ ط دار المعرفة بيروت.

أصحابه، و أعطاه سهم ذوي القربى[١].

و هكذا كان خلفاء بني العبّاس يبعدون ذلك و يقرّبون ذا، و يمدّون يداً لهذا و يقبضونها عن آخر، و يفتحون الخزائن إن أرادوا ، و يغلقونها إن لم يريدوا، و ما على الوزير أو الحاجب إلا الإذعان و الامتثال، و إن نصحهم أبعدوه أو سجنوه أو قتلوه إن ركبهم الغضب، لا قيمة لهذا و لذاك. و من هذا يروى: « أنّ الوزير يعقوب بن داود قال للمهديّ في أمر أراده : هذا و الله السرف، فقال المهديّ : ويلك! و هل يحسن السرف إلا بأهل الشرف، ويلك! يا يعقوب، لولا السرف لم يعرف المكثرون من المقترين[٢]».

و كأنّ الأمر هو عائد له وحده، و لا أهمّيّة للأُمّة و الفقراء و أركان الدولة الذين جمعوا له هذا المال، فما دام الخليفة طليق اليد فالأُمّة و أركان الدولة في نعمة. لا أهمّيّة لهذا جاعوا أم شبعوا، فالمال مال الخليفة، و الرعيّة عبيد له أرادوا أم لم يريدوا ذلك.

و من هذا يروي السيوطي عن ابن جرير : «لمّا ملك الأمين ابتاع الخصيان و غالى بهم، و صيّرهم لخلوته و رفض النساء و الجواري». و قال غيره : «لمّا ملك وجّه إلى البلدان في طلب الملهين و أجرى لهم الأرزاق، و اقتنى الوحوش و السباع و الطيور، و احتجب عن أهل بيته و أمرائه و استخفّ بهم، و محق ما في بيوت الأموال، و ضيّع الجواهر و النفائس، و بنى عدّة قصور للّهو في أماكن[٣]».

و يروى عن جدّه المنصور أنّه خطب في يوم عرفة على منبر عرفة

١- **الإمام الصادق و المذاهب الأربعة**: أسد حيدر، ج١ ص ٢٢٣.

٢- **تاريخ الطبري** ٨: ١٥٧.

٣- **تاريخ الخلفاء** للحافظ جلال الدين السيوطي ص ٢٤٢.

قائلاً : «أيّها الناس، إنّما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه و رشده، و خازنه على فيئه، أقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، و قد جعلنيَ الله عليه قفلاً، إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم، و إن شاء أن يقفلني عليه أقفلني[1]».

ولا يمكن إدراك طبيعة النظام الذي أرساه العبّاسيّون الأوائل - خاصّة المنصور - بمعزل عن فحص سياساتهم الماليّة و السلوك الاقتصاديّ الذي اتّبعوه.

فالطريقة التي كان الخليفة يتصرّف بها بموارد الدولة، و النفقات العامّة، و ممتلكات الخلافة تعطي صورة دقيقة واضحة عن تصوّر العبّاسيّين لمفهوم الحكم، و عن شكل السلطة التي مارسوها.

و من زاوية نظر أُخرى إلى هذا الموضوع فإنّ سيطرة الخليفة الكاملة على موارد الدولة كانت أداة فعّالة و حاسمة في تجسيد المشروع العبّاسي الذي كان عليها، ذلك أنّ السلطة غير المقيّدة بحدود على إدارة الشؤون الماليّة و التصرّف بالأموال كرّست صورة الخليفة العبّاسي في هذه المرحلة كحاكم أوتوقراطي، و النظام السياسي الذي أسّسه كحكم مطلق[2].

و قد أفرز هذا الوضع إسرافًا في الأموال، و سفكًا للدماء بغير مبرّر. وفي هذه الأوضاع عاش الأئمّة عليهم السلام عصور بني العبّاس، وعاصمتهم و مدنهم كانت مليئة بالدماء المسفوكة و السجون المظلمة، ويقابلها عربدة في قصورهم تدار فيها أقداح الخمور، و عيدان الجواري المغنيّات، و

---

[1]- **تاريخ الخلفاء** للحافظ جلال الدين السيوطي ص ٢١٢.

[2]- عصام سخنيني: **العبّاسيّون في سنوات التأسيس** ص ٢٠٢.

أهازيج الفسّاق.

و كانت الدولة الجديدة غنيّة بمواردها لسعة أطرافها، ولكن هذه الأموال ما كانت تجد طريقها لعمارة البلدان أو إشباع الجياع؛ و إنّما هي أموال جبيت لحساب الخليفة و حاشية السلطة، و هذا يعود إلى فلسفة الدولة العبّاسيّة التي وظّفت الأمّة و مواردها لتكون لقمة سائغة بيد الخليفة و أولاده و جواريه ومن يطربه و يسقيه كؤوس الخمور. و نعم الشعراء و الأدباء المتغنّون بأمجاد بني العبّاس بالجوائز و العطايا السنيّة، فقد انتفخت جيوبهم و عظمت بطونهم، فلذلك يصعب تصنيف النظام العبّاسي أو إدراك مشروعه الديني أو الإصلاحي الذي كان ينادي به سلاطين بني العبّاس و يتبجّحون و يمنّون به على الرعيّة، بصفتهم ورثة النبيّ الكريم و أبناء عمّه،فهم ليسوا أكثر من نماذج من الغاصبين والعابثين بالأموال و المقدّرات.

و الفرد منهم مستهلك لأموال العباد، و بعبارة أُخرى: كان كلّ واحد منهم مع حاشيته نمطاً استهلاكيّاً و مسرفًا في جهاز الدولة، لا تعنية الأمّة و لا الدولة معا. و من هؤلاء: محمد الأمين العبّاسي الذي كان يلهو منصرفًا حتّى عن تدبير المعركة الأخيرة له، كما يروي إبراهيم بن المهدي، و هو من البيت العبّاسي، قال : «استأذنت على الأمين، و قد اشتدّ الحصار عليه من كلّ جهة، فأبى أصحابه أن يأذنوا لي بالدخول، إلى أن كابرت و دخلت، و إذا هو قد قطع دجلة بالشبّاك، و كان في وسط القصر بركة عظيمة لها مخترق إلى الماء في دجلة، و في المخترق شباك حرير، فسلّمت عليه، و هو مقبل على الماء، و الخدم و الغلمان قد انتشروا في تفتيش الماء في البركة، و هو كالواله، فقال و قد ثنّيت بالسلام عليه : لا تؤذني يا عمّ، قد ذهبت مقرطتي من البركة إلى دجلة

(المقرطة: سمكة كانت قد صيدت له و هي صغيرة فقرّطها بحلقتي ذهب فيها حبّتا درّ) فخرجت و أنا يائس من فلاحه، و قلت : لو ارتدع في وقت، لكان هذا الوقت[1]»و من هذا أيضا روى الصولي قال: «حدّثنا أبو العيناء عن محمّد بن عمرو الرومي قال : خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب فأصابته رجمة في وجهه فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه ثمّ قال :

ضربوا قرّة عيني و من أجلي ضربوه
أخذ الله لقلبي من أناس أحرقوه

و لم يقدر على زيادة،فأحضر عبد الله بن التيمي الشاعر فقال له:قل عليهما ،فقال:

ما لمن أهوى شبيه فبه الدنيا تتيه
وصله حلو ولكن هجره مرّ كريه
من رأى الناس له الفضـ ل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ئم بالملك أخوه

فأوقر له الأمين ثلاث بغال دراهم»[2].

فمثل هذا النمط من الخلفاء لايمكن أن يحظى برضى الإمام المعصوم و مباركته. و من الطبيعي أن يكون وليّ الله نـدّاً له و عدوّا. فترى الأئمّة عليهم السلام، في ظلّ هؤلاء الطغاة المسرفين، قد وضعوا في الظلّ المنسي ، و في غياهب السجون و المعتقلات القاتمة، مُبعدين عن الأمّة فحُرمت هذه الأمّة من بركاتهم و خيراتهم و هداهم، لأنّ السلطة العبّاسيّة وضعت القيود و العيون على الأئمّة عليهم السلام و على صحابتهم، و منعت الرجال من الاتّصال بهم، إلا أنّ الخليفة عبد الله المأمون أدرك بأنّ التمادي في هذا الأسلوب ليس في صالح السلطة، بل قد يفاقم الأوضاع،

---

[1]- **الإتحاف بحبّ الأشراف** للشيخ عبدالله بن محمّد بن عامر الشبراوي ص ٢٣.

[2]- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي ص ٢٤٢.

و يزيد نقمة الأمّة عليهم، و يجعل الأمــّة و أفرادها يلتفتــون إلــى قــادتهم الحقيقيّين الذين أرادهم الله و وضعهم في موضع الإمامة و القيــادة، فــآثر المأمون لذلك أسلوب المخادعة و امتصاص النقمة العارمــة التــي كانــت سائدة في عصره، فاستدعى الإمام الرضا عليه السلام مــن المدينــة ليكــون ولــيّ عهده و الخليفة المؤمّل المرجوّ للأمّة. ولكن هذه اللعبة لم تكن موفــّقة، لأنّ القبيلة و أهل الرأي لم يكونا مستعدّين لقبــول فــردٍ أو جماعــة مــن خارج نطاق الأسرة و الكتلة العبّاسيّة؛ يمارس دوره القيادي حتّى لو كــان هذا الشخص يمتلك رصيداً مــن النصــوص الدالّــة علــى موقعــه و دوره الريادي و القيادي. و كان الرضا عليه السلام مرشّحاً لأن يكــون خليفــة أو ولــيّ عهد المأمون في لعبة سياسيّة يؤدّيها الإمام و لو بشكل صورَي و بصــورة ديكوريّة ينتهي به الأمر إلى القتل.

فانفجر البيت العبّاسي و من معهم من أحفاد القبيلة ليلعنوا المــأمون و يعزلوه عن خلافته، لأنــّه خرج على أعراف القبيلة و تمرّد على نزوات و شهوات البيت العبّاسي، ومهما كانت الدوافع و الأسباب التي كانت تقف وراء دعوة المأمون العبّاسي للإمام الرضا عليه السلام فإنّ إذكاء البحث العلمي و التاريخي له ضرورته في هذا الميدان، و أملنا كبير بأن ينتفع القارىء مــن هذه السطور التي كتبناها.

و من المناسب أن نذكر هنا أنَّ هذا الكتاب قد حاز علــى الجــائزة الثالثــة في التأليف في المسابقة العالمية التي أجرتها دار المرتضى و مجمع البحوث الاسلامية عام ١٤٣٠ هـ آملين أن ينال رضي القارئ و من الله التوفيق.

عادل عبدالرحمن البدري

مشهد الرضا عليه السلام

فلسفة الحكم و الدولة

لم تهمل الرسالات السماويّة موضوع الحكم و الدولة التي تنظّم حياة الجماعات و الأفراد، بل أكّدت وجوبها، و أشار القرآن الكريم في جملة من نصوصه إلى ضرورة قيام الحكم الديني و تأسيس دولة و نظام يكون حاكماً على الناس، و من هذه النصوص قوله تعالى:﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾[1]، و قوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾[2]، و قوله: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3]، و قوله: ﴿**فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[4].

---

[1]- المائدة: ٤٨.

[2]- النساء: ١٠٥.

[3]- النور: ٥١.

[4]- المائدة: ٤٢.

و بعث الله الأنبياء و الرسل ليعلموا الناس بأنّ الأديان السماويّة هي نظم كاملة و راجحة في المجالات كافّة، بما في ذلك النظم السياسيّة و نظم الدولة الأخرى التي ينبغي أن يضعها الإنسان نصب عينه، و بها تنتظم حياة الناس و تدبّر أُمورهم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[2]، فالحاصل من هذا الآيات و غيرها أنّ السماء وضعت خطوطاً عامّة و أُطراً ينبغي أن يتشكّل النظام السياسي و شكل السلطة وفْقها. و الإسلام كدين سماويّ و خاتم لرسالات السماء وضع هيكل النظام السياسي، أو فلسفة الدولة و نظمها. و الإسلام الذي دعا إلى الجهاد و الدفاع، و دعا الى إجراء الحدود و العقوبات على العصاة المجرمين، و دعا إلى إنصاف المظلوم، و ردع الظالم، و سنّ نظاماً خاصّاً و واسعاً للمال. فالدعوة إلى كلّ هذه الأحكام تدلّ بدلالة التزاميّة على أنّ الله تعالى قد فرض وجود دولة قو يّة تقوم بإجرائها في المجتمع؛ لأنّ الإسلام ليس مجرّد أدعية خاوية أو طقوس و مراسم فرديّة يقوم بها كلّ فرد في بيته و معبده؛ بل هو نظام سياسيّ و ماليّ و حقوقيّ و اجتماعيّ و اقتصاديّ واسع و شامل. و ماورد في هذه المجالات من قوانين و أحكام تدلّ بصميم ذاتها على أنّ مشرّعها افترض وجود حاكم يقوم بتنفيذها و رعايتها، لأنّه ليس من المعقول سنّ مثل هذه القوانين دون وجود قوّة مجرية و سلطة تنفيذيّة تتعهّد بإجرائها و تتولّى تطبيقها[3].

---

[1]- الحديد: ٢٥.

[2]- ص: ٢٦.

[3]- الشيخ جعفر سبحاني: **معالم الحكومة الإسلامية** - نشر مكتبة أمير المؤمنين إصفهان ص ٢٣.

و قد تضمّن القرآن الكريم أحكاماً لا يتصوّر تنفيذها دون وجود حكم و دولة تأخذ بها، و تعمل على تنفيذها، فمن ذلك: أحكام الحدود كقتل القاتل، و قطع يد السارق، و معاقبة الذين يسعون في الأرض فساداً، أي: يخلّون بأمن الدولة و المجتمع، كما في قوله تعالى:﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِنَ اللَّهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]. و قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[2]، و قوله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[3]، و غيرها من العقوبات التي لا يُتصوّر تطبيقها إلا بوجود دولة و حكم، إذ كيف يُترك الأفراد، دون قضاء و حكم، و فيها نفي و قتل و صلب و قطع يد و جلد و أمثال ذلك من العقوبات التي تستلزم حكماً يتّخذ منها قانونه الجنائي يقضي به و ينفّذه. و تضمّن القرآن كذلك أحكاماً ماليّة تتعلّق بالنفقة الواجبة على الأقارب، و بالميراث و توزيعه، و الزكاة و طرق صرفها. و لا يتصوّر أن تكون هذه الأحكام ملزمة لمن تجب عليهم إلا إذا كان ثمّة سلطة مُجبرة تلزمهم جبراً إذا امتنعوا عن أداء ما عليهم من حقوق واجبة؛ بل إنّ أحد مصارف الزكاة للعاملين عليها، و هم الذين يجمعونها و الذين يتولّون توزيعها. و العامل في الإصطلاح الإسلامي هو الموظّف في اصطلاحنا، و

---

[1]- المائدة: ٣٨.

[2]- المائدة: ٣٣.

[3]- المائدة: ٤٥.

لا يتصوّر وجود هؤلاء إلا في جهاز دولة قائمة تتّخذ من هذه القواعد الماليّة أساساً لها و تعمل على تطبيقها و تنفيذها.

و تضمّن القرآن بعد هذا دعوة إلى الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله، أي: شريعته، هي العليا، و لحماية الدين و ردّ الاعتداء على المسلمين و أوطانهم و كيانهم و دولتهم، و حماية المستضعفين من الرجال و النساء في آيات كثيرة[١]. و نصّ على أحكام في أمور تنشأ عن الجهاد: كتوزيع الغنائم، و فداء الأسرى و ما إلى ذلك.

و لا يمكن أن يُخاطب المسلمون فُرادى غير منظّمين بهذه الأحكام؛ بل لابدّ لذلك من نظام، و لا يمكن تنفيذ هذه الأحكام بدون نظام و حاكم يتولّى شؤونهم و ينفّذ هذه الأحكام و يضعها في مواضعها، فينذر بالحرب و يعلنها و يقود معركتها، و يعقد المعاهدات، و يقسم الغنائم، و يفدي الأسرى . و تضمّن القرآن الكريم كذلك أحكاماً و توجيهات تتعلّق بواجبات الحاكم كقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾**[٢].

إنّ مجموع هذه الأحكام الجنائيّة و الماليّة و الدوليّة و الدستوريّة لا يمكن أن يعقل إيرادها و الإلزام بها إلزاماً — يعتقد المؤمن بالإسلام بوجوبه و الإثم بتركه - إلا إذا كان القرآن يفرض على المسلمين تنظيم الحكم و إقامة الدولة[٣]. كما أنّ المبادىء الأصيلة التي أعلنها

١- منها قوله تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾** النساء: ٧٥ ، و قوله تعالى: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾** التوبة: ٢٩، و قوله تعالى **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾** الأنفال: ٣٩.

٢- النساء: ٥٨.

٣- محمّد المبارك، **نظام الإسلام الحكم و الدولة** - منظّمة الإعلام الإسلامي ص ١٨.

الرسول ﷺ لا بدّ لها من دولة تتبنّاها و تعمل على حمايتها من عَسْف الطغاة المتجبّرين الذين ينطلقون وراء منافعهم و وراء أطماعهم[1].

---

[1]- باقر شريف القرشي، **نظام الإسلام السياسي** ص ١٢٦.

الإمامة و الحكم و القيادة

حاجة المجتمعات إلى القانون و الدولة و الحكومة حاجة ضروريّة فطريّة بدأت من الأسرة، فربُّ الأُسرة في الأُسرة المنفردة كان هو مصدر القانون و منفّذه، فهو الذي يؤدّب ابنه إذا بدر منه ما يسيء إلى أُمّه وإخوته، وهو الذي يضع قاعدة التأديب و نوع الجزاء. فمن هنا بدأت بوادر حكومة مصغّرة تنظّم العلاقات و تضع قواعد و نظم يدخل العقاب و الجزاء ضمن هذه الحكومة، ثمّ انتقل هذا الوضع التنظيمي إلى مستوى القبيلة و العشيرة حيث بدأت تتكوّن أعراف يلتزم بها أبناؤها و يقضي في منازعاتهم رئيس القبيلة أو عرّاف القوم. ثمّ خطا الإنسان خطواته الكبرى فألّف مجتمعه الكبير؛ مجتمع الشعوب و الأمم، عندئذٍ كثرت معاملات الناس و تشعّبت و تعدّدت منازعاتهم و تنوّعت فافتقروا أيّما

افتقار إلى القانون الذي ينظّم لهم تلك العلاقات[1]. و حتّى في أبسط أشكال المجتمع توجد الضرورة لنظام معيّن من القواعد، إذ من الضروري في كلّ مجتمع، سواء كان مجتمعاً بدائياً أو معقّداً؛ الإبقاء على بعض القواعد التي تبيّن الشروط التي يتزاوج و يعيش بموجبها الرجال و النساء، و قواعد لحكم علاقات العائلة، و شروط تنظّم النشاطات الاقتصاديّة أو جمع الغذاء أو الصيد، و قواعد لمنع التصرّفات التي تعتبر ضارّة لرخاء العائلة، أو الجماعات الأكبر منها كالقبيلة أو الجماعة بأسرها. و أكثر من ذلك ستبقى الحاجة في المجتمع المتحضّر المعقّد إلى نظام أوسع من القواعد لحكم الحياة العائليّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة[2].

فالحاجة الإنسانيّة إلى نظم و تشريعات و قوانين كانت و مازالت، لذا لم تترك السماء الإنسان يعيش في فراغ تشريعيّ و قانونيّ، و بالتالي يقع في دوّامة من الفوضى و الاضطراب. و لم تضع السماء نظماً و تشريعات مجرّدة يختلف الناس حولها و حول تفسيرها و كيفيّة تطبيق بنودها، و إنّما وضعت لهذه النظم و الشرائع رجالاً سمّتهم و أظهرتهم ليسير العباد بهداهم و يدينوا بطاعتهم. و قد مرّت تجربة سياسيّة مهمّة في حياة بني إسرائيل يستخلص منها العقلاء: بأنّ السماء لم تترك الخيار للناس وحدهم في تسمية قادتهم و أئمّتهم حيث تقول الآية: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[3]. فالمحاورة الجارية بين

---

[1]- ينظر الدكتور عبدالله مصطفى، **علم أصول القانون** ص ٤٠ - ط الأولى بغداد.

[2]- الدكتور رياض القيسي، **علم أصول القانون** - بيت الحكمة بغداد ص ٧٤.

[3]- البقرة : ٢٤٧.

نبيّ زمانه، و مشايخ و ملأ بني إسرائيل، توحي بأنّ الخلافة السياسيّة وجه آخر للخلافة الدينية، أو هي مكمّلة لها و نابعة منها، و هذه الخلافة فرع من مسألة الإمامة و مرتبطة بها بالضرورة. و من هذا يكون الاختيار الربّاني هنا اختياراً صائباً و سديداً، لأنّه يراعي في الشخص المصطفى و المختار الكمال و العصمة. و العصمة عبارة عن: كمال مرتبة الإنسانيّة، لأنّ الإنسان إنّما أصبح أشرف المخلوقات بالعقل. و العقل قوّة تردع عن ترك الواجب و فعل القبيح، فمن زادت قوّته العقليّة ندر وقوع القبح منه، بل قد يمتنع ذلك منه[1]. و بناء على هذا اقترنت بحوث الإمامة بمسألة العصمة. و قد خلص بعض علماء الشيعة بأنّ قول الإمامة يعتمد على مقدّمتين:

الاولى : إنّ أدلّة العقل دلّت على وجوب الإمامة، و هذا ممّا تسلّمه أكثر أهل القبلة و تلقّته جماهير علماء الأُمّة بالقبول، و لم ينازع فيه إلا شذّاذ من الخوارج لا اعتداد بخلافهم لاحتياج الناس كلّهم إلى سلطان يكونون بوجوده أقرب إلى الصلاح و أبعد من الفساد، و لحاجة الكلّ إلى شخص يقوم بالسياسات، من: تأديب الجناة، و تقويم العصاة، و تعليم الجهّال، و إقامة الحدود، و تنفيذ الأحكام، و فصل الخصومات، و سدّ الثغور، و نصب الولاة، و الذبّ عن الديانة، و حفظ بيضة الإسلام ، إلى غير ذلك من المصالح العامّة.

الثانية : يدّعون بعد ثبوت ذلك أنّ هذا الإمام الذي ثبت وجوب وجوده في كلّ زمان من أزمنة التكليف يجب أن يكون معصوماً من الخطأ مأموناً منه كلّ زلل، غنيّاً عن سائر الناس في جميع ما يحتاج إليه

---

[1]- **تحفة الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار** للطبري ص ٤٠.

من العلوم و الأحكام[١].و عمق الخلاف بين الإماميّة و أهل السنّة في مسألة الإمامة يدور حول: إنّ الإمامة هل تقع في دائرة الاختيار البشري، أم إنّها إصطفاء إلهي خالص كالنبوّة. و بالتعبير الكلامي : هل الإمامة بالاختيار أم بالنصّ. و تعتقد الشيعة أنّ الإمامة رئاسة و إمرة الهيّة كالنبوّة، فالإمام حافظ للشرع و قائم به، فحاله في ذلك كحال النبيّ. فدور الإمام لا يقتصر على الشؤون الإداريّة و التنفيذيّة؛ بل يتعدّاها إلى التفسير الشامل للدين و شرحه و تطبيقه، و هداية الناس إلى مافيه سعادة الدارين. و هذا بذاته يفترض جملة من الشروط في الإمام: كالعصمة، والعلم ونحوها، تمنع الاختيار أو الوصول إلى الحكم بطرق أُخرى، لقصور الناس عن معرفة بعضها كالعصمة، فاستلزم ذلك النصّ منه سبحانه[٢].

و من هذا المنطق ذهب علماء الطائفة الإماميّة إلى أنّ معنى أن يكون الله تعالى: ﴿**وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[٣] أن يكون سبحانه و تعالى مطاعاً فيما يأمر به و ينهى عنه، و حاكماً بين الناس من خلال رسالاته السمحاء المتضمّنة لكلّ ما يحتاج إليه البشر في حياتهم الخاصّة و العامّة. و بما أنّ الله تعالى قد أرسل الرسل و لم يترك الناس هملاً، و بما أنّ النبوة قد ختمت بالرسول الأكرم ﷺ الذي نصّب الأئمّة من بعده، كما في قوله ﷺ: «لا يزال هذا الدين منيعاً إلى اثني عشر خليفة[٤]» ، فإنّ معنى ذلك أنّ الله تعالى أراد للولاية أن تستمرّ في الوجود، و أن يكون لها الأثر الفاعل في حياة البشر من خلال أئمّة الهدى الذين استمرّت بهم الولاية؛ باعتبار أنّه

---

[١]- شيخ الإسلام الزنجاني، **تاريخ العقيدة الشيعيّة و فرقها** ص ١٤٥.

[٢]- علي أمين جابر آل صفا: **البيعة و نظام الحكم في الإسلام** - الدار الإسلاميّة بيروت ص ٢١٦.

[٣]- إشارة إلى آلاية ٢٥٧ من سورة البقرة.

[٤]- **صحيح مسلم** ٣: ١٤٥٢ كتاب الإمارة: الناس تبع لقريش.

ليس من معاني ختم النبوّة عدم استمرار الولاية، و ذلك لاستحالة أن يبقى الناس دون إمام يعلّمهم و يزكّيهم.

و هؤلاء الأئمّة الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وآله من معاني ولايتهم أيضًا أن يكونوا مطاعين فيما يأمرون به و ينهون عنه، و التخلّف عنهم من شأنه أن يجعل الناس عرضة للشيطان و تحت ولاية الطواغيت. و من جملة الآيات الدالّة على الطاعة قوله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[١]، و من هنا نفهم معنى النصّ على إمام لقيادة المسلمين من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، و كذلك معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[٢].

و لقد أجمع المفسّرون لكتاب الله على أنّ المقصود بهذه الآية هو الإمام عليّ عليه السلام[٣]. و مثلما أنّ هذه الآية تثبت ولاء النصرة و المحبّة، فإنّها أيضاً تثبت ولاء التدبير و القيادة. و إذا كانت الولاية مستمرّة في الوجود و السياسة الحقيقيّة هي المترشّحة عن هذه الولاية، فذلك يؤكّد حقيقة أنّ الله تعالى لم يجعل سياسة البشر بأيديهم؛ بل جعل هذا الأمر من شؤونه، فنصّ على الإمام الذي أوكلت إليه مهمّة رعاية المجتمع الإنساني، كذلك مهمّة تدبير شؤونه على نحوٍ يؤدّي به إلى الكمال[٤].

١- النساء / ٨٠.

٢- المائدة / ٥٥.

٣- ينظر **تفسير القمّي** ١: ١٧٨، **أسباب النزول** للواحدي ص ١١٣، **تفسير الكشّاف** للزمخشري ١: ٦٤٩، **التسهيل لعلوم التنزيل** للكلبي ١: ٣٢٥.

٤- الدكتور فرح موسى: **رسالة في الولاية السياسيّة** - دار الهادي ص ٧.

مراتب الإمامة و الإمام

المعنى اللغوي للإمام : ما ائتُمّ به من رئيس و غيره. و الإمام : الذي يُقتدى به. و إمام كلّ شيء : قيّمه و المصلح له. و الإمام : الطريق الواضح. و الإمام : الخيط الذي يمدّ على البناء فيبنى عليه و يسوّى عليه ساف البناء. و الإمام : مطلق الطريق. و من هذه المعاني يقال لحادي الإبل : إمام، و إن كان وراءها لأنّه الهادي لها.

و الدليل يقال له : إمام السفر أيضاً.

و الإمامة : التقدّم، و تفيد معنى الأصل و القصد[1]. و يقول الأخفش : كلّ شيء انضمّت إليه أشياء فهو أُمّ. و أُمّ الرأس : الجلدة التي تجمع الدماغ، و بذلك سمّي رئيس القوم: أُمّاً لهم. و سمّيت السماء: أُمّ النجوم لأنّها تجمع النجوم. و الأُمّة : القَرن من الناس جاء من قوله تعالى: ﴿**أُمَّةً وَسَطًا**﴾[2]، و جاءت الأُمّة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾[3]، أي:

---

[1]- **لسان العرب** (أمم)، **ترتيب جمهرة اللغة** ١: ٧٩ (أمم).

[2]- البقرة : ١٤٣.

[3]- النحل : ١٢٠.

إماماً.و الأمّة : الإمام أيضًا.[١]

و جاء معنى «أمة» هنا، أي: قدوة و معلّماً للخير. و قيل : أي: إمام هُدى.

و قيل : سمّي إبراهيم عليه السلام أمّة لأنّ قِوام الأمّة به. و قيل : لأنّه قام بعمل أمّة. و قيل: لأنّه انفرد في دهره بالتوحيد، فكان مؤمناً وحده و الناس كفّار[٢]، و خروج معنى الإمام إلى التمام و الكمال، لأنّ التسمية جاءت من معنى القدوة، و لأنّه منصوب من قِبل الله تعالى و مفترض الطاعة على العباد[٣]. و قد حاز إبراهيم عليه السلام الكمال و التمام بعد اختبار و ابتلاء أشار له تعالى بقوله:﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾[٤]. و قد روى الصدوق: أنّ المفضّل بن عمر سأل الصادق عليه السلام عن هذه الكلمات، فقال الصادق عليه السلام : «هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، والكلمات : أسألك يارب بحق محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن والحسين ألا تبت عليّ، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، فقلت له: يا بن رسول الله، فما يعني عزّ و جلّ بقوله: «أتمهنّ»؟ قال: يعني أتمّهنّ إلى القائم عليه السلام اثنى عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام[٥]». و قد وصف أبو جعفر الباقر عليه السلام مراحل و درجات إبراهيم عليه السلام حتّى الدرجة الأخيرة التي جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾[٦].

---

[١]- **ترتيب جمهرة اللغة** ١: ٧٩ (أمم).

[٢]- **مجمع البيان** ٣: ٣٩١.

[٣]- **معاني الأخبار** للصدوق ص ٦٤.

[٤]- البقرة : ١٢٤.

[٥]- **الخصائص** ص ٣٠٥.

[٦]- البقرة : ١٢٤.

بالقول : «إن الله اتّخذ إبراهيمعليه‌السلام عبداً قبل أن يتّخذه نبيّـــاً؛ و اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، و اتّخذه رسولاً قبـل أن يتّخـذه خلـيلاً، و اتّخـذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، فلمّا جمع له هذه الأشياء و قبض يده قال لـه: يا إبراهيم **﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾**[١]. فمن عِظَمِها في عـين إبـراهيمعليه‌السلام قال : ياربّ **﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[٢].

و بعض المفسّرين قال هنا:[٣] بأنّ الإمام هو المقتدى بـه فـي أفعالـه و أقواله، و الذي يقوم بتدبير الأُمّة و سياستها و القيـام بأُمورهـا مـن إقامـة الحدود و غيرها[٤]. و قوله تعالى:**﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾**[٥] و قوله: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**[٦]، جاء بمعنى الطريق الذي يُـؤمّ و يتّبـع و يهتـدى به[٧]، و جعل الطريق إماماً لأنّ المسافر يأتمّ بـه و يسـتدلّ[٨]، و أمّـا المبـين فجاء بمعنى: الواضح و الظاهر، و يقال في هـذا المعنـى، أي: فـي كتـاب ظاهر، و هو اللوح المحفوظ.

و روى ابن عبّاس: أنّ عليّـاًعليه‌السلام قال : «أنا — و الله — الإمـام المبـين، أُبيّن الحقّ من الباطل، و رثته من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله[٩].» و جاء مـن بعـدهعليه‌السلام أولاده المعصومون الذين ورثوا هذا المنصب، كما ورث أبـوهمعليه‌السلام هـذا

---

[١]- البقرة : ١٢٤.

[٢]- **أصول الكافي**١: ١٧٥.

[٣]- أي: البقرة : ١٢٤.

[٤]- ينظر **تفسير التبيان** للطوسي ١: ٤٤٩، **مجمع البيان** ١: ٢٠١.

[٥]- الحجر : ٧٩.

[٦]- يس : ١٢.

[٧]- **مجمع البيان** ٣: ٣٤٣، **التبيان** ٦: ٣٥٠.

[٨]- **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة ٤٥٩.

[٩]- **تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي** ٢: ١٨٧ ط بيروت؛ **بحار الأنوار** ٥٧: ٣٥٧.

المنصب، باعتبارهم أئمّة منصوص عليهم، و حاجة الأُمّة لهم كحاجتهم إلى النبيّ، باعتبار أنّ الإمامة أصل ضروريّ كالنبوّة. و الإمامة : هي الرياسة الكبرى و الزعامة الإسلامية العظمى، و هي خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله في ما كان إليه من شؤون الدين و الدنيا - غير ما كان يختصّ به من الوحي و التبليغ - فهي عندهم ركن من أركان الدين، و قاعدة من قواعد الإسلام الأساسيّة التي لا بدّ منها و لا يُستغنى عنها؛ لأجل جمع الكلمة، و رتق الفتق، و لمّ الشعث، و إنصاف المظلوم، و تعليم الجاهل، و ردع المعاند، و الدفاع عن بيضة الإسلام، و الذبّ عن حوزته[1]، و يجب أن يكون الإمام أفضل الخلق لئلا يلزم تقديم المفضول على الفاضل، و يجب كذلك أن يكون أشجع الناس و أزهدهم و أسخاهم و أعدلهم و أعلمهم. إذ هذه هي صفات الكمال، فلو تساوى الإمام مع أحد رعيّته أو نقص عنه في شيء من هذه الصفات لأمكن صدور الظلم منه، و لو لم يكن شجاعاً لأمكن أن ينهزم في الحرب، و كذا تفوّقه في العلم من أجل أن لا يعيا بالمسائل الشرعيّة. أمّا سخاؤه فلكي يستفيد الناس من جوده فيطيعونه. و يجب أن يكون منزّهاً من العيوب الخَلقيّة و الخُلقيّة، لأنّ فيها ما يبعث على تنفير الناس عنه، و هو ممّا يتنافى مع معنى نصب الإمام[2] و إذا كانت مسألة الإمامة أمراً إلهيّاً يحكمه الاصطفاء، إلا أنّنا نجد أنّ هذا الاصطفاء يقع في ضمن سلسلة بشريّة متّصلة من لدن آدم عليه السلام إلى نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله، فهل يحكم قانون التوراث الإمامة كما يحكمها الاصطفاء، أم ماذا؟ و لا بدّ أوّلا من الإشارة إلى أثر عامل الوراثة

---

[1]- شيخ الإسلام الزنجاني: **تاريخ العقيدة الشيعيّة و فرقها**، تحقيق غلام عليّ اليعقوبي - مجمع البحوث الإسلاميّة مشهد ص ١٣٣.

[2]- **تحفة الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار** للطبري ص ٥٩.

في نشوء الإنسان و اكتسابه للصفات و الملكات المادّيّة و المعنويّة.

و هذه حقيقة تكوينيّة أثبتها العلم قديماً و حديثاً، و هي لا تختصّ بالإنسان، بل تسري إلى الحيوانات و النباتات أيضا.فالفرع يحمل خصائص الأصل بنسبة عالية و ينقلها إلى الفرع الثاني، و هكذا. و كثيراً ما تظهر في الإنسان صفة من الجدّ - رغم عدم ظهورها في الأب - سواء كانت جسديّة أو طبيعيّة أو معنويّة، فللإنسان نصيب هامّ من اُصوله سلباً و إيجابا.

و هذا الأثر الهامّ لقانون الوراثة يدخل جديّاً في مسألة الاصطفاء الإلهيّ للأنبياء و الائمّة، حتّى أنّنا نلاحظ أنّ التوارث ليكاد يكون في السنن الإلهيّة في هذا المجال، يقول تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[1]

و يعلّق العلامّة الطباطبائي رحمه الله فيقول : «إنّ الله اصطفى هؤلاء على العالمين، و إنّما سرى الاصطفاء إلى جميعهم، لأنّهم ذرّية متشابهة الأفراد و بعضهم يرجع إلى بعض في تسليم القلوب و ثبات القول بالحقّ، و إنّما أنعم عليهم بالاصطفاء على العالمين لأنّه سميع عليم؛ يسمع أقوالهم و يعلم ما في قلوبهم[2]».

و كان الأئمّة المعصومون عليهم السلام يبيّنون هذا لأصحابهم و شيعتهم في محادثاتهم معهم أو في مكاتباتهم لهم، و من هذا جاء بيان الرضا عليه السلام في كتاب له حرّره جواباً على سؤال عبد الله بن جندب يسأله عن تفسير آية

---

[1]- آل عمران : ٣٣ و ٣٤.

[2]- علي أمين جابر آل صفا، **البيعة و نظام الحكم في الإسلام** ص ٢٢٢؛ السيّد محمّد حسين الطباطبائي: **الميزان في تفسير القرآن** ٣: ١٨١ - دار الكتب الإسلاميّة طهران.

في سورة النور **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[1] فأجاب عليه السلام قائلاً : «أمّا بعد، فإنّ محمّداً كان أمين الله في خلقه، فلمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا و البلايا، و أنساب العرب، ومولد الإسلام، وما من فئة تضلّ مائة و تهدي مائة إلا و نحن نعرف سائقها و قائدها و ناعقها، و إنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان و حقيقة النفاق، و إنّ شيعتنا لمكتبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ الله علينا و عليهم الميثاق، يردون موردنا و يدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا و غيرهم إلى يوم القيامة نحن آخذون بحجزة نبيّنا، من فارقنا هلك، و من تبعنا نجا، و المفارق لنا و الجاحد لولايتنا كافر، و متّبعنا و تابع أوليائنا مؤمن، لا يحبّنا كافر، و لا يبغضنا مؤمن، ومن مات وهو يحبّنا كان حقّاً على الله أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، و هدى لمن اهتدى بنا، و من لم يكن منّا فليس من الإسلام في شيء، و بنا فتح الله الدين، و بنا يختمه، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، و بنا آمنكم الله من الغرق في بحركم، ومن الخسف في برّكم، و بنا نفعكم الله في حياتكم، و في قبوركم و في محشركم، وعند الصراط وعند الميزان، و عند دخولكم الجنان، مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة، و المشكاة في القنديل فنحن المشكاة فيها مصباح، المصباح محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله **«المصباح في زجاحة»** من طاهرة«الزجاجة كأنّها كوكب دريّ يوقد من

---

[1]– النور : ٣٥.

شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة و لا غربيّة» لا دعيّة و لا منكـرة «**يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار**» القرآن «نور على نور يهدي الله لنوره من يشـاء و يضرب الله الأمثال للناس و الله بكلّ شئ عليم».

فالنور عليّ عليه السلام يهدي الله لولايتنا من أحبّ، و حقّ على الله أن يبعـث وليّنا مشرقاً وجهه، منيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجّته، حـقّ علـى الله أن يجعل أولياءنا المتّقين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين و حسن أُولئك رفيقاً، فشهداؤنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، نحـن النجبـاء، و نحن أفراط الأنبياء، و نحن أولاد الأوصـياء، ونحـن المخصوصـون فـي كتاب الله، و نحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، و نحن الذين شرع الله لنـا دينه، فقال في كتابه: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّـذِي أَوْحَيْنَـا إِلَيْكَ ـ يا محمّد ـ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى**﴾[1] قد علمنا، و بلّغنـا ما علمنا، و استودعنا علمهم، و نحن ورثة الأنبيـاء، و نحـن ورثـة أُولـي العلم و أُولي العزم من الرسـل أن أقيمـوا الـدين ﴿**فَـلا تَمُـوتُنَّ إلا وَأَنْـتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[2]، كما قال الله: ﴿**وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْـرِكِينَ مَـا تَـدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾[3]، من الشرك من أشرك بولاية علي عليه السلام «ما تدعوهم إليه» من ولاية عليّ عليه السلام يا محمّد ﴿**فِيهِ هُدًى**﴾[4]، ﴿**وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيـبُ**﴾[5]، مـن يجيبـك إليّ بولاية عليّ عليه السلام[6]».

---

[1]- الشورى : ١٣.

[2]- البقرة : ١٣٢.

[3]- الشورى : ١٣.

[4]- البقرة : ٢.

[5]- الشورى : ١٣.

[6]- **تفسير القمّي** ٢: ٨٠.

و من هذا الموضوع روى إبراهيم بن العبّاس الصُّولي قال: «كنّا يوماً بين يديّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقال: ليس في الدنيا نعيم حقيقي، فقال له بعض الفقهاء ممّن يحضره: فيقول الله عزّ وجلّ ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾[1]، أما هذا النعيم في الدنيا و هو الماء البارد، فقال له الرضا عليه السلام و علا صوته ـ: كذا فسّرتموه أنتم، و جعلتموه على ضروب! فقالت طائفة: هو الماء البارد، و قال غيرهم: هو الطعام الطيّب، و قال آخرون: هو النوم الطيّب، قال الرضا عليه السلام و لقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى: ﴿**لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ فغضب عليه السلام و قال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به، و لا يمنّ بذلك عليهم، و الامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لا يرضى المخلوق به؟! و لكنّ النعيم حبّنا أهل البيت و موالاتنا، يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوّة، لأنّ العبد إذا وَفى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الذي لا يزول. و لقد حدّثني بذلك أبي، عن أبيه، عن آبائه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّ أوّل ما يُسأل عنه العبد بعد موته: شهادة أن لا إله الا الله، و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنّك وليّ المؤمنين بما جعله الله و جعلته لك، فمن أقرّ بذلك و كان يعتقده، صار إلى النعيم الذي لا زوال له[2]».

---

[1]- التكاثر: ٨

[2]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٢٩ ح ٨؛ **بحار الأنوار** ٢٤: ٥٠.

الإمامة و أُصول الدين

يعتقد الشيعة بأنّ الإمامة لم ولن تنفصل عن النبوّة، و إنّ ماجرى في تاريخ المسلمين من فصل الإمامة عن النبوّة بالخلافة السياسيّة هو أمر مسيّس و مدبّر.

و لن يكتمل الإيمان إلا بالاعتقاد بالإمامة المنصوصة التي رتّبتها السماء، و ماجرى من خلافات و معارك كلاميّة و سياسيّة بين فرق المسلمين لفصل هذا المنصب عن مقام النبوّة هو أمر خارج عن أصل الشريعة السماويّة، و هناك اتّفاق نسبي بين معظم الفرق الإسلاميّة بأنّ الإمامة أو الخلافة : هي النظام الذي جعله الإسلام أساساً للحكم بين الناس بهدف اختيار الأصلح من المسلمين لتجتمع حوله كلمة الأُمّة و تتّحد به صفوفها، وتقام به أحكام الشريعة.و يقول عبدالله بن عمر البيضاوي المتوفّى ٦٨٥ هـ.ق: بأنّ الإمامة عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص لرسول الله صلى الله عليه وآله في إقامة القوانين الشرعيّة و حفظ حوزة الملّة، ولكن الخلاف الذي وقع و مازال : هل الخليفة منصوص عليه أم للأُمّة أن تختاره، والشيعة ترى بأنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة التي

تفوّض إلى نظر الأمّة، بل هي ركن الدين، و قاعدة الإسلام. و في رأيهم أنّه لا يجوز أن يغفل النبيّ صلى الله عليه وآله هذا الركن و لا أن يفوّضه إلى الأمّة، و الإمام عليّ عليه السلام هو الذي عيّنه النبيّ صلى الله عليه وآله ليكون خليفة المسلمين[1] و من ثمّ بعده الحسن، والحسين عليهما السلام و السجّاد والباقر، والكاظم، والرضا، والجواد، والعسكريّين عليهما السلام لتختتم بالمهديّ القائم عليه السلام.

و من هذا الأساس تمسّك الشيعة بالإمامة باعتبارها أصلا من أُصول الدين و افترقوا عن أهل السنّة على هذا الأصل، ولكنّهم شاركوا فرق المسلمين بأنّ الإيمان: هو التصديق باللّه وحده وصفاته وعدله وحكمته، وبالنبوّة وبكلّ ما علم بالضرورة من دين النبيّ صلى الله عليه وآله[2].

و ترى الشيعة بأنّ الإمامة منصوصة في الكتاب و السنّة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[3] و قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[4] و قوله تعالى: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[5] و قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾[6].

و فسّر الباقر عليه السلام آية الأحزاب فقال: «جرت في ولد الحسين عليه السلام»، وقال: «نحن أُولو الأمر برسول الله من المؤمنين و المهاجرين و

---

[1]- ينظر محمّد بيومي مهران، **الإمامة و أهل البيت** ١: ١٤٨ ، ٢٨ .

[2]- ينظر **بحار الأنوار** ٦٩: ١٤٩.

[3]- النساء : ٥٩.

[4]- المائدة : ٥٥.

[5]- التوبة : ١١٩.

[6]- الأحزاب : ٦.

الأنصار[١]». و فسّر الصادقعليه السلام آية المائدة بأنّ «الذين آمنوا» يعني عليّاً و أولاده الأئمّة إلى يوم القيامة[٢]. و فسّر الباقرعليه السلام قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[٣]، بأنّهم آل محمّد. و قالعليه السلام: «نحن و الله أهل الذكر[٤]». و في السنّة نصوص تواترت على أنّ الأئمّة هم اثنا عشر إمامًا ومن قريش، و من هذه النصوص مارواها مسلم و غيره وكما وردت في صِحاحهم : «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة. و إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة» وفي بعضها : «كلّهم من قريش[٥]».

و في أخبار أُخَر : «أمراء أُمّتي -أو خلفاء أُمّتي — بعدد نقباء بني إسرائيل[٦]».

و روي عن أبيّ بن كعب أنّ النبيّصلى الله عليه وآله قال : «إنّ الله عزّ وجلّ أنزل عليّ اثنتي عشرة صحيفة، اسم كلّ إمام على خاتمه، و صفته في صحيفته»[٧].

و عن ابن عبّاس قال : «قلت : يا رسول الله، كم الأئمّة بعدك؟ قال: بعدد حواريّي عيسىعليه السلام، و أسباط موسىعليه السلام، و نقباء بني إسرائيل، قال:

---

[١]- **أُصول الكافي** ١: ٢٨٨.

[٢]- نفس المصدر.

[٣]- الأنبياء : ٧.

[٤]- **تفسير القمّي** ٢: ٤٢؛ **بحار الأنوار** ٢٣: ١٧٢.

[٥]- ينظر **صحيح مسلم** ٣: ١٤٥٢ ، كتاب الإمارة الناس تبع لقريش _ ط دار إحياء التراث العربي بيروت. و من هذه النصوص ما رواه جابر بن سمرة: «يكون بعدي اثنا عشر أميرًا كلّهم من قريش». و قد فصّل المجلسي في ذلك في **بحار الأنوار** ٣٦: ٢٣٤ و الصفحات اللاحقة.

[٦]- ينظر **مسند أحمد** بن حنبل ١: ٣٩٨؛ **مجمع الزوائد** ٥: ١٩٠.

[٧]- **تحفة الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار** لعماد الدين الطبري ص ٦١.

قلت : فكم كانوا؟ قال : اثنا عشر بعدي»[١].

و روى الحافظ سليمان الحنفي القندوزي بإسناده «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، اكتب ما أُملي عليك، قال: قلت : يا رسول الله، أتخاف إليّ النسيان؟ قال: لا، و قد دعوت الله عزّ وجلّ أن يجعلك حافظًا، ولكن اكتب لشركائك الأئمّة من ولدك، بهم تسقى أُمتي الغيث، وبهم يستجاب دعاؤهم، و بهم يصرف الله عن الناس البلاء، و بهم تنزل الرحمة من السماء، و هذا أوّلهم - و أشار إلى الحسن - ثمّ قال : وهذا ثانيهم — و أشار إلى الحسين - ثمّ قال : و الأئمّة من ولده رضي الله عنهم[٢]».

و قد تظافرت نصوص أُخرى تسمّي الأئمّة من صلب عليّ عليه السلام باعتبارهم قادة الأُمّة و أئمّتهم، و من هذه النصوص ما روى أبو هريرة قال : «كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله وأبوبكر وعمر والفضل بن العبّاس و زيد بن حارثة و عبد الله بن مسعود؛ إذ دخل الحسين بن عليّ عليه السلام فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله و قبّله ثمّ قال: حزقّة حزقّة ترقّ عين بقّة، ووضع فمه على فمه وقال : اللهمّ، إنّي أُحبّه فأحبّه، وأحبّ من يحبّه، يا حسين، أنت الإمام، ابن الإمام، أبوالأئمّة، تسعة من ولدك أئمّة أبرار. فقال له عبدالله بن مسعود: ما هؤلاء الأئمّة الذين ذكرتهم في صلب الحسين عليه السلام؟ فأطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال : يا عبد الله، سألت عظيماً، و لكنّي أُخبرك أنّ ابني هذا - ووضع يده على كتف الحسين عليه السلام - يخرج من صلبه ولد مبارك سَميّ جدّه عليه السلام، يسمّى: العابد، ونور الزّهاد، و يخرج الله من صلب عليّ عليه السلام ولدًا اسمه اسمي، وأشبه الناس بي، يبقر العلم بقراً، و ينطق

---

[١]- **تحفة الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار** لعماد الدين الطبري ص ٦١.

[٢]- **ينابيع المودة** ص ٢٠.

بالحقّ، و يأمر بالصواب، و يخرج الله من صلبه كلمة الحقّ ولسان الصدق، فقال له ابن مسعود : فما اسمه يا رسول الله؟ قال : يقال له: جعفرعليه السلام، صادق في قوله وفعله، الطاعن عليه كالطاعن عليّ، والرادّ عليه كالرادّ عليّ، ثمّ دخل حسّان بن ثابت وأنشد في رسول الله صلى الله عليه وآله شعرًا وانقطع الحديث.

فلمّا كان من الغد صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ دخل بيت عائشة ودخلنا معه أنا و عليّ بن أبي طالب و عبد الله بن العبّاس، وكان صلى الله عليه وآله من دأبه إذا سُئل أجاب، و إذا لم يسأل ابتدأ، فقلت له : بأبي أنت و أُمّي، يا رسول الله، ألا تخبرني بباقي الخلفاء من صلب الحسين عليه السلام؟

قال : نعم يا أبا هريرة، و يخرج الله من صلب جعفرعليه السلام مولوداً نقيّاً طاهرًا، أسمر، ربعة، سَميّ موسى بن عمران، ثمّ قال ابن عبّاس : ثمّ مَن يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله : يخرج من صلب موسى؛ عليّ ابنه يدعى: بالرضا، موضع العلم ومعدن العلم.

ثمّ قال عليه السلام: بأبي المقتول في أرض الغربة! و يخرج من صلب عليّ ابنه محمّد المحمود، أطهر الناس خلقًا و أحسنهم خلقاً. و يخرج من صلب محمّد عليّ ابنه طاهر الحسب، صادق اللهجة. ويخرج من صلب عليّ، الحسن الميمون النقيّ الطاهر، الناطق عن الله، وأبو حجّة الله. ويخرج الله من صلب الحسن قائمنا أهل البيت يملأها قسطًا وعدلا كما مُلئت جورًا و ظلمًا، له هيبة موسى، وحكم داود، وبهاء عيسى، ثمّ تلا عليه السلام: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[١] فقال له عليّ بن أبي طالب : بأبي أنت و أُمّي يا رسول الله، من هؤلاء الذين ذكرتهم؟ قال : يا عليّ، أسامي الأوصياء من بعدك، والعترة الطاهرة، و الذريّة المباركة، ثمّ

١- آل عمران : ٣٤.

قال عليه السلام: و الذي نفس محمّد بيده، لو أنّ رجلاً عبد الله ألف عام ثمّ ألف عام ما بين الركن و المقام، ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم لأكبّه الله في النار، كائناً مَن كائن»[١]. فههنا القرابة الطاهرة منصوص عليها، فهم قادة الأمّة السياسيّة و الروحيّة بعد نبيّه الكريم بالنصّ الشرعيّ القاطع، أمّا لماذا هم بالذات؟

هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، لماذا أنزل الله الوحي على محمّد و اختاره للرسالة؟ لماذا محمّد بالذات؟ لماذا موسى بالذات؟ هذا أمر بيد الله تعالى.

هذه القرابة هي مركز الدائرة بالنصّ، و هي سفينة النجاة بالنصّ، و هم باب حطّة بالنصّ، و هم نجوم الهدى بالنصّ، وهم الأسبق بالإيمان بالنصّ، و هم الأتقى بالنصّ، وهم الأعلم بالنصّ، وهم الأكثر بلاءً بالنص، ومحبّتهم مفروضة على الجميع بالنصّ، وعميدهم في كلّ زمان هو الإمام الشرعيّ للأمّة[٢].

و روى الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي جملة من الأخبار في هذه المضامين منها : قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «معرفة آل محمّد براءة من النار، وحبّ آل محمد جواز على الصراط، و الولاية لآل محمّد أمان من العذاب». و قال صلى الله عليه وآله : «أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء».

و قال صلى الله عليه وآله: «أيّها الناس لم يعط أحد من ذرّيّة الأنبياء الماضين ما أُعطي الحسين بن علي خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، أيّها الناس، إنّ الفضل و الشرف و المنزلة و الولاية لرسول

١- **كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر** للخزّاز ص ٨١ ؛ **بحار الأنوار** ٣٦: ٣١٢.

٢- أحمد حسين يعقوب، **نظريّة عدالة الصحابة**: ٢٩.

الله و ذرّيّته فلا يذهبنّ بكم الأباطيل[١]».

و قال ﷺ : «ألا من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له. ألا و من مات على حب آل محمّد مات تائبًا. ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنة، ثمّ منكر و نكير... ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة و الجماعة[٢]...»

---

[١]- **ينابيع المودة** : ٢٠ - ٢٢.

[٢]- نفس المصدر ص ٢٧.

المواجهات و التحدّيات للأئمّة

أفرزت الأديان السماويّة و غيرها عن طائفتين من الرجال: طائفة يقـال لهم: رجال الدين، و طائفة يطلق علـيهم: رجـال الدولـة، أو السياسـة، أو الملك، أو رجال السلطة، و غيرها من المصطلحات التي يمكن ملاحظتها في تاريخ الأمم و الأديان، إن لم نقـل: جلّهـا، فالرجـال الـذين اختصّـوا بتعاليم الديانة و دروسها و مبادئها انزووا عن الدولـة بصـفة مـوظّفين أو مدراء لها، بل كان لهم وظيفة أكبر و أخطر من الدولة نفسها التـي يـدين شعبها و حكّامها لها، وهي تأسـيس المبـادىء والمحافظـة عليهـا، وهـذا النمط من الرجال الذين يسعون للمبادىء و القيم تميّـزوا عـن الآخـرين بالتأييد الغيبي أو الديني الذي يعزّز سلطتهم و قوّتهم، و من هذه الطائفـة برز عنوان الإمام المعصـوم المؤيَّـد بالنصـوص فـي تاريخنـا الإسـلاميّ المجيد، إلا أنّ مواجهات و تحدّيات برزت و مازالت تحاول زعزعة هذا الإمام المظلوم المكلّف واقتلاعه من أذهان الناس.

و أبرز هذه المواجهات كانت مع التيّار القبلي، ومن ثمّ التيّار السلطوي الذي كان له جولات من المعارك والحروب مع رموز الإمامة النصّيّة، فلم يحظ مبدأ الإمامة النصيّة بقبول عامّ للمسلمين كافّة، بل جرى هنا و هناك

معارضة و تجاهل لهذا المبدأ.

و رفْض جماعة من المسلمين لمبدأ النصّ في موضوع الإمامة قد أوقعهم في اضطراب و حيرة عظيمين حول منشأ شرعيّة الإمام، فهل هو الاختيار، أوالعهد، أوالشورى الخاصّة والمحدودة، أو الغلبة والقهر؟ فإنّ كلّ واحدة من هذه كانت تمثّل منشأ لخلافة أحدهم، وفي خلال فترات زمنيّة متقاربة، بحيث أوجد صعوبة واضحة في تبرير ماحصل، و لذا لجؤوا فيما بعد إلى إعطاء و إضفاء المشروعيّة على هذه المناشىء بأجمعها كأفضل سبيل للتخلّص من هذا المأزق، و لو كلّف ذلك تحريفاً للحقيقة. ولا تجد تفسيراً لذلك كلّه إلا رغبتهم الجامحة وحرصهم الشديد على استبعاد النصّ و تصويب عمل الواصلين إلى السلطة بشتّى الوسائل، ومن هنا كانت البيعة عندهم وسيلة لتثبيت هذه الطرق كلّها إلى الإمامة، فطلبوها من أفراد و جماعات الأمّة في مختلف الأحوال و الظروف بالرضا و الإكراه[١].

و كانت الجماعات الرافضة لمبدأ النص تشكّل رؤوس و أعمدة الفكر القبلي.

و يمثّل الفكر القبلي في صدر الإسلام المكّيّون، و قد كان أهل مكّة عند ظهور الإسلام يرجعون نسبهم إلى قريش، ومعنى هذا أنّ غالبيّة أهلها كانت على هذا النسب حين تنتسب، جريًا على عرف الناس في ذلك العهد في إرجاع نسبهم إلى جدّ أعلى يفتخرون و يتباهون به، يتساوى في ذلك أهل الوبر و أهل المدر، فأمر مكّة إذن في أيدي قريش، في القرن السادس للميلاد أخذته من جماعة كانت هي المسيطرة عليها قبلها تدعى: خزاعة، و الذي مكّن قريشًا من خزاعة و سلّمها مكّة هو

---

[١]- علي أمين جابر، **البيعة و نظام الحكم في الإسلام** ص ١٢٢.

زعيم من زعمائها عرف بالكياسة والسياسة والحذر هو: قُصي، وكان قصيّ زعيمًا و تاجراً، جمع مالا كثيراً، وولي عناية البيت الحرام، وثبّت حكم قريش في المدينة حتّى صار لقومه نفوذ على سائر القبائل[١].

و لغرض تنظيم الأمور الإداريّة و السياسيّة في مكّة توصّلت بطون قريش إلى صيغة سياسيّة قائمة على اقتسام مناصب الشرف فيما بينهما، من: قيادة، ولواء، وندوة، وسقاية، و رفادة، وسفارة... و الأسهم السياسيّة المحدودة في هذه الصيغة أقصى ما استطاعت البطون أن تنتزعه، ولاح لهذه البطون أنّها أفضل صيغة سياسيّة على الإطلاق، إذ ليس فيها غالب و لا مغلوب، فالمناصب السياسيّة قدر مشترك بين البطون، ولا مصلحة لأيّ بطن بتغيير هذه الصيغة، لأنّه لو حاول التغيير فلا يعرف على وجه الجزم و اليقين عواقب محاولته فقد يفقد ما حقّقه، ثمّ إنّ الأمور قد استقامت و نظّمت أُمور ولاية البيت الحرام، فارتاحت كلّ البطون لهذه الصيغة، ومع الأيّام أصبحت عنوان عقيدة سياسيّة و أثراً مأثوراً ممّا تركه الأوّلون، و من غير الجائز الخروج عليه من قبل أيّ كان. و في السنين العجاف لم يكن لمكّة غير هاشم يطعم الناس و يشبعهم، ولم تزل مائدته منصوبة في السرّاء و الضرّاء، فخشي أُميّة بن عبد شمس منه و حسده فتكلّف أن يصنع ما يصنع هاشم فعجز عن ذلك فعيّرته قريش، فدعا هاشماً للمنافرة فأبى، ثمّ تنافرا فقضى الحكم بأنّ هاشماً أشرف من أُميّة، فكانت هذه بذرة العداء الأولى بين البيتين الهاشميّ و الأموي[٢].

فسرت هذه العداوة – و التي كان ينبغي أن تموت مع اضمحلال العصر الجاهليّ و تهافت الأوثان و سقوطها – و امتدّت إلى عصور

١- الدكتور جواد علي، **تاريخ العرب في الإسلام** ص ٤٨.

٢- المحامي أحمد حسين يعقوب، **نظريّة عدالة الصحابة** ص ٨٣

الإسلام الأولى. و ورث أهل النبيّ المعصومون الإمامة الدينيّة و السياسيّة بكلّ أثقالها و أوزارها و معرّاتها، و خاصّة في موضوع الحكم و الخلافة و إدارة أمور الأمّة، ولكن المسألة لم تحسم بالاحتكام إلى النصوص، بل دخلت في منعطفات كثيرة، أدّت إلى رفض النصوص أو توجيهها باتجاه مغاير، و لم تكن قريش وحدها هي المتمرّدة على النصّ أو العابرة له، وكما يظهر ذلك جلياً من مجمل الأحداث التي جرت في صدرالإسلام وأوّله والتي رسمت الخريطة السياسية للمسلمين .ومن الباحثين من أشار لذلك بقوله:

«كان الناس يعتبرون مسألة الحكم وإدارة شؤون الناس مسألة نبويّة تضعها الشريعة الإلهيّة في موضعها المناسب لحسم الصراع بين الناس، وتجسيداً لأعلى درجات الطاعة في المجتمع لكنّها تحوّلت مسألة الحكم إلى مثار صراع بين قبيلة قريش و القبائل العربيّة كلّها، فلم نجد قبيلة من قبائل العرب بعد تحكيم المنطق القبليّ في الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا و رأت نفسها مؤهّلة للقيادة وزعامة المسلمين أوزعامة نفسها سياسيّاً على الأقلّ، لاسيّما وأنّ المسألة قد خرجت عن إطار التصميم النبويّ لطريقة الحكم بعد النبيّ ﷺ، وتحوّلت إلى حكم قبليّ تقوده قبيلة قريش و حلفاؤها.

و لذا يتصوّر بعض المحلّلين للأحداث بعد النبيّ ﷺ أنّ اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة و دعوتهم لزعامة سعد بن عبادة الخزرجي كان من أجل تأمين مستقبلهم السياسي، بعد ما شعروا بأنّ الملأ من قريش صرفوا نظرهم عن أطروحة النبوّة في الحكم بعد الرسول ﷺ

المتمثّلة في إعلان عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامًا و زعيمًا للمسلمين[١]». و عاش الأئمّة عليهم السلام هذه المشكلة بكلّ تفاصيلها، فلم تجد هذه المشكلة نهايتها في أن يؤخّر عليّ عليه السلام عن مقامه الديني و السياسي، ثمّ بعدها يمارس الأئمّة دورًا آخر يمكّنهم من مواصلة هذه الرسالة التي بها يكتمل الإسلام، بل ظلّت الإمامة تواجه تحدّيات و مشكلات وعقبات تتجدّد مع تجدّد الزمان، كما كانت النبوّة التي حمل أعباءها خاتم الأنبياء و الرسل محمّد صلى الله عليه وآله في البدايات الأولى لإعلانها، وأبرز هذه التحدّيات آنذاك هي قبيلة قريش التي كانت تناصب النبيّ صلى الله عليه وآله العداوة.

و كانت قريش تقيم في طريقه العقبات، و تصفه بالسحر تارة، و تحذّر العرب في المواسم و الأسواق من شرّه و سحره ليقاطعوه، و تحصره و آله في الشّعب حتّى كادوا يهلكون جوعًا، وتصبّ على أصحابه ألوان العذاب حتّى تخرجهم من ديارهم و أموالهم، و تتآمر على قتله حتّى يفرّ منها مهاجرًا إلى المدينة، ثمّ تتعقّبه هناك في مهاجره فتغزوه المرّة بعد المرّة، و تتآمر مع اليهود عليه فيحاولون اغتياله و يجمعون له الأحزاب، و يؤلّبون عليه القبائل[٢]. و لم تكتف قريش من كلّ هذا حتّى حرّكت من بيته الهاشميّ عمّه أبا لهب؛ ودفعت امرأته أُمّ جميل بنت صخر أيضًا ليبايعهم و يباركهم على قتل ابن أخيه فنزل قوله تعالى:﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ** ﴾[٣].

---

[١]- عبدالزهراء عثمان محمّد، **المعارضة السياسيّة في تجربة أمير المؤمنين** عليه السلام، دار الهادي بيروت – ط الأولى ص ٤٠.

[٢]- أمين الدويدار، **صور من حياة الرسول** – دار المعارف مصر ص ٤٦٨.

[٣]- المسد : ١– ٥.

فصارت عندها قريش - بمن بعد وقرب - محنة النبيﷺ و مشكلته الأولى، مع أنّهم الأصل و المحتد والمرجع لكنّهم صاروا له القوس الذي تنطلق منه سهام العداوة، و ترشقه بنيران حاقدة حارقة، لم تحفظ حرمته و نسبه بينهم، إلا أنّ الذي عادى محمّداًﷺ منهم و حاربه هم صناديد قريش، و التجّار الكبار، و المرابون، و النخّاسون، ومستغلّو عرق العبيد و الإماء، و ذلك لسببين:

الأوّل : أنّه نادى بالتوحيد، و نبذ الشرك، وعبادة الأصنام، وهذا شكّل خطراً داهمًا على مصالحهم التجاريّة و مكاسبهم الماليّة، التي كانوا يجنونها من وراء التعدّدية الوثنيّة، و التي كانت مكّة هي عاصمتها الأولى، وإليها يحجّ و يعتمر العرب من كلّ صوب و حدب من الجزيرة العربيّة، و يقصدون الأسواق التي نصبت في منطقة الحجاز قُبيل و بُعيد مواقيت الحجّ الأكبر.

و الآخر : أنّه دعا إلى العدالة الاجتماعيّة و المساواة بين البشر جميعهم، لا فرق بين غنيٍّ أو فقير، ولاسيّد وعبد وأمة. و هذه الدعوة ستحرمهم من استرقاق العبيد رجالاً و إماءً و الذين كانوا قوّة إنتاجيّة و سلعة استهلاكيّة، فضلاً عن أنّ العربيّ المستكبر، في طبعه الأنفة و الكبرياء اللذان يدفعانه إلى رفض مبدأ التساوي مع من هم أقلّ منه ثروةً أو أدنى منه منزلة اجتماعيّة[1].

[1]- ينظر خليل عبد الكريم، **قريش من القبيلة إلى الدولة المركزيّة** ص ٢٢١.

المعركة الثقافيّة و حرب النصوص

كانت أكبر مؤامرة دبّرتها قريش للإطاحة بالنبيّ صلى الله عليه وآله و برسالته حين ألّبت قبائل العرب مع اليهود لمنازلته في معركة كبيرة أشار لها القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾**[1]، حيث نزلت في قصّة الأحزاب من قريش و العرب الذين تحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، فتجمّعت قريش في سنة خمس من الهجرة و ساروا في العرب و جلبوا و استفزّوهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله فوافوا في عشرة آلاف و معهم كنانة و سليم و فزارة وانضمّ لهم يهود المدينة[2]. ولكنّهم هُزموا هزيمة نكراء بعد إذ جمعوا كلّ قواهم. و لم تنفكّ قريش بعدها عن تدبير المؤمرات لتقويض وهدّ الصرح الرسالي، إلّا أنّ الله لم يترك نبيّه لمؤامراتهم فيندحر و يضعف، لذا أخذت العداوة القرشيّة شكلا آخر في التهديم و التقويض امتدّ هذه

---

[1]- الأحزاب : ٩ و ١٠.

[2]- ينظر **تفسير القمّي** ٢: ١٥٢.

المرّة إلى النصوص في مرحلة صعبة و حرجة يمكن أن نسمّيها : حرب النصوص. و كان الفكر القبليّ هو الوسيلة و الآليّة التي استخدمت في إيجاد التكتّلات و القوى التي أبعدت النصّ و الاتّجاه النصّي من أن يلعب دوره في الحياة السياسيّة للمسلمين.

و كان المفروض أن يكون النصّ هو المحور و الحاكم الذي يستقطب كلّ الاتّجاهات و القوى. و قد بدأت إرهاصات و خيوط الفكر القبليّ تتشكّل في المدينة عقب، أو أثناء مرض النبيّ صلى الله عليه وآله الذي نقل فيه إلى الرفيق الأعلى، و عندها ظهرت كتلة قويّة تنتسب إلى قريش لعبت دورًا كبيراً في تاريخ المسلمين ووقفت كندٍّ قويٍّ ومعارض للنصوص التي تقف إلى جانب الإمامة الشرعيّة، و طرحت مفهوم الخلافة السياسيّة و الرأي بدل النصّ و الإمامة الشرعيّة التي تسعى إلى هداية الأمّة و الأخذ بيدها نحو الصراط المستقيم، و من هنا بدأت المواجهات و التحدّيات بين المنهج الإمامي و المتمثّل برجالاته و رموزه، و بين المنهج الجاهلي و تكتّلاته و رموزه القبليّة التي أفرزت تيّارًا و فكرًا معاديًا لمنهج الإمامة الشرعيّة فتصدّى له على حقب زمنيّة كانت طويلة و متعاقبة في تاريخ المسلمين.

فالفكر القبلي لا يستسيغ نصوصاً توجب حقّاً لأهل البيت عليهم السلام، أو توصي بشخص عليّ عليه السلام بصفته أوّل إمام في منصب الإمامة الشرعيّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، فالنصّ يقول : «من آذى عليّاً فقد آذاني، و من أطاعني فقد أطاع الله، و من عصاني فقد عصى الله، و من أطاع عليّاً فقد أطاعني، و من عصى عليّاً فقد عصاني[1]» و بالتالي كانوا يرون لا بدّ من تطويق النصوص و تحجيمها و إيقاف العمل بها. و يتحدّث الباحث باسم الحلّي

[1]- **المستدرك للحاكم** النيسابوري ٣: ١٢٠ و ١٢٢ – ط دار المعرفة بيروت.

عن هذا الشعور القبليّ بالقول : أدركت قريش أنّ السماح لسنّة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله بالانتشار كفيل بإماتة نوازعها القرشيّة و مجدها الجاهلي (ظنّ الجاهليّة) و هو في مهده، فإنّ الرضوخ لقوله صلى الله عليه وآله: «اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله» ينطوي على الانقياد لعليّ عليه السلام في كلّ شيء[١].

و لذا يلاحظ أنّ حكومة البطون القرشيّة، التي نشأت بعد مؤتمر السقيفة الذي عُقد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ببعض ساعات، كانت قلقة جدّاً من قطّاع واسع من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، خصوصًا تلك الأحاديث التي تعكس مفاهيم سياسيّة تدين مسيرة الحكم الجديد وبعض رجالاته و مقرّبيه بدرجة وأُخرى.

ففي بعض الأحاديث النبويّة تجسيد لمضمون الحكومة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله و تشخيص لمن يلي مهمّة قيادة المسلمين فكريّاً و سياسيّاً، كما تعكس ذخيرة من النصوص النبويّة الشريفة حقيقة بعض القوى والعناصر ومواقفها السلبية من النبوّة و النبيّ صلى الله عليه وآله والدعوة الإلهية، و حقيقة قوى أُخرى و دورها المشرّف في خدمة الإسلام.

و حيث إنّ رصيدًا كبيرًا من الأحاديث النبويّة تأخذ هذا المنحى سواء ما كان من الأحاديث التي قيلت في مناسبات معيّنة، أو كانت تلك الأحاديث التي أوضحت مداليل بعض الآيات و السور، و فصّلت في مضامينها المجملة في نصوص القرآن الكريم. و لذا فإنّ حكومة الخلافة التي نهضت بقيادة المسلمين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله رأت حرجًا شديدًا من شيوع تلك الأحاديث و تلك الثقافة و انتقالها إلى الأجيال القادمة وإلى شعوب البلاد التي فتحت حديثًا، لأنّ شيوع مثل تلك النصوص سيجرّد الحكومة

---

[١]- باسم الحلّي، **الرسول المصطفى و مقولة الرأي** ص ٥٦٧.

و شخوصها المهمّة من شرعيّتها وقيمتها المعنويّة التي تحتاجها كلّ حكومة، وكلّ حاكم عادة، إضافة إلى أنّ تلك النصوص ترشد المسلمين عبر الأجيال، وتأخذ بأعناقهم إلى قوى و شخوص عملت السلطات الرسميّة على إبعادها عن مواقعها الطبيعيّة في قيادة التجربة الإسلاميّة الرشيدة، ومن أجل ذلك قامت القيادة الرسميّة بعد النبيّ ﷺ باتّخاذ إجراءات ثقافيّة صارمة لمواجهة هذه الحالة التي تهدّد وجودها بالخطر حاضرًا و خطّها السياسي مستقبلاً. و قد تركّزت تلك الإجراءات عمليًّا على محاربة السنّة النبويّة بشكل عام، لصعوبة حصر النصوص السياسيّة و ما يتعلّق منها بتقويم الأشخاص والقوى.

و هكذا اتّخذت تلك الإجراءات التاريخيّة الصارمة مسارين اثنين :

١- تبنّي الحكومة خطّة واسعة لمنع تدوين السنّة النبويّة أو نشرها، و ملاحقة المخالفين لتلك الإجراءات قانونيًا. واتّخذت هذه الخطّة معنى الانقلاب الثقافي.

٢- و من الطبيعي أن يطال هذا الانقلاب الثقافي أبرز مظاهرها ـ أي: السنّة - بعمليّة المحاصرة للسنّة النبويّة، و منها التفسير النبويّ للقرآن الكريم و شرح مضامينه. فقد كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن سورة أو آية أو آيات يباشر بشرح مداليلها لصحابته ليفيدوا منها علمًا أو عملا، لاسيّما وأنّ جلّ آيات القران الكريم تحتاج إلى شرح و تفصيل ممّن يدرك أسرار الوحي الإلهي الذي يأتي مجملا في الأعمّ الأغلب، كما يتّضح من آيات الصلاة والزكاة مثلا، التي لا تتحدّث عن عدد ركعات، ولاعن قيام ولاجلوس، ولاذكر ولاقراءة، ولاعن علاج للشكوك أو السهو في الصلاة، وما إلى ذلك. كذلك الحال بالنسبة إلى الزكاة في مثالنا، حيث لا يتحدّث الكتاب العزيز عن نصاب الزكاة، ولا عن مصادر الزكاة،

ولاطرق توزيعها أوجبايتها، وما إلى ذلك من أُمور. و كذا في سائر الأحكام و المفاهيم و العقائد و القيم و معالجات المشاكل الاجتماعية و السياسيّة، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفصّل هذا الإجمال، و يفكّ الرموز، و يرشد إلى صور التطبيق لأحكام الله عزّوجلّ، ومراده من العباد، وكان غالبية الكتّاب من الصحابة يدوّنون ذلك التوجيه في مصاحفهم إلى جانب النصّ القرآني.

و كان من التفسير النبويّ للقرآن الكريم ما يعطي انطباعًا سيّئًا عن بعض وجوه قريش[١].

و من هذا جاءت رواية الكليني عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قوله : «دفع إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام مصحفًا و قال : لا تنظر فيه، ففتحته و قرأت فيه: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[٢] فوجدت فيها اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم و أسماء آبائهم. - قال الراوي -: فبعث إليّ الرضا عليه السلام : ابعث إليّ بالمصحف[٣]».

و الظاهر من هذه الرواية أنّ المصحف عليه تذييل و توضيحات وضعت لكل سورة. كما و أنّ رقم سبعين يوحي بثقل و قدرة الكتلة القرشيّة في تعيين و تحديد مسار الأحداث التي كانت تشكّل الصورة آنذاك.

و قد طال التحرّك الثقافي القراءات القرآنيّة التي أكّدت النصوص صواب هذه القراءات، و من تلك النصوص التي أكّدت صحّة هذه القراءات رواية ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله : «أقرأني جبرئيل عليه السلام على

١- ينظر عبدالزهراء عثمان محمّد: **المعارضة السياسيّة في تجربة أمير المؤمنين** ص ٢٩.

٢- البيّنة : ١.

٣- **أصول الكافي** ٢: ٦٣١ ح ٨

حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني حتّى انتهى إلى سبعة أحرف[١]».
و كذا رواية أُبيّ بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام: «إنّ الله يأمرك أن تقرأ أُمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيّما حرفٍ قرؤوا عليه فقد أصابوا[٢]».

و يتحدّث الأستاذ خليل عبد الكريم عن التيّار القرشيّ الذي عارض القراءات القرآنيّة قائلا: «كان عبد الله بن مسعود من أعيان علماء الصحابة، وبعد وفاة الرسول عليه السلام رحل إلى الكوفة و أخذ يفيض هناك على المسلمين من علمه الذي نهله من الرسول عليه السلام، وأسّس فيها (أي الكوفة) مدرسة مرموقة لها تاريخ ناصع بين مدارس العلم الإسلاميّ بعمومه. و قد كان في الكوفة ستّون شيخًا من أصحاب عبد الله بن مسعود، و كان في بني ثور الذين نزلوا الكوفة ثلاثون رجلا ما فيهم دون الربيع بن خيثم المشهور بعبادته وورعه وعلوّ مكانته في الحديث، وكان فيها كميل بن زياد النخعي، وعامر بن شراحيل الشعبي، وسعيد بن جبير الأسدي، و إبراهيم النخعي، و أبو إسحاق السبيعي، وعبدالملك بن عمرو، وغيرهم. وهذا الصحابي العالم عبدالله بن مسعود عندما سمعه عمر بن الخطّاب يقرأ «عتّى حين» أي «حتّى حين» و هي جزء من الآية ١٧٤ من سورة الصافّات، أنكر عليه ذلك و كتب إليه : إنّ القرآن لم ينزل بلغة هذيل - و هي قبيلة عبد الله بن مسعود - فأقرىء الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل.

و كان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة. أي أنّ عمر بن الخطّاب كان يرى أنّه ليس من حقّ المسلم أن يقرأ القرآن إلا بلهجة

---

[١]- **صحيح مسلم** ١: ٥٦١ رقم ٢٧٢ (٨١٩).

[٢]- نفس المصدر ١: ٥٦٢ رقم ٢٧٤ (٨٢١).

قريش، على الرغم من وجود حديث صحيح و مشهور «أنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه». إنّ عمر بن الخطّاب أنكر على عبد الله بن مسعود قراءة القرآن بلهجة هذيل، مع وجود الرخصة التي حملها الحديث الشريف الذي كان هو (أي عمر) أحد رواته، و أمره بحزم بضرورة القراءة بلغة قريش حتّى لا يكون لها أي منافس، لاهذيل ولاغيرها، و ليزداد الناس التفافاً حولها، وهذا منزع سياسيّ لحمًا و دمًا»[١].

و مجمل الأحداث التي جرت في تاريخ المسلمين تؤكّد أنّ التكتّل القرشيّ كان قويّاً و ضاربًا بجذوره في وجدان العرب فأفرز ظاهرة اجتماعيّة و سياسيّة أشار لها ابن خلدون عند حديثه عن عصبيّة قريش وأثرها في الأحداث السياسيّة للمسلمين، كما ظهر في مقتل الحسين عليه السلام قائلاً: «و أمّا الحسين عليه السلام فإنّه لمّا ظهر فسق يزيد عند الكافّة من أهل عصره بعث شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره، فرأى الحسين أنّ الخروج على يزيد متعيّن من أجل فسقه لاسيّما من له القدرة على ذلك، و ظنّها من نفسه بأهليّته وشوكته.

فأمّا الأهليّة فكانت كما ظنّ وزيادة. و أمّا الشوكة فخلط يرحمه الله فيها، لأنّ عصبيّة مضر كانت في قريش و عصبيّة قريش في عبد مناف، و عصبيّة عبد مناف إنّما كانت في بني أُميّة تعرف ذلك لهم قريش و سائر الناس، ولا ينكرونه و إنّما نسي ذلك أوّل الإسلام لِما شُغل الناس من الذهول بالخوارق وأمرالوحي وتردّد الملائكة لنصرة المسلمين فأغفلوا أُمور عوائدهم، وذهبت عصبيّة الجاهليّة و منازعها ونُسيت، ولم يبق إلا العصبيّة الطبيعيّة في الحماية و الدفاع ينتفع بها في إقامة الدين و جهاد

---

[١]- **قريش من القبيلة إلى الدولة المركزيّة**، سينا للنشر، القاهرة - ط الأولى ص ٧.

المشركين، والدين فيها محكّم و العادة معزولة، حتّى إذا انقطع أمر النبـوّة و الخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعـادت العصـبيّة كما كانت و لمن كانت، وأصبحت مضر أطوع لبني أُميّة من سـواهم بمـا كان لهم من ذلك قبل[1]».

---

[1]- **تاريخ ابن خلدون** ١: ٢٢٨ - ط دار الكتب العلميّة بيـروت. و المـراد بالشـوكة هنـا علـى رأي ابـن خلدون قوّة الحسين عليه السلام العسكريّة و القبليّة.

المواجهة القرشيّة لعليّ عليه السلام

كانت معاناة و مقاساة الإمام عليّ عليه السلام مع التكتّل القرشيّ شاقّة و مؤلمة، قدحت الحزن في قلبه عليه السلام فقال: «اللهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، و صغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمرًا هو لي، ثمّ قالوا : ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تتركه».

و قال في أصحاب الجمل: «فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجرّ الأمّة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، و أبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما و لغيرهما في جيش ما منهم رجل إلا وقدأعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة، طائعًا غيرمكره، فقدموا على عاملي بها و خزّان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً و طائفة غدرًا. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد، دع ما أنّهم قد قتلوا

من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم[١]».

و في شكاية له عليه السلام منهم قال أيضًا: «فإنّهم قد قطعوا رحمي، وأكفؤوا إنائي، و أجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري، و قالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه، و في الحقّ أن تمنعه، فاصبر مغمومًا، أومُت متأسّفًا، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذابّ ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنيّة، فأغضيت على القذى، و جرعت ريقي على الشجا، و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، و آلم للقلب من وخز الشّفار[٢]».

و ظلّ الإمام يئنّ و يشكو من فلول و قوى تتجمّع هنا و هناك لتمتشق سيف البغي و الباطل و تعلن ثورة العصيان و الجهل بوجه الهادي المهديّ الذي أراد أن يضعهم على جادّة الصواب، ولكنّهم أبوا و طغوا وحاصروا عليّاً وأولاده عليهم السلام و جرّعوهم كأس الغموم و الهموم. فالمحاصرة لهم عليهم السلام كانت موجودة من مرحلة مضت، إلا أنّ المحاصرة هنا انسابت لها قوى جديدة لم تكن في الجبهة المعادية لعليّ عليه السلام، بل كانت معه يومًا من الأيّام، فهنا ضرب أئمّة الهدى من قبل الجهّال كما ضرب أبوهم من قبل، ولكن القوّة الجديدة التي ظهرت كانت على معرفة و دراية بحقّهم عليه السلام، فهنا ظهر أئمّة جدّد من أئمّة المصالح و الشهوات وقفت قبال أئمّة الهدى، وبدأت من هناك شرارات تنطلق هنا وهناك، فاشتعلت معركة شعواء بين الإسلام الحقيقيّ الذي ينتسب إلى النبيّ وأهل بيته عليهم السلام، وبين الإسلام المزيّف الذي لبسه مجموعة من

---

[١]- **نهج البلاغة** ص ٢٤٦ من خطبة له عليه السلام رقم ١٧٢، وهنا يعرّض عليه السلام بطلحة و الزبير لإخراجهما عائشة في وقعة الجمل.

[٢]- **نهج البلاغة** ص ٣٣٦ من كلام له عليه السلام رقم ٢١٧.

الساعين و الداعين لتأمين مصالحهم و منافعهم الشخصيّة انضاف لهم لاحقاً جمع من السلاطين و خدّام السلاطين و ولاة الجور. و قد تجحفل عسكر ضخم أيّده وموّله المنافقون و أعداء الدين تحت لافتة الإسلام الأموي، الذي جرّع الأمّة كؤوس الظلم على يد السلاطين و الحكّام الجائرين الذين خرجوا من بيوتهم و بلاطهم، وصار إسلامهم هذا عنوانًا متقاطعًا مع الإسلام النبويّ الذي أراده الله تعالى و نبيّه صلى الله عليه وآله للأمّة.

يقول الورداني : «و كانت صفّين هي المنعطف الذي انبثق منه الإسلام الأموي و ساد واقع المسلمين. و كان ضرب خطّ الإسلام النبويّ الذي رفع لواءه الإمام عليّ عليه السلام و تقوقعه هو بداية غياب التصوّر الإسلامي الصحيح من هذا الواقع... و منذ ذلك الحين بدأ معاوية و بني أُميّة من بعده عمليّة تأسيس جديدة للإسلام معتمدين فيها على الخطّ القبليّ ورموزه البارزة وعلى الرموز الأُخرى التي تحالفت معهم...

و أصبح هذا الإسلام هو الإسلام الشرعيّ الذي حاز على رضا الحكّام على مرّ الزمان من بني العبّاس و غيرهم، فقد وجدوا فيه الحصانة والشرعيّة التي تؤهّلهم لمواجهة الإسلام النبويّ والخارجين عليهم. وأصبح الإسلام الأموي مباحًا و خطّ الإمام عليّ عليه السلام محظوراً و مجرمًا يبطش بأتباعه و ينكّل بهم. و أصبح الإسلام النبويّ إسلام باطل يقود إلى النار، وأصبح الإسلام الأُمويّ إسلام حقّ يقود إلى الجنّة.

و لقد عاش الإسلام الأموي في كنف الحكومات و رعايتها و حمايتها فتحقّقت له السيادة و البقاء. و ضرب الإسلام النبويّ واغتيل أئمّته فاضطرّ إلى الاختفاء[1].

---

[1]- صالح الورداني، **السيف و السياسة في الإسلام**، دار القاريء بيروت - ط الثانية - ص ١٦٣.

و أوّل قافلة شهدت الاغتيال السياسي للإسلام النبويّ كانت مسطورة في كتاب الغدر الأُموي، هي قافلة حجر بن عديّ الكندي. و حجر أوّل من قتل صبراً في الإسلام، حمله زياد من الكوفة و معه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة و أربعة من غيرها، فلمّا صار على أميالٍ من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول :

ترفّع أيّها القمر المنير   لعلّك أن ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب   ليقتله كذا زعم الأمير
و يصلبه على بابي دمشق   و تأكل من محاسنه النسور

و لمّا صاروا إلى مرج عذراء، على اثني عشر ميلاً من دمشق، بعث معاوية له من يقول لهم : تبرّؤوا من أبي تراب و إلا قتلكم، فقال حجر و جماعة ممّن كان معه: «إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعونا إليه، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار[1]» و كان عليّ عليه السلام أخبره عن هذا بقوله له : «كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة منّي، فما عساك أن تقول؟» فقال حجر : «و الله يا أمير المؤمنين، لو قطّعت بالسيف إربًا إربًا و أُضرمت لي النار و أُلقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك» فقال عليه السلام: «وفّقت لكلّ خير يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّك[2]». و هكذا كان حجر و من جاء بعده أو رافقه أو عايشه يمثّلون الإسلام النبويّ تمثيلاً صادقًا و رائعا.

و من الذين مثّلوا الإسلام النبويّ عمرو بن الحمق الخزاعي، و الذي قال لعليّ عليه السلام حين اضطرب أصحابه و جنده في صفّين: «يا أمير المؤمنين، إنّا والله ما أجبناك ولا نصرناك عصبيّة على الباطل، ولاأجبنا إلا

---

[1]- **ينظر مروج الذهب** للمسعودي ٣: ٣.

[2]- **بحار الأنوار** ٤٢: ٢٩٠.

لله عزّوجلّ، ولاطلبنا إلا الحقّ، ولودعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لاستشرى فيه اللجاج و طالت فيه النجوى، وقد بلغ الحقّ مقطعه، و ليس لنا معك رأي[١]»، حيث نفى الرأي و القياس والنظر له ولجماعته مع وجود عليّ عليه السلام بينهم، و هذا تسليم و اعتقاد يقينيّ منه صادق بأنّه يسير خلف إمام معصوم كامل مسدّد، لا يأخذ به إلّا نحو الصواب.

و لمّا وجد عليّ عليه السلام فيه بصيرةً في نصرته قال: «اللهمّ نوّر قلبه بالتقى، واهده إلى صراطك المستقيم، ليت أنّ في جندي مائة مثلك[٢]» و قد أخبره عليه السلام عن شهادته و قال له: «إنّك لمقتول بعدي، وإنّ رأسك لمنقول، وهو أوّل رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك[٣]!» و قد قالوا فيه : إنّ عمرو بن الحمق كان من أمير المؤمنين عليه السلام، بمنزلة سلمان من رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

و من خطّ الإسلام النبويّ عمّار بن ياسر صاحب القول الشهير في صفّين : «و الله، لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و هم على الباطل».

و قد قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة : عليّ، و عمّار، و سلمان». وقال صلى الله عليه وآله له أيضاً : «إنّك من أهل الجنّة، وتقتلك الفئة الباغية[٥]» يشير صلى الله عليه وآله إلى أصحاب معاوية الذين بغوا على عليّ عليه السلام، و أخذته سيوفهم جهلاً بقدر هذا الصحابيّ الجليل و سقوه كأس الشهادة.

---

[١]- **وقعة صفّين** ص ٤٨٢.

[٢]- ينظر **بحار الأنوار** ٣٢: ٣٩٩، ٣٤: ٢٧٧.

[٣]- **بحار الأنوار** ٣٤: ٣٠٠، ج ٤١: ٣٤٢.

[٤]- **الاختصاص** للشيخ المفيد ص ٧.

[٥]- **وقعة صفّين** ص ٣٢٢, ٣٢٣, ٣٢٤, ٣٢٦, ٣٤١.

و من الأعلام الذين انتسبوا إلى هذا الخطّ أُويس القرنيّ المراديّ الذي قال فيه صلى الله عليه وآله: «تفوح روائح الجنّة من قبل قرن، و اشوقاه إليك يـا أُويـس القرن! ألاومن لقيه فليقرئه منّي السلام» - فقيل له : يا رسـول الله ، و مـن أُويس القرني؟

قال صلى الله عليه وآله : «إن غاب عنكم لم تفتقدوه، و إنّ ظهر لكم لم تكترثوا بـه، يدخل الجنّة في شفاعته مثل ربيعة و مضر، يؤمن بي و لا يراني، و يقتـل بين يدي خليفتي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في صفّين[١]».

و قد أشار الإمام الكاظم عليه السلام للرساليّين مـن الطبقـة الأُولـى السـائرين على خطّ الإسلام النبويّ في حديث له عليه السلام قائلا: «إذا كـان يـوم القيامـة نادى منادٍ: أين حواريّو محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الذين لم ينقضوا العهـد و مضوا عليه؟ فيقوم سلمان، والمقداد، وأبوذرّ. ثمّ ينادي منادٍ : أين حواريّو عليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد بن عبدالله عليهما السلام؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمّد بن أبي بكر، و ميثم بن يحيى التمّار (مولى بني أسـد)، وأُويس القرني. ثمّ ينادي منادٍ : أين حواريّو الحسن بن عليّ بـن فاطمـة ابنة محمّد صلى الله عليه وآله؟ فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمداني، و حذيفة بـن أسـيد الغفاري. ثمّ ينادي منـادٍ : أيـن حواريّـو الحسـين عليه السلام؟ فيقـوم كـلّ مـن استشهد معه و لم يتخلّف عنه.

ثمّ ينادي منادٍ : أين حواريّو عليّ بن الحسين عليه السلام؟ فيقـوم جبيـر بـن مطعم، و يحيى بن أُمّ الطويل، و أبو خالد الكابليّ، و سعيد بن المسيّب. ثمّ ينادي منـادٍ : أيـن حواريّـو محمّـد بـن علـيّ و حواريّـو جعفـر بـن محمّد عليهما السلام؟ فيقوم عبد الله بن شريك العامري، وزرارة بن أعين، و بريـد

---

[١]- **الفضائل لابن شاذان** ص ١٠٧؛ **بحار الأنوار** ٤٢: ١٥٥.

بن معاوية العجلي، و محمّد بن مسلم، و أبو بصير (ليث بن البختري المرادي)، و عبد الله بن أبي يعفور، و عامر بن عبد الله بن جذاعة، و حجر بن زائدة، و حمران بن أعين. ثمّ ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمّة عليهم السلام يوم القيامة[١]».

و المذكورون هنا هم نخب و نماذج التقطتهم عدسة التاريخ فخرجت أسماؤهم على لسان الرواة و دوّنتهم أقلام الكتّاب، والذين لم تصلنا أسماؤهم سمّاهم أبو جعفر الباقر عليه السلام بقوله: «شيعة عليّ عليه السلام الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيّرة ألوانهم، مصفرّة وجوههم، إذا جنّهم الليل اتّخذوا الأرض فراشًا، و استقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس و هم محزونون[٢]».

١- **رجال الكشيّ** ص٩ رقم ٢٠.

٢- **الخصال** للصدوق ص ٤٤٤ ح ٤٠.

الإسلام الأُموي

كان الخطّ القبليّ الذي تجسّد ببيوتات اعتنقت الإسلام خوفًا و طمعاً بمثابة الأعشاب الضارّة و الطفيليّة التي غطّت الساحة الإسلاميّة، و منهم برز برعم أُمويّ حين دار الزمان دورته، و طمع أبناء الطلقاء في أن يكونوا هم ولاة أمر المسلمين، و تحقّق لهم ما كانوا يرومونه، فبرز معاوية بن أبي سفيان منهم ملكًا و سلطانًا حكم باسم الدين.

و ما كان معاوية يحلم يومًا ما بتلك العظمة فيتسلّم عرش الخلافة الإسلاميّة، لقد كان ذليلاً تحت عزّة الإسلام، ووسم هو وأبوه وحزبهم الفاشل بالطلقاء يوم فتح الله على نبيّه و نصره نصرًا عزيزًا، و دخلوا في الإسلام و قلوبهم مملوءة بالحقد على الإسلام يتربّصون الفرص لمحو سطوره و قلع جذوره، و ما تغيّر شيء من نفس أبي سفيان بعد دخوله في حضيرة الإسلام قلامة ظفر.

فلا يُستغرب من معاوية تلك المقابلة التي قابل بها عليًّا بوجه لا يعرف الخجل، لأنّه وريث ذلك العداء المتأصّل بين بني هاشم و بني أُميّة، فتلك عداوة جوهريّة ذاتيّة يستحيل تحويلها و يمتنع زوالها. فما أعظم محنة المسلمين و ما أشدّ بليّتهم عندما يعود أمرهم لخصوم لا

يعرفون الرحمة، و لا عهد لهم بالعدل ! و ناهيك بما في القلوب من حقد، وبما في النفوس من حبّ الانتقام، وقد آن الآوان لتحريك ساكن الغلّ و إظهار مكنون العداء.

فحصل معاوية على بيعته بالقتل و التدمير و التحريق و شتمه أنصار رسول الله ﷺ، و استغلّ أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام، لتوطيد سلطانه بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعيّة. و رتّب معاوية عطاء اسمه: رزق البيعة، يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد. و تأكّد أنّ المطلب الحقيقيّ لمعاوية هو الملك عندما كتب وصيّته من بعده ليزيد ابنه، و أخذ له البيعة بالقوّة، وأمّره على صحابة رسول الله ﷺ بالرغم من مُجونه، وقلّة دينه، وسوء خلقه، فأوصاه: «إذا ثار أهل المدينة فأرسل إليهم مسلمة بن عقبة». و كان مع مسلمة قائمة بأسماء الطاهرين من الصحابة ليقتلهم و احدًا واحدًا، و يدخل عقبة عاصمة النبيّ ﷺ و يفعل الأفاعيل التي تضجّ منها السماء، و مروان دليل الجيش يؤشّر وعقبة وجيشه المظفّر ينفّذ ويعدم بغير رحمة، وتمّ تنفيذ أبشع مجزرة. و كان من نتيجة هذه الوصيّة أن :

١ـ أُبيد من حضر من البدريّين بالكامل.

٢ـ أُبيد من قريش و من الأنصار سبعمائة رجل.

٣ـ أُبيد من الموالي و العرب عشرة آلاف [١].

و قد أجاد صعصعة بن صوحان العبدي في وصف معاوية عندما طلب منه أن يصفه بالحقّ و العدل فقال : «أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهرًا، و دانهم كبرًا، واستولى بأسباب الباطل كذبًا و مكرًا ! أما و الله، مالك في يوم بدر مضرب و لا مرمى، و ما كنت فيه إلّا كما قال

---

[١]- المحامي أحمد حسين يعقوب، **نظريّة عدالة الصحابة** ص ٤٧.

القائل : لا حلى ولا سيرى. و لقد كنت أنت و أبوك في العير و النفير ممّن أجلب على رسول اللهﷺ، و إنّما أنت طليق بن طليق، أطلقكما رسول اللهﷺ فأنّى تصلح الخلافة لطليق[1]!» و هكذا كانت أصوات الحقّ تجابهه، لأنّهم ليسوا بخلفاء حقّ، لا جاؤوا عن وصيّة نبويّة، و لا شورى، و لا بيعة، ولاباختيار أهل الحلّ و العقد باعتقاد أهل السنّة و الجماعة، فهم يرون الخلافة والإمامة يمكن أن تكون بهذه الطرق، أو غيرها. و إنّما سلطانهم جاء عن عصيان و شقاق و بغي فاستأثروا بالحكم، و كما روى أهل السنّة و الجماعة عن النبيّﷺ مسندًا إلى سعيد بن جمهان، عن سفينة أنّه قال : «الخلافة في أُمّتي ثلاثون سنة ثمّ ملك بعد ذلك». قال سعيد: قلت لسفينة : إنّ بني أُميّة يزعمون أنّ الخلافة منهم، قال سفينة : كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شرّ الملوك[2]، فهم ملوك جاؤوا لدنيا فانية، ورغبات ونزوات ركبتهم من جاهليّتهم، و بقي فيهم حتّى بعد إسلامهم، و لم يكن معاوية إلا وارثاً لأبي سفيان، وراعياً لمزرعته الجاهليّة.

و من هنا يقول مهران : أراد معاوية أن يجعل من الخلافة الإسلاميّة مزرعة أُمويّة، و من ثمّ فقد استحدث في الإسلام بدعة وليّ العهد فاستخلف ولده يزيد على سلطان المسلمين من بعده، فغيّر بذلك السنّة الموروثة تغييراً خطيراً الأمر الذي أدّى إلى مذبحة كربلاء التي راح ضحيّتها أهل بيت النبيّﷺ و ذبحت ذريّته، فضلاً عن الاستباحة الخليعة لحرم رسول اللهﷺ بالمدينة في يوم الحرّة، والاعتداء على حرم

---

[1]- **مروج الذهب** ٣: ٤٠.

[2]- **الجامع الصحيح** للترمذي ٤: ٥٠٣ ح ٢٢٢٦، كتاب الفتن باب: ماجاء في الخلافة، **مسند أحمد** ٥: ٢٢١.

الله الآمن بمكّة المكرّمة[1].

وكان هذا لمّا أخرج أهل المدينة عامله (أي : يزيد) - عليهم - وهم: عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، و مروان بن الحكم، وسائر بني أُميّة، وذلك عند تنسّك ابن الزبير و تألّهه، وإظهار الدعوة لنفسه، وذلك في سنة ثلاث وستّين. وكان إخراجهم بني أُميّة وعامل يزيد عن إذن ابن الزبير، فاغتنمها مروان منهم، إذ لم يقبضوا عليهم و يحملوهم إلى ابن الزبير، فحثّوا السير نحو الشام، و وصل فعل أهل المدينة ببني أُميّة و عامل يزيد، إلى يزيد فسيّر إليهم بالجيوش من أهل الشام و عليهم مسلم بن عقبة المرّي، الذي أخاف المدينة و نهبها وقتل أهلها، و بايعه أهلها على أنّهم عبيد ليزيد، و سمّاها نتنة، وقد سمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله: طيبة... و قال صلى الله عليه وآله: «من أخاف المدينة أخافه الله» فسمّي مسلم هذا بمجرم ومسرف، لما كان من فعله و بايع الناس على أنّهم عبيد ليزيد، ومن أبى ذلك عرضه مسرف على السيف غير عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب السجّاد عليه السلام، وعليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب.

و نظر الناس إلى عليّ بن الحسين السجّاد و قد لاذ بالقبر - قبر النبيّ صلى الله عليه وآله - و هو يدعو فأُتي به إلى مسرف و هو مغتاظ عليه، فتبرّأ منه و من آبائه، فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له و أقعده إلى جانبه وقال له : سلني حوائجك، فلم يسأله عليه السلام في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلا شفّعه فيه ثمّ انصرف عنه، فقيل له عليه السلام: رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال : «قلت : اللهمّ ربّ السماوات السبع و ما أظللن، والأرضين السبع و ما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد و آله

---

[1]- محمّد بيومي مهران، **الإمامة و أهل البيت** ١: ١٣٧.

الطاهرين، أعوذ بك من شرّه وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، و تكفيني شرّه». و قيل لمسلم : رأيناك تسبّ هذا الغلام و سلفه، فلمّا أُتي به إليك رفعت منزلته؟ فقال : كان ذلك لرأي منّي، لقد مُلىء قلبي منه رعبًا[١].

السلطة الأمويّة والحسنعليه السلام

أخذ كلّ إمام معصوم حظّه وقسطه من المعاناة والحقد والجهل القرشيّ الذي امتدّ إلى السلطتين: الأُمويّة والعبّاسيّة على يد فراعنتها، فنال الحسنعليه السلام ما قدّر له من جرعات السمّ، على يد جعدة بنت الأشعث، بأمر من السلطة الأُمويّة في زمن معاوية بن أبي سفيان عام خمسين للهجرة فرزق الشهادة عن سنّ سبع وأربعين أوثمان وأربعين سنة بعد أن تخلّى عن السلطة الظاهريّة والحكومة الدنيويّة، كما أنّهعليه السلام كان قد تلقّى من جهّال جيشه ومن عدوّه ما لا يطاق من الأذى[٢]. و جرت محاولات عديدة لاغتياله بالسمّ من قبل[٣] إضافة إلى مالاقاه من الشتم والغدر، ومن ذلك أن جهّالاً من جيشه قالوا: كفر - والله- الرجل وشدّوا على فسطاطه و انتهبوه حتّى أخذوا مصلاه من تحته، ثمّ شدّ عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه فبقي جالسًا متقلّداً بالسيف بغير رداء ثمّ دعا بفرسه و ركبه، و أحدق به طوائف من خاصّته ومن شيعته ومنعوا منه من أراده فقالعليه السلام: «ادعوا لي ربيعة وهمدان»، فدعوا له فأطافوا به، و أوقفوا الناس عنه و سارعليه السلام و معه شوب من غيرهم. فلمّا مرّ في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له :

---

[١]- **مروج الذهب** للمسعودي ٣: ٦٩.

[٢]- **بحار الأنوار** ٤٤: ١٣٥؛ **أصول الكافي** ١: ٤٦١ و ٤٦٢.

[٣]- ينظر جعفر البياتي: **ما منّا إلّا مقتول أو مسموم**، نشر كوثر كوير ص ٦٣.

الجرّاح بن سنان، وأخذ بلجام بغلته و بيده مغول و قال : الله أكبر، أشركت ياحسن كما أشرك أبوك من قبل، ثمّ طعنه في فخذه فشقّه حتّى بلغ العظم، ثمّ اعتنقه الحسن عليه السلام و خرّا جميعًا إلى الأرض، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام، يقال له : عبد الله بن خطل الطائي، فانتزع المغول من يده، وخضخض به جوفه فأكبّ عليه آخر، يقال له: ظبيان بن عمارة، فقطع أنفه فهلك من ذلك، و أخذ آخر كان معه فقتل، و حمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأُنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، و كان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقرّه الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل الحسن عليه السلام بنفسه يعالج جرحه[1].

بهذا الشكل المأساوي يُواجه إمام معصوم و يُشاكس، و كأنّه فارس متمرّد على قومه، أو خرج على إجماع الأمّة؟! و نسوا أنّ الجيش الذي كان يقوده بصفته خليفة المسلمين قد أوجده جدّه وأبوه.

فما كان من الحسن عليه السلام إلا أن يجري - مضطراً أو مجبراً - مصالحة ومهادنة مع السلطان الأُموي، الذي أعدّ العدّة لكي يريق الدماء لاحقاً من أجل إشباع رغبته في الحكم والسلطان، وبعد أن رأى عليه السلام في جيشه فشلاً وتواكلاً عن الحرب فنزل ساباط وقام فيهم خطيباً: «أيّها الناس، إنّي قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة، و إنّي ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردّوا عليّ رأيي، إنّ الذي تكرهون من الجماعة أفضل ممّا تحبّون من الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال، ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون[2]». لقد كان الحسن عليه السلام مصيبًا في قراره بتلك الظروف لإجراء المصالحة و عقد هدنة

---

[1]- **الإرشاد الشيخ** المفيد ص ١٩٠.

[2]- **الأخبار الطوال** للدينوري ص ٢١٦.

مع سلاطين الجور، لأنّه عليه السلام كان يعاني من نارين محدقتين به:

النار الأولى: كانت هي النار الأمويّة، والنار الثانية: كانت في أرضه من صحبه و جيشه الضعيف. فكان عليه السلام في وضع حرج و صعب للغاية لا يسمح له في مواصلة الحرب. ويتحدّث الباقر عليه السلام عن محنته مع الأمّة والسلطة الأمويّة فيقول عليه السلام: «و ثب أهل العراق على الحسن عليه السلام حتّى طعن بخنجر في جنبه وانتهب عسكره، وعولجت خلاخيل أُمّهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه و دماء أهل بيته[1]».و لم تختم هذه المعاناة والمأساة التي كان يلاقيها الحسن عليه السلام من جهة الشام والعراق معا، ولكنّه كان يحتسب ويصبر، إلا أنّ مواجهات و مناقشات كانت تحتدم بينه وبين معاوية، لم يكن الحسن عليه السلام يدعها دون أن يصوّب سهام الحقّ يرشق بها جبين معاوية ومن اصطفّ معه. و حينما قدم معاوية المدينة نال من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقام عندها الحسن عليه السلام خطيبًا فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال: «إنّه لم يبعث نبيّ إلا جعل له وصيّ من أهل بيته، ولم يكن نبيّ إلا وله عدوّ من المجرمين، وإنّ عليّاً عليه السلام كان وصيّ رسول الله من بعده، و أنا ابن عليّ و أنت بن صخر، وجدّك حرب، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، و أمّك هند، و أُمّي فاطمة عليها السلام، و جدّتي خديجة (رضي الله عنها)، وجدّتك نثيلة، فلعن الله ألأمنا حسبًا، و أقدمنا كفراً، و أخملنا ذكرًا، و أشدّنا نفاقاً[2]» فقال عامّة أهل المسجد: آمين، و قطع خطبته. و كان الحسن عليه السلام شوكة في عيون السلطة الأمويّة وقذىً يؤذيهم و يقلقهم، لذا كانت رجالهم تعدّ العدّة لنزع هذه الشوكة، ومن ثمّ كسر هذه الشوكة وإتلافها، فكان لها ما أرادت، ولكن أبناء عليّ عليه السلام و أبطال

---

[1]- بحار الأنوار ٤٤: ٦٨.

[2]- الاحتجاج للطبرسي ص ٢٨٢.

الرسالة الآخرين سدّوا مسدّ الإمام الثاني العبارة غامضة الذي قضى شهيدًا بيد الغدر و الخيانة، ليجدوا خصمًا عنيدًا آخر اشتبك معهم لم و لن يضعف في مقارعتهم و مقارعة الذين معهم وشاركوهم طغيانهم.

مواجهة السلطة الأُمويّة مع الحسين عليه السلام

كانت السلطة الأُمويّة ترى أنّ المعركة لم تختم فصولها مع عليّ عليه السلام وآله، مادام الحسين عليه السلام في المدينة مركز الوحي و موطن الصحابة، لكنّها لم تجد سبيلاً عليه ما دام الحسين عليه السلام يحترم المواثيق و العهود، كما أنّ الظرف لم يسمح لكي يتحرّك وفقاً لمتغيّرات الظروف وما تقتضيه مصلحة المسلمين، إلا أنّها كانت تراقبه عن بعد وتضع الخطط لمواجهته، وممّا يروى في هذا أنّ معاوية دعا مروان بن الحكم فقال له: «أشر عليّ في الحسين عليه السلام»، فقال مروان: «أرى أن تخرجه معك إلى الشام وتقطعه عن أهل العراق، و تقطعهم عنه»، فقال معاوية: «أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرت عليه صبرت على ما أكره، وإن أسأت إليه قطعت رحمه»، فأقامه و بعث إلى سعيد بن العاص فقال له: «يا أبا عثمان، أشر عليّ في الحسين»، فقال: «إنك - والله - ما تخاف الحسين إلا على من بعدك، و إنّك لتخلف له قرنًا إن صارعه ليصرعنّه، و إن سابقه ليسبقنّه، فذر الحسين بمنبت النخلة يشرب الماء، ويصعد في الهواء، ولايبلغ إلى السماء[١]». وكأنّه أشار عليه بأنّ يتركه وشأنه لكن يضع عليه العيون فترقبه.

و الإبقاء على الحسين عليه السلام في المدينة بعيداً عن العراق و شيعته بمثابة محاصرة وقيد يمنعه من الحركة والثورة، فلقي الحسين عليه السلام العنت

---

[١]- **بحار الأنوار** ٤٤ : ٢١٠.

والضيق من السلطة الأمويّة التي كانت ترصده و تراقبه بدقّة، و كما ظهر في كتاب كتبه مروان بن الحكم والي معاوية على المدينة والذي جاء فيه: «أمّا بعدفإنّ عمرو بن عثمان ذكر أنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن عليّ. و ذكر أنّه لا يأمن وثوبه، و قد بحثت عن ذلك فبلغني أنّه لايريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضا لما بعده، فاكتب إليّ برأيك في هذا والسلام». فكتب إليه معاوية: «أمّا بعد فقد بلغني و فهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإيّاك أن تعرض للحسين في شيء واترك حسينًا ما تركك، فإنّا لا نريد أن نعرض له في شيء ما وفى ببعتنا، و لم ينازعنا سلطاننا، فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته و السلام.

وكتب معاوية إلى الحسين بن عليّعليه السلام : «أمّا بعد، فقد انتهت إليّ أُمور عنك إن كانت حقّاً فقد أظنّك تركبها رغبة فدعها، ولعمرالله، إنّ من أعطى الله عهده و ميثاقه لجدير بالوفاء، فإن كان الذي بلغني باطلاً فإنّك أنت أعزل الناس لذلك، وعظ نفسك فاذكر، وبعهدالله أوف، فإنّك متى ما تنكرني أنكرك، ومتى ما تكدني أكدك، فاتّق شقّ عصا هذه الأمّة، وأن يردّهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم فانظر لنفسك و لدينك ولأمّة محمّد، ولايستخفنّك السفهاء و الذين لايعلمون». فلمّا وصل الكتاب إلى الحسينعليه السلام كتب إليه: «أمّا بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أنّه قد بلغك عنّي أُمور أنت لي عنها راغب، و أنا بغيرها عندك جدير، فإنّ الحسنات لايهدي لها ولا يسدّد إليها إلا الله. وأمّا ما ذكرت أنّه انتهى إليك عنّي، فإنّه إنّما رقاه إليك الملاقون المشّاؤون بالنميم، وما أُريد عليك حربًا ولاعليك خلافًا، وايم الله، إنّي لخائف لله في ترك ذلك، وأظنّ الله راضيًا بترك ذلك، ولاعاذرًا بدون الإعذار فيه إليك، وفي أُولئك

القاسطين الملحدين: حزب الظلمة، وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجراً أخا كندة والمصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لآئم، ثمّ قتلتهم ظلمًا و عدوانًا من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك و بينهم، ولا بإحنة[1] تجدها في نفسك؟

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفر لونه، بعد ماآمنته وأعطيته من عهود الله و مواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأةً على ربّك واستخفافًا بذلك العهد؟

أولست المدّعي زياد ابن سميّة المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت: أنّه ابن أبيك؛ و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فتركت سنّة رسول الله تعمّدًا، وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثمّ سلّطته على العراقين، يقطع أيدي المسلمين و أرجلهم، و يسمل أعينهم و يصلّبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأمّة و ليسوا منك؟

أولست صاحب الحضرميّين الذين كتب فيهم ابن سميّة: أنّهم كانوا على دين عليّ صلوات الله عليه، فكتبت إليه أن: « اقتل كلّ من كان على دين عليّ»، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك؟ ودين عليّ عليه السلام، والله، الذي كان يضرب عليه أباك و يضربك، و به جلست مجلسك الذي جلست، و لولا ذلك لكان شرفك و شرف أبيك الرحلتين[2]. وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمّد، و اتّق شقّ عصا هذه الأمّة أن تردّهم إلى فتنة.

---

[1]- الإحنة : الحقد و الضغينة. **لسان العرب** (أحن).

[2]- يشير عليه السلام إلى سورة قريش و الإيلاف الذي ذكره القرآن في رحلتي الشتاء و الصيف.

وإنّي لاأعلم فتنة أعظم على هذه الأمّة من ولايتك عليها، ولا أعلم، نظرا لنفسي و لديني ولأمّة محمّدﷺ علينا أفضل من أن أُجاهدك، فإن فعلت فإنّه قربة إلى الله، وإن تركته فإنّي أستغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري. وقلت فيما قلت: إنّي إن أنكرتك تنكرني، وإن أكدك تكدني، فكدني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لايضرّني كيدك فيّ، و أن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك، لأنّك قدركبت جهلك، وتحرّصت على نقض عهدك، و لعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غيرأن يكونوا قاتلوا، و قتلوا و لم تفعل ذلك بهم إلّا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقّنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلّك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فابشر يامعاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتابًا لايغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، و قتلك أولياءه على التُّهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك و بترت دينك، وغششت رعيّتك، و أخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقيّ لأجلهم والسلام»[١]. فهنا أشار الحسين عليه السلام إلى موضوع انتقال السلطة ووراثة الحكم بدون دليل شرعيّ ولا حساب لمصالح الأمّة، و إنّما كانت رغبة وشهوة جاهليّة قبليّة قديمة تحصر السلطة و نظام الحكم بيد مجموعة من الأبناء، وكأنّه صارت الأمّة بمثابة عبيد يُساقون لخدمة الأولاد والأحفاد.

---

[١]- بحار الأنوار ٤٤ : ٢١٢.

و لم يكن الأمويّون أوّل من أسّس نظام الحكم الوراثي في التاريخ العربي، فقبلهم بوقت طويل كانت الغساسنة و المناذرة في الشمال، واليمنيّون في جنوب جزيرة العرب قد أسّسوا ملكيّات وراثيّة، كما عهدت المجتمعات القبليّة العربيّة ما قبل الإسلام نظماً مشابهة، كان فيها الزعيم القبليّ يورث السلطة إلى أحد أبنائه، أو لأيٍّ من كبار قبيلته. وكان العنصر الجديد الذي أدخله الأمويّون في هذا النظام؛ هو ولاية العهد التي كانوا هم الذين ابتدعوها كوسيلة لإبقاء الخلافة في ذرّيّتهم من ناحية، ولنقل السلطة بطريقة منظّمة من ناحية ثانية. وكان معاوية بن أبي سفيان هوأوّل من ابتدع نظام ولاية العهد عندما عيّن سنة ٥٦ هـ، ابنه يزيد في هذا المنصب، ودعا الناس إلى مبايعته[١]. و كان معاوية قد عمل على توكيد هذه البيعة وأخذ الناس بها، ولم تكن موافقة أهل العراق صريحة وواضحة، أو أنّهم لم يوافقوا على تولية يزيد، كما أنّ الحسين عليه السلام كان يرى أنّه أحقّ من يزيد بهذا الأمر، وكان على اتّصال بأهل العراق زمن معاوية الذين طلبوا إليه الخروج، لكنّه أبى عليهم لأنّه قد عاهد معاوية[٢] و بعبارة أصحّ سكت عليه السلام أوصبرعلى معاوية انتظارًا للفصول الأخرى.

ثورة الحسين بن عليّ عليه السلام

ولمّا تمادت السلطة الأموية في غيّها وعتوّها -و كأنّها تجاهلت ما تعارف عليه المسلمون، من اعتبارات في اختيار الخليفة الذي ينبغي أن يتوّلى زمام الأمور العامّة للمسلمين - فطرحت يزيد بن معاوية خليفة

---

[١]- الدكتور عصام سخنيني: **العبّاسيّون في سنوات التأسيس**، المؤسّسة العربيّة للدراسات و النشر _ بيروت ص ١١١.

[٢]- ثابت إسماعيل الراوي: **العراق في العصر الأموي** ص ١٦٥.

للأمّة، وقالت: ماعلى الأمّة إلا أن تبايع و تبارك ليزيد الذي وصفه المسعودي: «بأنّه صاحب طرب، وجوارح، وكلاب، وقرود، وفهود، ومنادمة على الشراب[1]».

ومن هنا كان هذا الأمر لا يمكن قبوله من مسلم جاهل لاعلم له بالسياسة و أحكام الدين، فكيف يمكن لإمام معصوم كامل، نشأ في بيت الوحي و مهبط الملائكة، أن يظلّ صامتًا على هذا الوضع من غير أن يعلن احتجاجه و صرخته، فانبرى الحسين عليه السلام يعدّ العدّة للقيام بثورة أو انتفاضة يصحّح فيها الأوضاع الشاذّة التي آلت إليها أوضاع المسلمين. وكانت هناك من قبل تحرّكات من قبل الشيعة بالعراق كتبوا فيها إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، إلا أنّه عليه السلام امتنع عليهم و ذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك.

فلمّا مات معاوية، وذلك للنصف من شهر رجب سنة ستّين من الهجرة، كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان على المدينة من قبل معاوية، أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له ولا يرخّص له في التأخير عن ذلك، فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه فعرف الحسين عليه السلام الذي أراد، فقال له بعد أن جرى بينهما حوار: «إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتّى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس» فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين عليه السلام «فتصبح وترى رأيك في ذلك» فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتّى تأتينا مع جماعة الناس[2]. فلمّا كان من الغد أعدّ الحسين عليه السلام عدّته و تهيّأ للخروج من المدينة لتكون

---

[1]- **مروج الذهب** للمسعودي ٣ : ٦٧.

[2]- ينظر **بحار الأنوار** ٤٤ : ٣٢٤.

بداية الثورة الحسينيّة العارمة في التاريخ.

و كانت سنة إحدى و ستّين للهجرة البيان الأوّل للثورة العلويّة الحسينيّة التي خطّطت وأرادت تصحيح الأوضاع، وقلب نظام الكفر والشرك في دمشق. وفي أرض العراق وعاصمة الإسلام العلويّ أعلن الحسين عليه السلام ثالث إمام معصوم بأنّ دولة الباطل و البغي التي أقامت صرحها في دمشق يجب أن تتقوّض و تزول، ليعود دين محمّد صلى الله عليه وآله، كنظام حكم و دولة على الأرض التي أورثها الله عباده الصالحين، ولكن مشيئة الله وغفلة المسلمين لم تكن تسمح بأن تسقط هذه الدولة الطارئة التي طغى فسادها وعلا ظلامها، فتعالت صيحات هنا و هناك، و انتضيت سيوف وعلت رماح مرّة أُخرى لم تكن مسدّدة، أولم يكتب لها النصر الذي حجبه الله عن وليّه الحسين عليه السلام في كربلاء، لتظهر سيوف و رماح جديدة تضرب رؤوس النظام الأُمويّ ضربات أُخرى أرادها الله.

وكانت سيوف ورماح زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام المستشهد عام ١٢١هـ أقوى السيوف و أمضاها، لكن المقادير لم تكتب لهذه السيوف والرماح أن تنتصر وتعلو على هامات بني أُميّة، فظلّت دولتهم تنتظر ضربات قاضية تطيح بكيانها الظالم، و ظلّ أبناء عليّ عليه السلام وغيرهم ممّن عرفوا عدل الإسلام و أنواره يواصلون ضرباتهم على رؤوس النظام الأُموي، الذي استبدّ بطغيانه وعلوّه وعتوّه، بعد أن تداول و توارث أبناؤه و أنصاره دابّة الشرك والكفر التي امتطوها السنين الطوال قدّروها بألف شهر[1]. فلم تنفع معهم موعظة ولا نصيحة، سوى رشقات السهام وضربات السيوف، فعندها أخذت دولة بني أميّة تتضعضع، و بدأت أركانها

---

[1]- يقول المسعودي: «كان جميع ملك بني أُميّة إلى أن بويع أبو العباس السفّاح ألف شهر كاملة لا تزيد و لا تنقص، لأنّهم ملكوا تسعين سنة و أحد عشر شهراً و ثلاثة عشر يوماً» **مروج الذهب** ٣: ٢٣٤.

تتهافت، و سرى الضعف إلى أوصالها بعد حقبة قرشيّة، لم تكن هي آخر حقبة لدولة قريش ولكنّها كانت صفحات ممزّقة تنتظر من يقلّبها لتأخذ محلّها أوراق جديدة تتصفّحها أيادي القدر المحتوم حتّى كانت سنة سبع وعشرين و مائة، حين ولي مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم، فكانت بداية نهاية عهد الحكم الأموي، و الذي أُرّخ له من عام ٤٠ هـ، بدولة سمّيت باسم أُميّة الذي لم يكن يحلم أبناؤه بأن ينالوا وثيقة أمان في حكم الإسلام الذي طرد المشركين و الأوثان التي كان يعكف عليها أبناء أُميّة و غيرهم من جهّال العرب. و كانت الحقبة الأُمويّة الأخيرة - بوصف المؤرخين - قلقة مضطربة لم يزل مروان فيها في تشتّت من أمره واضطراب من كلّ النواحي عليه، و هو مع ذلك يقيم للناس الحجّ إلى سنة ثلاثين و مائة.

فكان ذلك آخر ما أقام بنو أُميّة للناس حجّهم و عندها انقضت دولة بني أُميّة[١]، لتبدأ حقبة عبّاسية طاغية لم تختلف عن سنين بني أُميّة و أيّامهم، فتلقّوا درس الماضين منهم في الاضطهاد، والجور، والقمع، والقتل، والتشريد للصلحاء والأخيار حتّى قال بعض المؤرّخين عن هذه الحقبة: «في دولة بني العبّاس افترقت كلمة الإسلام، و سقط اسم العرب من الديوان، و أُدخل الأتراك في الديوان، و استولت الديلم ثمّ الأتراك، و صارت لهم دولة عظيمة، و انقسمت ممالك الأرض عدّة أقسام، و صار بكلّ قطر قائم يأخذ الناس بالعسف و يملكهم بالقهر. وقالوا في خلفائهم: كان السفّاح سريعاً إلى سفك الدماء. و قالوا في وصف المنصور : قتل خلقاً كثيراً حتّى استقام ملكه. و ينسب إلى عبد الصمد

---

[١]- **المعارف** لابن قتيبة بتحقيق ثروة عكاشة ص ٣٦٩.

ابن عليّ أنّه قال للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتّى كأنّك لم تسمع بالعفو. قال المنصور: لأنّ بني مروان لم تبل رممهم، و آل أبي طالب لم تغمد سيوفهم، و نحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة، و اليوم خلفاء، فليس تتمهّد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العقوبة. و كذلك قالوا عن المنصور: هو أوّل من أوقع الفرقة بين ولد العبّاس وولد عليّ عليه السلام، و كان قبل ذلك أمرهم واحداً[١]».

و يعتبر وضع العلويّين مع الخليفة السفّاح الذي سبق المنصور أفضل نسبيّاً، حيث ساد عهد الخليفة أبي العبّاس حالة من الموادعة بين العبّاسيّين و العلويّين، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا، لأنّ هذه السياسة لاتوافق المنصور الذي أظهر بجلاء أنّ هدفه تثبيت كيان الدولة مهما كان الثمن. و ركّز جهوده على الحركة العلويّة لإدراكه بأنّ هذه الحركة أصبحت رمزًا للمعارضة ضدّ العبّاسيّين، ذلك لأنّ كلّ الجماعات المتذمّرة نقلت ولاءها إلى العلويّين، و أخذت تدعو لهم، سواء كان ذلك بإخلاص، أو بمجرّد التظاهر لاتّخاذهم واجهة سياسيّة لغايات أُخرى مبيّنة[٢]. فالخطر العلويّ صار يأتي من ناحيتين:

الأولى: معارضتهم الذاتيّة للعبّاسيّين. والثانية: أنّهم أصبحوا رمزًا و ملجأً لكلّ المعارضين و المتذمّرين، سواء كانوا يؤمنون بالقضيّة العلويّة، أم لم يكونوا ممّن يؤمنون بها[٣]. و كانت حجّة المعارضين لسلطة العبّاسيّين ترى بأنّ السلطة الحاكمة لم تكن مؤهّلة في قيادة الأُمّة لطغيان الفسق والفجور في العصر العبّاسي حيث حاز بنو العباس -خصوصاً طغاتهم و

---

[١]- ينظر **تاريخ الخلفاء** للسيوطي ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢١٧.

[٢]- فاروق عمر، **الخلافة العبّاسيّة في عصر الفوضى العسكريّة** ص ١٧.

[٣]- خالد عزّام، **العصر العبّاسي، موسوعة التاريخ الإسلامي**، ص ٨١

سلاطينهم - قصب السبق وفاقوا من سبقهم من أحفاد أبي سفيان ومروان.

و قد شرّع خليفتهم هارون الرشيد قانون إشباع الرغبات الممنوعة، مفتتحًا خلافته بفضيحة رويت عنه، حينما أفضت الخلافة إليه، وكما تقول الرواية: «بأنّه وقعت في نفسه جارية من جواري أبيه المهديّ فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، إنّ أباك قد طاف بي، فشغف بها فأرسل إلى أبي يوسف الفقيه فسأله: أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أوَ كلّما ادّعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدّق، لا تصدّقها فإنّها ليست بمأمونة. قال ابن المبارك : فلم أدر ممّن أعجب: من هذا الذي وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا: فقيه الأرض و قاضيها؟ قال أبو يوسف: اهتك حرمة أبيك، واقض شهوتك، و صيّره في رقبتي»[١].

فما كان من هذا الدرس الفقهي للرشيد الذي تعلّمه من فقيه العراق إلا أن يكون حافزاً و داعيًا لإشباع شهوة وغريزة ولده المأمون التي ثارت في لحظة أطفأها له أبوه حيث يقول السيوطي: «كان للرشيد جارية، و كان المأمون يهواها، فبينما هي تصبّ على الرشيد من إبريق معها، والمأمون خلفه، إذ أشار إليها بقبلة فزجرته بحاجبها وأبطأت عن الصبّ، فنظر إليها هارون فقال: ما هذا؟ فتلكّأت عليه، فقال الرشيد: إن لم تخبريني لأقتلنّك، فقالت: أشار إليّ عبد الله بقبلة، فالتفت إليه، و إذا هو قد نزل به من الحياء والرعب ما رحمه منه، فاعتنقه وقال: أتحبّها؟ قال: نعم، قال: قم فادخل بها في تلك القبّة فقام، فلمّا خرج قال الرشيد: قل

١- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي ص ٢٣٣.

في هذا شعراً فقال المأمون:

ظبْـــي كنيـــت بطرفـــي   عـــن الضـــمير إليـــه
قبّلتـــه مـــن بعيـــد   فاعتـــلّ مـــن شـــفتيه
وردّ أحســـــن ردّ   بالكســـر مـــن حاجبيـــه
فمـــا بـــرحت مـــكـــانـــي   حتّـى قـــدرت عليـــه»[1]

و هكذا يقضون شهواتهم لحظـة شـاؤوا بـلا ضـوابط ولا معـايير ولا أحكام شرعيـّة. و ما نـدري كيـف كانـت هـذه الجاريـة، و مـن كـان يملكها، الرشيد نفسه، أم هي ملك مباح وضعت في قصر الرشيد فوهبهـا استبدادًا و استهتارًا بكـلّ قانـون؟ لقد عاشوا في لجج اللذائذ، و تمتّعوا مع أولادهـم مـن خضـرة الـدنيا وزهرتـها و لاسيّما فـي عهـد خليفتهم الرشيد و عصره الداعر الخليع الذي أسـموه: العصـر الـذهبي. و قد لمّح الدكتور فاروق عمر إلى هذا العصر الذي يحمل في طيّاته بـذور التدهور و الانحلال فقال: «إنّ عصر الرشـيد الـذهبي، بكـلّ مـا فيـه مـن مظاهر القـوّة السياسـيّة النسبيّة، و المظـاهر الحضـاريّة، يمثّـل بـدايات التدهور الإداري و التفكّك السياسي و التحلّل الحضاري. إنّ هـذا العصـر الذهبي كان يحمل في طيّاته أسباب قوّته و عوامل ضعفه فـي آن واحـد، و يرجع بعض السبب في ذلك إلى شخصيّة الرشيد نفسه»[2].

لأنّ الرشيد بتصرّفاته الغير مباليـة و إيغالـه فـي حـبّ ذاتـه، وإرخائـه العنان لشهوة الحكم و النفس الجارفة التي عصـفت بالدولـة والمجتمـع، ميّع الصلابة والقوّة التي كانت عليها الدولة الإسلامية وأوجـد حالـة مـن الضعف والحشاشة فكّكت عرى البيت العبّاسي و قوّضته فيما بعـد كمـا

---

[1]- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي ص ٢٥٨.

[2]- **الخلافة العبّاسيّة في عصر الفوضى العسكريّة** ص ٢٢.

جرى الحال للبيت الأمويّ من قبل.

عهد السجادعليه السلام

كانت ثورة الحسينعليه السلام بمثابة رسالة ختام و توديع للسلطة الأُمويّة، و إن طال زمانها إلى ما يقارب التسعين عاماً حسب الظاهر، لأنّ الحسينعليه السلام بنهضته وصرخته هيّأ أذهان المسلمين لينقضّوا على هذا الجثمان الميّت القابع في دمشق، و الذي كان يترنّح ولايستطيع الثبات، أو أن يمسك العرش المتزلزل. و كان الأئمّة المعصومون ـ منهم: السجّاد، و الباقرعليهما السلام ـ يدركون أنّ ثورة و نهضة مثل ثورة الحسينعليه السلام لايمكن أن تتكرّر، لأنّ الثورة الحسينيّة لها شروطها و مناخها الخاصّ بها، فمعركة كربلاء لا يمكن أن يكون بطلها السجّادعليه السلام أوالباقرعليه السلام من بعده، فلا مبايعة بعد، ولا رجال كرجال زمن الحسينعليه السلام، و إنّما هي تجربة فريدة نسجتها أُحدوثة ولاية عهد يزيد، وأجّجها بقيّة الصحابة والتابعين، فكانت الإمامة ـ كمنصب موضوع لقيادة الأُمّة ـ ترى أنّ الثورة قد بلغت غايتها وأغراضها و حقّقت أهدافها التي كانت قائمة آنذاك و بالتالي اختلافها عن ظرف الأئمّة اللاحقين.

وإذا كانت الظروف قد سمحت للأئمّة الثلاثة: عليّ، والحسن، و الحسينعليهم السلام بقيادة الحركة الرساليّة بجميع مجالاتها قيادة مباشرة، فإنّها قد تغيّرت في عهد الإمام عليّ بن الحسينعليه السلام و بقيّة الأئمّةعليهم السلام، لذا نجدهم قد التجؤوا إلى الإشراف غير المباشر على سير الأحداث، و خصوصًا الأوضاع السياسيّة والعسكريّة منها، فكانوا يقودون جميع خطوط الحركة الرساليّة في آن واحد، دون أن تصل الحكومة إلى معرفة خطوط الحركة و نشاطاتها التنظيميّة، و مدى قربها وبعدها من الإمامعليه السلام، ومدى إشرافه عليها، والعوامل التي كانت تحدّد أُسلوب

التحرّك لديهم تتمثّل بمايلي:

١- المصلحة الإسلاميّة العامّة.

٢- المصلحة الإسلاميّة الخاصّة بحركة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم مسؤولين عن إصلاح الأوضاع.

٣- الظروف العامّة والخاصّة من حيث قوّة الحركة و قوّة القاعدة الشعبيّة.

و بذلك فإنّ الأئمّة عليهم السلام قد قادوا جميع النشاطات في آن واحد، بما فيها الحركات المسلمة، ولكن بأسلوب غير مباشر تحيطه السرّيّة والكتمان، من أجل أن لا يتعرّض الإمام عليه السلام إلى القتل في بداية إمامته، لأنّ إصلاح الأُمّة و تربيتها مقدّم على كلّ شيء، فلو قاد الإمام عليه السلام حركة عسكريّة أو ثوريّة فإنّه سيقتل و تبقى الأُمّة بحاجة إلى من يرفدها بالفكر السليم بإعداد الفقهاء والعلماء، ومن يرفدها ببناء طليعة من العبّاد والزهّاد و السياسيّين وقادة الحركات الثوريّة.

و بتعبير آخر: أنّ الإمام عليه السلام كان يقود خطّين من خطوط العمل الرسالي هما:

١- الخطّ الفكري: ومهمّته طلب العلم ونشره، و أداء مسؤوليّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأُسلوب هادىء سلمي.

٢- خطّ المواجهة: و مهمّته إعلان التمرّد على الحكومات الجائرة، واستخدام القوّة لإيقاف انحرافها عن النهج الإسلاميّ الأصيل، وهذا الأسلوب يتّضح من خلال سيرة الأئمّة عليهم السلام، فالإمام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و سبي نسائه اتّبع هذا الأسلوب، لأنّ الظروف السياسيّة قد تغيّرت، إضافة إلى توسّع القاعدة الشعبية لأهل البيت عليهم السلام، واختلاف أتباعه وأنصاره في قدراتهم وطاقاتهم، فالتوّابون

ثاروا في عهده، ولكن لم تحصل الحكومة الأمويّة على دليل واحد تثبت فيه علاقة الإمامعليه السلام بهم، و ثار المختار في عهده وفاتحه عمّه محمّد بن الحنفيّة حول تأييده للثورة فقال عليه السلام: «يا عمّ، لو أنّ عبدًا زنجيًّا تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر فاصنع ما شئت».[1]

و من هذا اتّخذت الإمامة بعد شهادة الحسينعليه السلام مسارًا آخر في أُسلوب المواجهة مع السلطات القائمة آنذاك، ظهر في المظهر الذي يراه ويفهمه إمام كلّ عصر مع الحكّام والملوك الذين عاشوا تلك الحقبة، فقد سلك الإمام زين العابدينعليه السلام رابع الأئمّة سلوك المقاومة السلميّة و الابتعاد عن الأضواء، وشرع في التفرّغ للدعاء و المناجاة في محراب العبادة، فقد روى الباقرعليه السلام «أنّ عليّ بن الحسينعليه السلام كان يصلّي في اليوم و الليلة ألف ركعة»[2] ولكنّهعليه السلام لم يترك الأمّة لوحدها بدون رعاية وتوجيه، فعاش سنيّ عمره لم ينفصل عن المسلمين بل كان متواصلًا معهم. و ينقل عن أهل المدينة قولهم: «ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسينعليه السلام». و لمّا ماتعليه السلام في سنة ٧٥ هـ وجرّدوه للغسل جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره فقالوا: ما هذا؟ قيل: كان يحمل جربان الدقيق على ظهره ليلاً و يوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً[3]، كما أنّهعليه السلام لم يترك توجيه الأمّة وتربيتها وفق المنهج الرسالي «فإنّه استثمر شفاء الأمّة من مرحلة الشكّ وإيقاظ ضميرها مرفدًا الأمّة بالمفاهيم الفكريّة و العاطفيّة عن طريق الدعاء، والتضرّع إلى الله لترسيخ المفهوم الإسلامي

---

[1]- **أعلام الهداية**: الإمام عليّ بن موسى الرضاعليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت ص ١٠٥.

[2]- **بحار الأنوار** ٤٦ : ٧٤.

[3]- ينظر **حلية الأولياء** لأبي نعيم الأصفهاني ٣: ١٣٦.

في وجدان الأمّة، أي: أنّه استثمر الحالة النفسيّة والفكريّة لما كانت عليه الأمّة بعد ثورة الحسين عليه السلام فاختار الأسلوب الأمثل لمواجهة مثل هذه الحالة»[١]. لأنّ السجّاد عليه السلام عاش عصراً كانت فيه الأمّة مخدوعة ومهزومة وعمياء لاتبصر الحقائق، وعبّر عليه السلام عن ذلك بقوله لمنهال بن عمرو حين قال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ فأجابه عليه السلام قائلاً: «أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، يا منهال، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عربيّ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله منها، و أمسينا معشر أهل بيته، ونحن مغصوبون، مقتولون، مشرّدون، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون»[٢].

لقد عاش الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام في عصر قد استسلم الناس فيه لشهواتهم، وطغت عليهم سيرة حكّامهم، فابتعدوا عن مفاهيم الرسالة وأخلاق الإسلام وآدابه، و لم يتسنّ له عليه السلام أن يرتقي المنابر ويقف في المجتمعات لإرشاد الناس إلى ما يصلحهم من أخلاق الإسلام و آدابه و أحكامه، وإنقاذهم من أئمّة الجور الذين شوّهوا وجه الإسلام بسلوكهم وطغيانهم، و تمادوا في استهتارهم بالقيم و انتهاك الحرّيّات والحرمات، فجعل عليه السلام ينشررسالة الإسلام و يدعو الناس إلى الرجوع إلى دينهم وكتابهم وأخلاقهم وسيرة نبيّهم، ويدعو الحكّام إلى إحقاق الحقّ وإقامة العدل وإنصاف المحرومين والمعذّبين، و يلفت الأنظار إلى ما يجب أن يتوفّر في الحكّام، وما لهم على الرعيّة من حقوق و واجبات في مقابل قيامهم بحفظ الأمن و نشر العدل وحفظ الثغور، ما إلى ذلك ممّا يضمن للدولة حقّها ولكلّ إنسان كرامته و حقّه في الحياة.

١- عادل الأديب، **دور أئمّة أهل البيت في الحياة السياسيّة** ص ١٩.

٢- ينظر **بحار الأنوار** ٤٥ : ١٤٣و ١٤٥.

و لقد كان الإمامعليه‌السلام يحرص على أن يضع الناس على اختلاف طبقاتهم و منازلهم تجاه مسؤوليّاتهم وما يجب عليهم للّه وللناس، ولكن باسلوب يختلف عن أساليب الوعّاظ و المرشدين والقصّاصين، لقد استعملعليه‌السلام اسلوب الحوار مع الله و مناجاته واستعطافه و تمجيده في ستّين دعاءً عرفت: بالصحيفة السجّاديّة.[1]

عهد الباقر عليه‌السلام

تركت معركة الطفّ الخالدة أثراً كبيراً في أُسلوب و منهج الأئمّة المعصومينعليهم‌السلام، و رغم أنّ الإمام الباقرعليه‌السلام كان صغير السنّ إلا أنّ حجم المعركة و أبعادها كانت محفوظة في ذهنهعليه‌السلام فروي عنهعليه‌السلام أنّه قال: «قتل جدّي الحسينعليه‌السلام ولي أربع سنين، و إنّي لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت».[2]

و ظلّت أحداث كربلاء الدامية عالقة بذهن العلويّين، وكان الباقرعليه‌السلام مع أبيه السجّادعليه‌السلام قد أدركوا وعاينوا آثار هذه المصيبة والفاجعة العظيمة، فآثر الباقرعليه‌السلام سيرة أبيه السجّادعليه‌السلام بالابتعاد عن الأحداث السياسيّة و مواجهة الطواغيت بالسلاح، فانبرى الباقرعليه‌السلام لتأسيس الكيان العلمي في الرواية والحديث، فأمضى الباقر عليه السلام عمره في وضع الأُسس العلميّة لمدرسة الحديث والفتيا، فكانت سيرتهعليه‌السلام بين الدرس والعبادة فتمخّضت عن روايات و أخبار جمعها العلماء في مجاميعهم الحديثيّة لتكوّن بداية المدرسة العلميّة للطائفة الإماميّة التي أفرزت أفضل مدرسة وأكملها في الفقه، والحديث، والكلام، والتفسير، بعد توفّر ظروف

---

[1]- هاشم معروف الحسني، **سيرة الأئمّة الاثني عشر**، دار القلم بيروت ٢: ١٦٦.

[2]- محمّد بيومي مهران، **الإمامة و أهل البيت** ٣: ١٧.

إيجابيّة ساعدت على تكوّنها. يقول الإمام محمّد أبو زهرة: «في آخر القرن الأوّل الهجري و نصف القرن الثاني، كان البيت العلويّ مصدر النور والعرفان بالمدينة المنوّرة. فإنّه منذ نكبة الإسلام بمقتل الشهيد وابن الشهيد وأبي الشهداء: الحسين بن عليّ عليه السلام انصرف آل عليّ عليهم السلام إلى العلم النبويّ يتدارسونه، وفيهم ذكاء آبائهم، وهداية جدّهم، و الشرف الهاشمي الذي علا بهم عن سفساف[1] الأمور، فاتّجهوا إلى معاليها، وبعدوا عن السياسة، وقد ذاقوا مرارتها و لم يعرفوا حلاوتها، وتوارثوا ذلك الاتّجاه العلمي، فورثوا الإمامة فيه كابراً عن كابر.

فعليّ زين العابدين عليه السلام كان إمام المدينة نُبُلاً و علمًا، و كان ابنه محمّد الباقر عليه السلام وريثه في إمامة العلم و نبل الهداية، فكان مقصد العلماء من بلاد العالم الإسلامي، و ما زارأحد المدينة إلا عرج على بيت محمّد الباقر عليه السلام يأخذ عنه».[2]

والظروف التي تهيّأت للإمامَين الباقر و الصادق عليهما السلام لم تتهيّأ لغيرهما من الأئمّة عليهم السلام، ذلك لأنّ سنيّ إمامة الباقر عليه السلام قد رافقتها بوادر النقمة العارمة على سياسة الأمويّين والدعوة في مختلف الأقطار للتخلّص منهم، و كان سوء صنيعتهم مع العلويّين من أقوى الأسلحة بيد أخصامهم الطامعين بالحكم، ممّا دعاهم إلى اتّخاذ موقف من الشيعة وأئمّتهم أكثر اعتدالا ممّا كانوا عليه بالأمس، و لمّا جاء الإمام الصادق عليه السلام كانت الدولة الأمويّة تلفظ أنفاسها الأخيرة وتعاني من انتصارات أخصامها العبّاسيّين هنا وهناك، و بالتالي تقلّص ظلّها وتمّ الأمر للعبّاسيّين.

و في هذه الظروف الخاصّة انطلق الإمامان: الباقر و الصادق عليهما السلام لأداء

---

[1]- يقال: سفسف عمله، إذا لم يبالغ في إحكامه. **ترتيب جمهرة اللغة** ٢: ٢٠٦(سفسف).

[2]- **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهيّة** ص ٦٨٨.

رسالتهما، و تمّ لهما ذلك بين عهدين: عهد تحيط به الكوارث والهزائم، وعهد ظهرت فيه تباشير النصر وأحلام السيطرة على الحكم، وقامت الحكومة الجديدة على حساب العلويّين ولم تتهيّأ مثل هذه الظروف لأحدٍ من أئمّة الشيعة.[1] و قيل: «كانت الشيعة قبل أبي جعفر الباقر عليه السلام لا يعرفون مناسك حجّهم و حلالهم و حرامهم، حتّى كان أبو جعفر الباقر عليه السلام ففتح لهم وبيّن لهم مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم، حتّى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس».[2] ويقال: «لم يظهر من ولد الحسن و الحسين عليهما السلام من العلوم ما ظهر منه عليه السلام في التفسير، والكلام، والفتيا، والأحكام، والحلال و الحرام».[3] و يروى أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في الباقر عليه السلام: «علمه علمي، و حكمه حكمي»[4] و قال محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام: «سألته عن ثلاثين ألف حديث».[5] و قال قتادة (فقيه البصرة) للباقر عليه السلام: «والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عبّاس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك».[6]

و عاش الباقر عليه السلام عصر الفتوحات الكبيرة وتألّق الدولة الأمويّة و توسّعها، عندما بلغت الفتوحات في تلك الفترة أقصى اتّساعها، حيث تحوّل الفتح إلى عمل عسكريّ مجرّد يستهدف الغنيمة الشخصيّة للقائدأوالخليفة.

---

[1]- هاشم معروف الحسني، **سيرة الأئمّة الاثني** عشر ص ٢٠٢.

[2]- ينظر **بحار الأنوار** ٦٨:٣٣٧.

[3]- **بحار الأنوار** ٤٦: ٢٩٤.

[4]- نفس المصد ٣٦: ٣٣٩.

[5]- نفس المصد ٤٦: ٢٩٤.

[6]- نفس المصد ١٠: ١٥٥.

وبقدر ما دخلت أراض تحت سيطرة المسلمين، فقد دخلت ثقافات أكثر، حملتها معها الأقوام الّتي فتحت أراضيها، و شكّل ذلك تهديداً خطيراً لعقيدة المسلمين، ولعدم قدرة الحاكمين من الخلفاء و أتباعهم على مواجهة هذا التحدّي، بل يمكن القول: إنّ السلطة الأمويّة كان لها يد في تشجيع الحركات الفكريّة المنحرفة الدامية إلى شلّ حركة المسلمين، كالقول بالجبر، أو تلك الهادفة إلى تغييب المسلمين عن الرقابة على الحاكمين كالقول بالإرجاء. يضاف إلى ذلك أنّه كانت الحاجة قائمة لتفصيل أحكام الدين ومواقفه و تشريح أدلّته وتفسير كتابه، فكان الإمام الباقرعليه السلام الذي تحدّث عنه جدّه النبيّصلى الله عليه وآله قبل ولادته بأنّه يبقر العلم بقراً، وهو الوارث لعلم جدّه، والحافظ لشريعته في مواجهة تلك الأسئلة الحائرة والتحدّي الثقافي كما كان على يده بيان الموقف الصحيح تجاه الحركات الفكريّة المختلفة، و عنه انتشر العلم النبويّ في العقائد، والتفسير والأحكام.[١] و ظلّ عطاؤه يمدّ الأمّة حتّى بعد وفاتهعليه السلام عام ٩٥ هـ، أيّام هشام بن عبد الملك.

عهد الصادقعليه السلام

بين أحضان الإمام زين العابدين، وحنان الإمام محمّد الباقرعليهما السلام، وفي عهد عبد الملك ابن مروان ولد الإمام جعفر الصادقعليه السلام في ليلة الجمعة في السابع عشر من ربيع الأوّل سنة ٨٢ هـ، و قيل: في غرّة رجب، والأمّة الإسلاميّة تُلاقي الأحكام القاسيّة، وقد انتشر فيها دعاة الفساد، و تحكّم أئمّة الجور، و في هذه الأجواء نشأ الصادقعليه السلام في وسط مجتمع لا يتّصل بآل البيت إلّا من طريق الحذر و التكتّم لشدّة المراقبة التي

١- محمّد فوزي، **رجال حول أهل البيت، الموسوعة التاريخيّة الميسّرة**، دار الصفوة - بيروت ٢ : ٧.

تحوط بهم من السلطة الأمويّة، و قد شاهد الصادقعليه السلام طلاب العلم يتّصلون بمدرسة جدّه وأبيه وهم بأشدّ حذر، لأنّ في ذلك الدورلا يستطيع أحد أن يتظاهر بالاتّصال بآل محمّد، ومن عرف في ذلك فإنّما مصيره القبر أو ظلمة السجن[1]، فكان الصادقعليه السلام آنذاك يحرص على تجديد مدرسة آل البيت و إعادة الحياة إليها، إلا أنّ رقابة بني أُميّة وعَسْفهم كانت تحول و تمنع المتّصلين به، كما جرى ذلك لأبيه و جدّهعليهما السلام. و يروى: «أنّ إبراهيم الكرخي (خ ل : الكوفي) كان يسمع من الصادقعليه السلام حديثاً، إذ دخل رجل من موالي بني أُميّة فانقطع الكلام، فعاد إلى الصادقعليه السلام إحدى عشرة مرّة لتتمّة الكلام، فما قدر على ذلك إلى أن سمع منه في السنة الثانية».[2] و هذا يعكس لنا شدّة النظام الحاكم وعسفه تجاه أهل البيتعليهم السلام. و لمّا دبّ الضعف بالدولة الأمويّة و أحاطت بها عوامل الانهيار صارت هذه الفترة فترة سعيدة، ولكنّها كانت فترة مؤلمة في الوقت نفسه، إذ كان الإمام الصادقعليه السلام يرى ما يصيب الدين الإسلامي من وهن وتشويه وانتهاك فانبرى لفتح أبواب مدرسته، و ليقوم بما يجب عليه من توجيه الناس، و بثّ الأحكام وتعاليم الدين، فهو بين شيخوخة الدولة الأمويّة وطفولة الدولة العبّاسيّة. قامعليه السلام في عصر ازدهار العلم لتعليم الناس، حتّى عُدّ تلامذته أربعة آلاف رجل، و كان بيتهعليه السلام في تلك الفترة كالجامعة، يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الحديث، والتفسير، والحكمة، والكلام، فكان يحضر مجلس درسه في أغلب الأوقات ألفان، وبعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء

---

[1]- ينظر أسد حيدر، **الإمام الصادق و المذاهب الأربعة** ١: ٣٥.

[2]- ينظر **بحار الأنوار** ٤٨: ١٥و ٥٢: ١٢٩.

المشهورين.[١]

إنّ المنهج التأسيسي الذي بدأه الإمام الباقر عليه السلام، تكامل و نضج بيد الإمام السادس جعفر الصادق عليه السلام، لذا نسبت مدرسة أهل البيت في الفقه والحديث إلى الإمام الصادق عليه السلام، فاتّخذت هذه المدرسة اسم المدرسة الجعفريّة أو المذهب الجعفري، باعتبارها مدرسة متكاملة في الفقه والحديث و الكلام و الأُصول و التفسير، و في المعارف و العلوم كافّة، وبرز أصحاب الإمام الصادق في دنيا العلوم والثقافة كمفسّرين و محدّثين و فقهاء و متكلّمين و فلاسفة و حتّى في العلوم الصرفة، مثل: الكيمياء، والرياضيات، و الفيزياء، و غير ذلك من العلوم. ومن المناسب هنا أن نشير إلى جابر بن حيّان الكوفي مؤسّس علم الكيمياء أو مُظهره كعلم له أثره في الحياة العلميّة للإنسان. و قد اعترف علماء الشرق والغرب في تاريخ العلوم بأنّ جابر بن حيّان قد صنّف موسوعة علميّة في هذا الميدان لا يستغني عنها باحث، كما أنّ جابر بن حيّان قد تضلّع في ميادين أُخرى مثل: الطبّ، و الصيدلة، و الفيزياء.[٢]

و يتحدّث مؤرّخو العلوم: بأنّ مكتبات أُوربّا حوت على كتب كثيرة مترجمة إلى اللاتينيّة نسبت إلى جابر بن بن حيّان، على الرغم من عدم وجود أصل لها في اللغة العربيّة.[٣] كلّ ذلك كان من شظايا و نثارات علم الصادق عليه السلام الذي لقطه جابر بن حيّان و دوّنه في كتبه فانتقلت إلى أُوربّا.

فعلى الرغم من صعوبة الظروف التي اكتنفت حياة الصادق عليه السلام فلم

---

[١]- ينظر أسد حيدر، **الإمام الصادق و المذاهب الأربعة** ١: ٣٨.

[٢]- الدكتور موريس شربل، **موسوعة الكيمياء**، دار الكتب العلميّة بيروت - ص ١٢٩، **فهرست** ابن النديم ٤٩٨.

[٣]- محمّد جمال الدين، **دراسات في الحضارة الإسلاميّة** ٢: ٢٧٤.

يزل عليه السلام في عطاء و رفد للأُمّة، حيث كانت الفترة التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام فترة محنة تمرّ بها الأمّة، فقد كان الحكم الأمويّ حكمًا جائرًا، إذ ابتعدت السلطة عن أحكام الإسلام، فكانت نهاية الحكم الأمويّ مثل بداية قيامه، إذ صُبغت بالدم نهايته كما كانت بدايته. وقامت دولة بني العبّاس، وهي تلبس لباس الدين و ترفع شعارالدعوة لمناصرة آل محمّد صلى الله عليه وآله والانتقام من أعدائهم، وهي تحاول أن تكسب ودّ المسلمين. و بعد أن تكشّفت سياسة بني العبّاس، و زال القناع عن وجه حكمهم، اعتبر الناس عهدهم امتدادًا لحكم بني أُميّة الجائر، فأصبح المسلمون في معترك عصيب، تحرّكت في جوانحهم الثورة، وتاقت نفوسهم لتحقيق الإصلاح، و كان البيت العلويّ هو محطّ آمال الأُمّة فساندهم رجال الدين وانضوى بعض الفقهاء تحت رايتهم، و في ذلك المعترك الرهيب برزت شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام و هو يحمل للأُمّة مبادئ الإسلام و ينشر تعاليمه ويرفع صوت الإنكار على الظلم و يدعو للإصلاح بكلّ جهد، و شارك الأمّة في محنتها إذ امتزج رجال الفكر و دعاة الإصلاح، فكانت دعوته سلميّة تهدف لتنوير الرأي العامّ والحضّ على التمسّك بأحكام القرآن.[1]

و أكبر محنة ظهرت للصادق عليه السلام هي شخصيّة المنصور العبّاسي باني الدولة و مؤسّسها. وكان المنصور في الحقيقة هو مهندس بنية النظام الذي اتّخذ في عهده شكله النهائي، و كان أحد معالم هذا الشكل صورة الخليفة متلفّعًا بعباءة إسلاميّة دينيّة كانت ضروريّة لإسباغ الشرعيّة على وجود العبّاسيّين في السلطة. و يبدو أنّ هذه الصورة بهرت بعض العلماء في البداية. و تظهر رواية منسوبة إلى الإمام مالك بن أنس ثلاثة مواقف

---

[1]- أسد حيدر، **الإمام الصادق و المذاهب الأربعة** ٢: ١٩.

مختلفة من الخليفة تعطي مثلاً واضحًا على نظرة العلماء إلى صورة المنصور هذه التي تعمّد أن يظهر فيها، و قد تراوحت هذه المواقف بين الحياد و الحماس و الرفض. تقول الرواية: «إنّه بعد فترة و جيزة من استخلاف المنصور، و كان آنذاك في المدينة، استدعى إليه مالكًا، وقاضي المدينة: ابن سمعان، و عبد الرحمن بن أبي ذئب الذي كان معاصروه يصفونه بأنّه فقيه المدينة، وسألهم المنصور مباشرة: أيّ الرجال أنا عندكم، أمن أئمّة العدل أم أئمّة الجور؟ و كان موقف مالك حياديّاً، إذ طلب من المنصور أن يعفيه من الإجابة. أمّا القاضي ابن سمعان كما يبدو قد بهرته صورة المنصور الإسلاميّة فأجاب: أنت و الله، خير الرجال يا أمير المؤمنين، تحجّ بيت الله الحرام، و تجاهد العدوّ، و تؤمّن السبل، ويأمن الضعيف بك أن يأكله القوي، و بك قوام الدين، فأنت خير الرجال و أعدل الأئمّة. و اختلف موقف ابن أبي ذئب تمامًا فهو لم يرشيًّا في المنصور يستحقّ الإشادة به، فقال له : أنت و الله، عندي شرّ الرجال، استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وأهلكت الضعيف و أتعبت القويّ و أمسكت أموالهم». و قد أثبتت التطوّرات اللاحقة صحّة رأي ابن أبي ذئب في الخليفة عندما أخذت شرور النظام تتنامى، و مظاهر الفساد تظهر على السطح، ممّا جعل الفقهاء يكتشفون أنّ النظام كان يسير في خطّ معاكس تمامًا لما كانوا يعتبرونه حقًّا وفضلاً[1]. و قد عبّرت فتوى زعيما المذهب الحنفيّ و المالكيّ عن استياء فقهاء و علماء عصر المنصور، و عن تسلّط المنصور وجوره على رعيّته في فتواهما المشتركة للناس: «ليس على مكره يمين». وذلك حينما

---

[1]- عصام سخنيني، **العبّاسيّون في سنوات التأسيس** ص ٣٥٥.

سُئلا عن بيعتهما للمنصور، و خروجهما عليه بعد البيعة.[١]

و كان المنصور العبّاسي قد كتب إلى الإمام الصادقعليه السلام: «لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟» فأجابه الصادقعليه السلام: «ليس لنا ما نخافك من أجله، و لا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، و لا أنت في نعمة فنهنّئك، و لا نراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك؟» فكتب المنصور إليه: «تصحبنا لتنصحنا». فأجابه الصادقعليه السلام: «من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخرة لا يصحبك».[٢]

و حاول المنصور أن يستميل علماء و فقهاء زمانه بشتّى الوسائل، و ممّا يروى في هذا أنّ المنصور لمّا حجّ أُدخل عليه بمنى سفيان الثوري (المتوفّى ١٦١ هـ)، و بعد محاورة معه قال له المنصور: «ارفع إلينا حاجتك»، فقال سفيان له: «اتّق الله، فقد ملأت الأرض ظلمًا و جورًا»، فطأطأ المنصور رأسه ثمّ رفعه فقال: «ارفع إلينا حاجتك»، فقال سفيان: «إنّما أُنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين و الأنصار، و أبناؤهم يموتون جوعًا فاتّق الله و أوصل إليهم حقوقهم». فقال لسفيان: «ارفع إلينا حاجتك»، فقال سفيان: «حجّ عمر بن الخطّاب فقال لخازنه : كم أنفقت؟ فقال: بضعة عشر درهماً». ثمّ قال سفيان له: و أرى هنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها، و خرج.[٣] و إشارة سفيان الثوري هنا توحي إلى حجّ المنصور المكلف.

و كان المنصور معروفًا بميله إلى الاقتصاد في النفقات حتّى امتلأت بالأموال خزائنه، و لذلك ترك لابنه المهديّ ثروة جعلته مدّة حكمه هادئ

---

[١]- محمّد بيومي مهران، **الإمامة و أهل البيت** ١: ٢١٤.

[٢]- **بحار الأنوار** ٤٧: ١٨٤.

[٣]- محمّد بيومي مهران، **الإمامة و أهل البيت** ١: ١١٦.

البال ينفق عن سعة و لا يخشى نفاداً. و المعروف لدى المؤرّخين أنّ المنصور لم يكن يعطي الشعراء تلك العطايا البالغة حدّ السرف، و إنّما كانت أعطياته إلى القلّة أميل[1] و حتّى في المصالح العامّة و الضروريّة. ومن هذا يروي إبراهيم بن محمّد البيهقيّ «أنّ المنصور قال للمسيّب بن زهير: أحضرني بنّاء ً حاذقًا الساعة، فأحضره فأدخله إلى بعض مجالسه فقال للبنّاء: ابن لي بإزائه طاقًا يكون شبيهًا بالبيت، فلم يزل يؤتى بالجصّ و الآجرّ حتّى بناه و جوّده، و نظر إليه و استحسنه و قال للمسيّب: أعطه أجره، فأعطاه خمسة دراهم فاستكثرها و قال : لا أرضى بذلك، فلم يزل حتّى نقّصه درهماً ففرح بذلك و ابتهج كأنّه أصاب مالاً».[2]

و يروى أنّه قيل للصادق عليه السلام: «إنّ أبا جعفر المنصور لا يلبس منذ صارت الخلافة إليه إلا الخشن و لا يأكل إلا الجشب»، فقال: يا ويحه، مع ما قد مكّن الله له من السلطان و جبي إليه من الأموال!» فقيل: «إنّما يفعل ذلك بخلاً و جمعاً للأموال»، فقال الصادق عليه السلام: «الحمد للّه الذي حرمه من دنياه كما ترك دينه».[3] و المنصور لم يجعل حدّاً فاصلاً ما بين بيت ماله الخاصّ و بيت المال العامّ، و لم يميّز ما بين موارده الخاصّة و موارد الدولة، فانسجاماً مع النظرة العبّاسيّة العامّة للخلافة، على أنّها من ممتلكات العبّاسيّين، نظر المنصور إلى موارد الخلافة الماليّة نظرته إلى ممتلكاته الخاصّة. ففي مناسبات عديدة نجده يستخدم تعبير: «ما لي» ليس للإشارة إلى ماله الخاصّ ـ إن كان لديه ـ أصلاً، بل إلى موارد الدولة. و هكذا فإنّ الإنفاق من بيت المال أو الخزينة العامّة، كان شأنا

---

[1]- الشيخ محمّد الخضري، **الدولة العبّاسيّة** ص ٧٨.

[2]- **المحاسن و المساوي** ص ٢٣٥.

[3]- **بحار الأنوار** ٤٧: ١٨٤.

شخصيّـــاً من شؤونه الخاصّة دون أن يكون ملزمًـا بـه تجـاه الآخـرين، وهم المحكومون في هذه الحالة. و بهذه النظرة فإنّ تصوّرات و مفـاهيم، مثل: رفاهية المجتمع و المصلحة العامّة للرعيّة، لا يمكـن أن تكـون مـن ضمن اهتمامات الحاكم الرسميّة مادام يعتبر المال في خزينة الدولة مالـه الخاصّ. فعندما قام واليه على مصر يزيد بن حاتم بإنفاق بعـض الأمـوال على مشروع لجرّ المياه إلى بلدة في مصر وبّخه المنصور قائلاً : «أنفقـت مالي على قومك».[1] و كأنّ أموال الدولة دراهم معدودات كانت في جيبه، والدولة ورجالاتها خدم يتحرّكون في زوايا بيته.

و كان لأبي حنيفة محاورة مع المنصور كشف فيها صـعلكة المنصـور وسوء تصرّفه بالمال العامّ، و ذلك حينما دعاه لتولّي القضاء، فقال لـه أبـو حنيفة: «لا يصلح للقضاء إلا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلـى ولدك وقوّادك، و ليست تلك النفس لي»، فقال له المنصور: «فلـم لا تقبـل صلتي؟» فقال له أبو حنيفة: «ما وصلني أمير المـؤمنين بشـيء مـن مالـه فرددته. إنّما وصلني أمير المؤمنين من بيت مال المسلمين، ولا حـقّ لـي في بيت مالهم. إنّي لست ممّن يقاتل من ورائهم فآخذ ما يأخذ المقاتـل، ولست من ولدانهم فآخذ ما يأخذه الولدان، ولست من فقرائهم فآخذ مـا يأخذه الفقراء».[2]

فالعلماء والفقهاء بعامّتهم كانوا يعيشون في محنة مـع المنصـور، فقـد آذى المنصور خلقاً من العلماء - ممّن خرج مع الأخوين محمّد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن بن الحسن بن علـيّ بـن أبـي طالـب عليه السلام، أو أمـر

---

[1]- عصام سخنيني، **العبّاسيّون في سنوات التأسيس** ص ٢٠٥.

[2]- الإمام محمّد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلاميّة**، دار الفكر ص ٣٧٢.

بالخروج - قتلاً و ضرباً وغير ذلك، منهم: أبو حنيفة، وعبد الحميد بن جعفر، و ابن عجلان. و كان ممّن أفتى بجواز الخروج مع محمّد على المنصور مالك بن أنس فقيه المذهب المالكي.

و في سنة ثمان وخمسين ومائة أمر المنصور نائب مكّة بحبس سفيان الثوري وعبّاد بن كثير فحبسا،[١] و كان دأب المنصور السجن أوالضرب أو أمر آخر يراه هو عقابًا للعلماء والفقهاء الذين يثيرون غضب السلطة أولا يستجيبون لرغباتها. و كان أبو حنيفة من العلماء الذين أثاروا غضب السلطة العبّاسيّة لعدم مداهنته لهم، و يقال: إنّ غضب العبّاسيّين على أبي حنيفة كان حينما سئل: «إذا قيل عن البعض: أنّه وقف ماله للإمام، فمن يكون المستحقّ؟» فقال أبوحنيفة: «يكون المستحقّ جعفر الصادق عليه السلام، لأنّه هو الإمام بالحقّ». وكانت هذه الفتوى منه سببًا لنقمة العبّاسيّين عليه وإنزالهم به بعض المظالم.[٢]

وكان الصادق عليه السلام أكثر محنة وبليّة من غيره، لأنّ عيون السلطة كانت مفتوحة عليه. ولطالما استدعوه لملاقاتهم للفتك به إلا أنّ الله تعالى يحفظه من كيدهم، و عندما حلّت سنة ١٤٨ هـ أذن له للقاء الله و أجداده الطاهرين متأثّرا بسمّ دسّه إليه المنصور على يد عامله على المدينة: محمّد بن سليمان ، على رواية.[٣]

ومع كلّ المعاناة والظروف الشاقّة التي أحاطت بالصادق عليه السلام، من جور الخلفاء و مضايقتهم له، تمكّن الصادق عليه السلام من توطيد مدرسة أهل بيته عليهم السلام في المرحلة الانتقاليّة التي عاشها الصادق عليه السلام من عصر الأمويّين

---

[١]- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي بتحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد ص ٢٦١.

[٢]- محمّد أمين غالب، **تاريخ العلويّين** ص ٢٠٠.

[٣]- جعفر البيّاتي، **ما منّا إلّا مقتول أو مسموم** ص ٩٧.

إلى العصر العبّاسي، ولكن مضايقات المنصور العبّاسي بدأت حين شعر بأنّ الصادقعليه السلام صار قطب الرحى ومركز العلم النبوي، ولم يكن المنصور حين تولّى الخلافة يخاف من الدولة البائدة: دولة الأمويّين، لأنّه لم تبق لهم بقيّة يخاف منها، وإنّما كان الخوف ينتاب المنصور من ثلاث جهات:

الأولى: منافسة عمّه عبدالله بن عليّ له في الأمر، لما كان له من نباهة الذكر في بني العبّاس، لأنّه كان يدبّر أمر جيوش الدولة.

الثانية : من عظمة أبي مسلم الخراساني مؤسّس الدولة.

الثالثة : ـ وهي أقوى الجهات ـ خوفه من بني عمّه آل عليّ بن أبي طالبعليهم السلام، الذين لايزال لهم في قلوب الناس مكان مكين.[1] و لذا كان الصادق عليه السلام يعاني و يكابد من ظنون المنصور، فقد كان يهمّ بقتل الصادق عليه السلام غير مرّة، بفعل الدسائس التي كان يحوكها الواشون لقتله. و كان المنصور إذا بعث إليه ليقتله فإذا نظر إليه هابه و لم يقتله، غير أنّه منع الناس عنه، و منعه من القعود للناس، و استقصى عليه أشدّ الاستقصاء، حتّى أنّه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه: في نكاح، أو طلاق، أو غير ذلك، فلا يكون علم ذلك عندهم، ولايصلون إليه، فيعتزل الرجل و أهله، فشقّ ذلك على شيعته وصعب عليهم حتّى ألقى الله في رُوع[2] المنصور أن يسأل الصادقعليه السلام ليتحفه بشيء من عنده، لايكون لأحد مثله، فبعث إليه الصادقعليه السلام بمِخْصَرة[3] كانت للنبيّصلى الله عليه وآله طولها ذراع ففرح بها فرحًا شديدًا، و أمر أن تشقّ له أربعة أرباع و قسّمها في أربعة

---

[1]- محمّد الخضري، **الدولة العبّاسيّة، دار المعرفة** - ط السابعة ص ٥٤١.

[2]- الروع: النفس و ما خطر فيها، يقال: وقع في روعي، أي في خلدي. **ترتيب جمهرة اللغة** ٢:٩٩ (روع).

[3]- المِخْصَرة : عصا أو قضيب يشير به الخطيب و يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب. **ترتيب جمهرة اللغة** ١:٥٢٧ (خصر).

مواضع ثمّ قال له: «ما جزاؤك عندي إلا أن أطلق لك، و تفشي علمك لشيعتك، ولا أتعرّض لك و لا لهم، فاقعد غير محتشم و أفت الناس، ولا تكن في بلد أنا فيه»، ففشا العلم عن الصادق عليه السلام.[١] و هكذا كان علم الصادق عليه السلام يظهر و بدأ ينتشر من ذلك الحين.

عهد الكاظم عليه السلام

لسبع خلون من صفر لعام ١٢٨ هـ، شعّت الأبواء[٢] بالنور السابع و النجم الساطع موسى بن جعفر الصادق عليه السلام، من أبوين عالمين زقّا ولدهما العلم والمعرفة، فأبوه الصادق عليه السلام كان عالم الأمّة وسيّدها في العصرين: الأموي والعبّاسي، و أمّه كانت مرجعًا لنساء زمانها في العلم و الفتيا، و هي حميدة المصفّاة من الأدناس، كسبيكة الذهب التي حرستها الأملاك كرامة للصادق عليه السلام بعلها وللكاظم عليه السلام ولدها.[٣] و كان الصادق عليه السلام يأمر النساء بالرجوع إليها. و حين سأل الصادق عليه السلام عبد الرحمن بن الحجّاج عن حجّ الصبيّ المولود أمره عليه السلام أن يقول لأمّه بأن تسأل حميدة في ذلك[٤] فنشأ عليه السلام ينهل من ينبوع صافٍ أفاض منه علمًا على أصحابه وأهل زمانه.

وكان خاصّة الكاظم عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحرصون على تدوين حديثه عليه السلام فكانوا يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس[٥] لطاف و أميال، فإذا نطق عليه السلام بكلمة و أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا

١- **بحار الأنوار** ٤٧: ١٨٠.

٢- الأبواء: منزل بين مكّة و المدينة.البحار ٤٨ : ١.

٣- ينظر **أصول الكافي**١:٤٧٧ ح ٢؛ **بحار الأنوار** ٤٨ :٦؛ **تهذيب الأحكام** ٦: ٨١ .

٤- ينظر **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام** كتاب الحجّ، كيفيّة إحرام غير المميّز و المجنون ١٧: ٢٣٥.

٥- الآبنوس: من شجر الجبال ويقال له: الساسم أيضًا. ينظر **لسان العرب** (سسم).

منه ذلك اليوم.[١] وكان عليه السلام أعبد أهل زمانه، و أفقههم و أسخاهم كفًا، وأكرمهم نفسًا. و روي: «أنّه كان يصلّي نوافل الليل و يصلها بصلاة الصبح، ثمّ يعقّب حتىّ تطلع الشمس، و يخرّ لله ساجدًا فلا يرفع رأسه من السجود والتحميد حتىّ يقرب زوال الشمس. وكان عليه السلام يتفقّد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزبيل فيه العين، والورق، والأدقّة، و التمور فيوصل ذلك إليهم ولا يعلمون من أيّ جهة هو».[٢] و سخاؤه عليه السلام كان يضرب به المثل فكانوا يقولون: «عجبًا لمن جاءته صرّة موسى عليه السلام فشكا القلّة!» و كان عليه السلام يصل بالمائتي دينار إلى الثلاثمائة، وكان عليه السلام إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنانير.[٣]

ومع كلّ هذا العطاء الذي كان يقدّمه الإمام عليه السلام للأُمّة، فإنّ الخلفاء الذين عاشوا عصره لم يكن يروق لهم هذا التفاعل والتواصل الذي عرف به عليه السلام في حياته.

فابتلي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بسلاطين ثلاثة من بني العبّاس هم: المهدي ، والهادي، وهارون الرشيد، وكان الثالث أشدّهم عليه، فقد كانت الدولة العبّاسيّة في عصرها الذهبي وفي أوج عزّها، و تألّقت الدنيا وزهت لأبنائها، فأنستهم زخارفها و زينتها كلّ شيء، فانغمسوا بالشهوات، وركبوا صهوات الحرمات، وكرعوا من كؤوس الغانيات الفاتنات، و جعلوا من بغداد قبلة الفجّار والعاهرات، و دارت رؤوسهم بخمرة الزهو و الغرور، وامتلأت جيوبهم بالنقود و الجواهر، و علّقوا على

---

[١]- **بحار الأنوار** ٤٨:١٥٣.

[٢]- نفس المصد ٤٨: ١٠١.

[٣]- نفس المصد ٤٨: ١٠٢ و ١٠٤و ٢٤٨.

جيد الغواني والجواري اللآلىء و الدرّ الوفير، و لم يسمعوا نداء المُسجد و المؤذّن، بل كانت آذانهم تسمع نقر العود والطنبور، فغرقت دولة بني العبّاس ورجالها في بحار النزوات.

و كانت بداية الانحلال و التفسّخ الذي عرف به خلفاء بني العبّاس تظهر في خلافة المهديّ بن المنصور، فممّا يروى في ذلك أنّ يعقوب بن داود وزير المهدي قد ضجر بموضعه قبل حبسه، و كان أصحاب المهديّ يشربون عنده فكان يعقوب ينهاه عن ذلك و يعظه و يقول: ليس على هذا استوزرتني، ولا عليه صحبتك، أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يُشرب عندك النبيذ! فضيّق عليه المهديّ العبّاسي حتّى قيل:

فدع عنك يعقوب بن داوود جانبا و أقبل على صهباء طيّبة النشر

و قال يعقوب يومًا للمهديّ في أمر أراده: هذا والله السرف! فقال المهدي: ويحك، يا يعقوب، إنّما يحسن السرف بأهل الشرف، ولو لا السرف لم يعرف المكثرون من المقلّين![1] هكذا يفهمون الأمور و كأنّها ملكهم فيتصرّفون بها.

وقد نسب إلى الشاعر الأعمى بشّار بن برد هجاءً في المهديّ العبّاسي قوله:

خليفة يزني بعمّاته يلعب بالدبّوق[2] و الصّولجان

أبدلنا الله به غيره و دسّ موسى في حر الخيزران

وقد سحرت المهديّ جارية و سلبته عقله حينما دخل بعض دوره يومًا فإذا جارية له نصرانيّة، و إذا جيبها واسع وقد انكشف عمّا بين

---

[1]- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٢٥٣.

[2]- الدبّوق: لعبة يلعب بها الصبيان. **لسان العرب** (دبق).

ثدييها، وإذا صليب من ذهب معلّق في ذلك الموضع فاستحسنه فمدّ إليه يده فجذبه فأخذه فوَلوَلت الجارية على الصليب فقال المهديّ في ذلك:

يوم نازعتها الصليب فقالت ويح نفسي أما تحلّ الصليبا[١]

وكأنّه ينظر إلى حكمة، أو آية شريفة وجدها في جدار مسجد أو مشهد تقدّسه الملائكة؟!

وكان الرشيد وفيًّا لأبيه المهديّ في التعبّد بمحراب الغانيات، وكانت غادر واحدة منهنّ، حيث يروى الحافظ بن كثير الدمشقيّ عن جارية كانت تسمّى: غادر، كانت لموسى الهادي، وكان يحبّها حبًا شديدًا، و كانت تحسن الغناء، فبينما هي يومًا تغنّيه، إذ أخذته فكرة غيّبته عنها وتغيّر لونه، فسأله بعض الحاضرين: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخذتني فكرة: إنّي أموت و أخي هارون يتولّى الخلافة بعدي، و يتزوّج جاريتي هذه، ففدّاه الحاضرون ودعوا له بطول العمر، ثمّ استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع، فعوّذه الرشيد في ذلك، فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلّظة من الطلاق و العتاق و الحجّ ماشيًا حافيًا، أن لايتزوّجها، فحلف له واستحلف الجارية كذلك فحلفت له، فلم يكن إلا أقلّ من شهرين حتّى مات، ثمّ خطبها الرشيد، فقالت: كيف بالأيمان التي حلفناها أنا و أنت؟ فقال: إنّي أُكفّر عنّي و عنك، فتزوّجها وحظيت عنده جدًّا، حتّى كانت تنام في حجره فلا يتحرّك خشية أن يزعجها، فبينما هي ذات ليلة نائمة إذ انتبهت مذعورة تبكي، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامي هذا و هو يقول:

أخلفت عهدي بعد ما جاورت سكّان المقابر

و نسيتني و حنثتِ في أيمانك الكذب الفواجر

---

[١]- **تاريخ الطبري** ٨: ١٨١ و ١٨٤.

و نكحـــت غـــادرة أخـــي   صـــدق الـــذي ســـمّاك غـــادر
أمـــسيت فـــي أهـــل البـــلى   و عـــددت في الموتى الغوابر

فقالت للرشيد: فكأنّما كتبت هذه الأبيات في قلبي، ثمّ مازالت ترتعد وتضطرب حتّى ماتت.[1] لتنتظر القصاص على غدرها في عالم القبر و البرزخ، و تترك الرشيد في مغامراته و لياليه يستمتع من حلالها و حرامها.

و من هنا كانت معاناة موسى بن جعفر عليه السلام مع هذا التفسّخ و الانحلال كبيرة، فهو يرى ولاة الأُمّة و مدّعي إمامتها بهذا المستوى من التدهور و السقوط، و لا يمكنه أن يأمرهم بمعروف لجبروتهم، أو ينهاهم عن منكرهم لغيّهم ، بل قيّدوه و سجنوه. و أوّل من بدأ بسجنه هو الخليفة المهديّ بن المنصور، لكنّه أطلقه، لأنّه لم يجد سبيلاً له عليه. و يتحدّث ابن الأثير عن هذا الحدث بالقول: قال الربيع: رأيت المهديَّ يصلّي في بهو له في ليلة مقمرة، فما أدري أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه؟ فقرأ. ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[2].

فأتمّ صلاته ثمّ التفت إليّ و قال: يا ربيع، قلت: لبّيك، قال: موسى، فقلت في نفسي: من موسى ابنه، أم موسى بن جعفر، و كان محبوساً عندي، فجعلت أُفكّر فقلت: ما هو إلا موسى بن جعفر، فأحضرته فقطع صلاته ثمّ قال: يا موسى، إنّي قرأت هذه الآية فخفت أن أكون قد قطعت رحمك، فوثّق لي أنّك لا تخرج عليّ. قال: نعم، فوثّق له فخلاه .[3]

أمّا الخليفة موسى الهادي فلم يكن حسن الظنّ بالكاظم عليه السلام، فكان

---

[1]- **البداية و النهاية** لابن كثير ١٠: ١٧٥.

[2]- محمّد : ٢٢.

[3]- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٢٦٢.

يعتقد بأنّ الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام (صاحب فخّ)، الذي خرج و ثار على سلطة العبّاسيّين عام ١٦٩هـ، كان بأمر و توجيه من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، و لذلك لمّا قتل صاحب فخّ و حمل رأسه و الأسرى من أصحابه إلى بغداد قال: والله ما خرج حسين إلا من أمره، لأنّه صاحب الوصيّة في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه، ولو لا ماسمعت من المهديّ فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر من: الفضل المبرّز عن أهله في دينه، وعلمه، وفضله، وما بلغني عن السّفاح فيه من: تقريظه، وتفضيله، لنبشت قبره و أحرقته بالنار إحراقًا، فقال أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، و كان جريئًا عليه: ليس هذا مذهب موسى بن جعفر، ولا مذهب أحد من ولده، ولا ينبغي أن يكون هذا منهم، و أكّد ذلك بالأيمان المغلّظة، ولم يزل يرفق به حتّى سكن.

و كتب عليّ بن يقطين إلى موسى بن جعفر عليه السلام بصورة الأمر: فلمّا ورد الكتاب أحضر عليه السلام أهل بيته وشيعته فأطلعهم على ما ورد من الخبر فقال لهم: ما تشيرون في هذا الأمر؟ فقالوا: نشير عليك - أصلحك الله - و علينا معك أن تباعد شخصك عن هذا الجبّار فإنّه لا يؤمن شرّه و عاديته و غشمه، سيّما و قد توعّدك و إيّانا معك، فتبسّم موسى بن جعفر عليه السلام وتمثّل ببيت كعب بن مالك:

زعمت سخنية أن ستغلب ربّها فليغلبن مغالب الغلاب

ثمّ أقبل على مواليه و أهل بيته فقال: «ليفرخ روعكم[1] إنّه لا يرد أوّل كتاب من العراق إلا بموت موسى بن المهديّ و هلاكه»، ثمّ قال: «و

---

[1]- يقال ذلك للرجال عند الفزع، أي: لن تراع. **ترتيب جمهرة اللغة** ٣: ٢٤ (فرخ).

حرمة هذا القبر مات في يومه هذا ! ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[١] سأخبركم بذلك: بينما أنا جالس في مصلاي بعد فراغي من وردي، و قد تنوّمت عيناي، إذ سنح جدّي رسول الله في منامي فشكوت إليه موسى ابن المهدي، و ذكرت ماجرى منه في أهل بيته و أنا مشفق من غوائله، فقال لي: لتطب نفسك يا موسى، فما جعل الله لموسى عليك سبيلاً، فبينما هو يحدثني، إذ أخذ بيدي و قال لي: قد أهلك الله آنفاً عدوك فليحسن لله شكرك، ثمّ استقبل عليه السلام القبلة و رفع يديه إلى السماء يدعو. يقول راوي الخبر: ثمّ قمنا إلى الصلاة و تفرّق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى بن المهدي والبيعة لهارون الرشيد[٢]؛ يالها من بيعة، كانت بيعة جرّت ندمًا و سدمًا على الأمّة، و على آل عليّ عليه السلام !

فلقد كانت هذه البيعة طوقًا ثقيلاً على البيت العلوي و بداية حرب شعواء ضدّهم، و من هنا بدأت محنة موسى بن جعفر عليه السلام مع هارون العبّاسيّين، فقد كان هذا يخاف و يضطرب من شخصية الإمام عليه السلام ويتوجّل منه، لما تصله من أخبار سعاة السوء و حسّاده عليه السلام. و يتحدّث الإمام عليه السلام نفسه عن بليّته به قائلاً : «لمّا أُدخلت على الرشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السلام ثمّ قال: يا موسى بن جعفر، خليفتان يُجبى إليهما الخراج؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، أُعيذك باللّه أن تبوء بإثمي و إثمك، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت بأنّه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أما علم ذلك عندك؟! فإن رأيت بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأذن لي أُحدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدّي رسول

---

[١]- الذاريات : ٢٣.

[٢]- **بحار الأنوار** ٤٨: ١٥٠ و ٩٤: ٣١٧.

اللهﷺ فقال: قد أذنت لك. فقلت: أخبرني أبي، عن آبائه، عن جدّي رسول اللهﷺ أنّه قال: إنّ الرحم إذا مسّت الرحم تحرّكت واضطربت فناولني يدك، جعلني الله فِداك. قال: ادن منّي، فدنوت منه فأخذ بيدي ثمّ جذبني إلى نفسه و عانقني طويلاً ثمّ تركني و قال: اجلس يا موسى، فليس عليك بأس، فنظرت إليه فإذا به قد دمعت عيناه، فرجعت إليّ نفسي فقال: صدقت و صدق جدّكﷺ، لقد تحرّك دمي و اضطربت به عروقي حتّى غلبت عليّ الرقّة و فاضت عيناي، و أنا أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين، لم أسأل عنها أحداً، فإن أنت أجبتني عنها خلّيت عنك، و لم أقبل قول أحد فيك، و قد بلغني أنّك لم تكذب قطّ فأصدقني فيما أسألك ما في قلبي، فقلت: ما كان علمه عندي فإنّي مخبرك به إن أنت آمنتني. قال: لك الأمان إن صدقتني و تركت التقيّة التي تعرفون بها معاشر بني فاطمة، فقلت: ليسأل أمير المؤمنين عمّا يشاء، قال: أخبرني لم فُضّلتم علينا و نحن و أنتم من شجرة واحدة، و بنو عبد المطّلب و نحن و أنتم واحد، إنّا بنو عبّاس و أنتم ولد أبي طالب و هما عمّا رسول اللهﷺ و قرابتهما منه سواء؟ فقلت: نحن أقرب. قال: و كيف ذاك؟ قلت : لأنّ عبد الله و أبا طالب لأب و أُم، و أبوكم العبّاس ليس هو من أُمّ عبد الله و لا من أُمّ أبي طالب. قال: فلمَ ادّعيتم أنّكم ورثتم النبيّﷺ و العمّ يحجب ابن العمّ، و قبض رسول اللهﷺ و قد توفّي أبو طالب قبله و العبّاس عمّه حي؟ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة، و يسألني عن كلّ باب سواه يريده، فقال: لا، أو تجيب. قلت: فآمّني. قال: آمنتك قبل الكلام، فقلت: إنّ في قول عليّ بن أبي طالبعليه السلام: إنّه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أو أُنثى لأحد سهم إلا الأبوين و الزوج و الزوجة، و لم يثبت للعمّ

مع ولد الصلب ميراث، و لم ينطق به الكتاب العزيز و السـنّة إلا أنّ تيمًا وعديًا و بني أُميّة قالوا: العمّ والد، رأيًا منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و من قال بقول عليّ من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هذا نوح بن درّاج يقول في هذه المسألة بقول عليّ عليه السلام و قد حكم به، وقد ولاه أمير المؤمنين المِصْرين: الكوفة، و البصرة و قضى به، فأُنهي إلى أمير المؤمنين فأمر بإحضاره و إحضار من يقول بخلاف قوله، منهم: سفيان الثوري و إبراهيم المازني، و الفضيل بن عياض، فشهدوا أنّه قول عليّ عليه السلام في هذه المسألة، فقال لهم فيما بلغني بعض العلماء من أهل الحجاز: لِمَ لا تفتون و قد قضى نوح بن درّاج؟ فقالوا: جسر و جبنّا.

و قد أمضى أمير المؤمنين قضيّته بقول قدماء العامّة عند النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أقضاكم عليّ، و كذلك عمر بن الخطّاب قال: عليّ أقضانا و هو اسم جامع، لأنّ جميع ما مدح به النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه من القرابة و الفرائض و العلم داخل في القضاء. قال: زدني يا موسى، قلت: المجالس بالأمانات و خاصّة مجلسك. فقال: لا بأس به، فقلت: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يورّث من لم يهاجر، و لا أثبت له ولاية حتّى يهاجر. فقال: ما حجّتك فيه؟ قلت: قول الله تبارك: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا**﴾[1] و إنّ عمّي العبّاس لم يهاجر، فقال لي: إنّي أسألك يا موسى، هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا، أو أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشي؟ فقلت: اللهمّ لا، و ما سألني عنها إلا أمير المؤمنين. ثمّ قال لي: جوّزتم للعامّة و الخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و يقولوا لكم: يا بني رسول الله و أنتم بنو عليّ، و إنّما ينسب المرء إلى أبيه، و فاطمة إنّما هي وعاء و النبيّ جدّكم من قبل أُمّكم؟

---

[1]- الأنفال : ٧٢.

فقلت:يا أمير ألمؤمنين،لو أنّ النبيّ ﷺ نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ قال : سبحان الله ! و لم لا أجيبه، بل أفتخر على العرب والعجم و قريش بذلك. فقلت له : لكنّه لا يخطب إليّ و لا أُزوّجه. فقال : و لم؟ فقلت : لأنّه ولدني و لم يلدك. فقال : أحسنت يا موسى، ثمّ قال : كيف قلتم، إنّا ذرّيّة النبيّ و النبيّ لم يعقب و إنّما العقب الذكر لا الأنثى، و أنتم ولد الابنة و لا يكون ولدها عقباً له. فقلت: أسألك بحقّ القرابة و القبر و من فيه إلا أعفيتني عن هذه المسألة. فقال : لا أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد عليّ، و أنت يا موسى يعسوبهم و إمام زمانهم، كذا أُنهي إليّ، و لست أعفيك في كلّ ما أسألك عنه حتّى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله، و أنتم تدّعون معشر ولد عليّ أنّه لا يسقط عنكم منه شيء ألف و لا واو إلا تأويله عندكم، و احتججتم بقوله عزّ وجلّ: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[1] و استغنيتم عن رأي العلماء و قياسهم، فقلت : تأذن لي في الجواب؟ قال : هات. فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[2] من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب. فقلت : إنّما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، و كذلك ألحقنا بذراري النبيّ ﷺ من قِبل أُمنّا فاطمة عليها السلام.

أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال : هات. قلت : قول الله عزّ وجلّ ﴿**فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على**

---

[1]- الأنعام : ٣٨.

[2]- الانعام : ٨٤ و ٨٥

الكاذبين﴾»[١] و لم يدّع أحد أنّه أدخله النبيّ صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام و فاطمة و الحسن والحسين، «أبناءنا» : الحسن و الحسين، و «نساءنا» : فاطمة، و «أنفسنا» : عليّ بن أبي طالب عليه السلام. على أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أحد: يا محمّد، إنّ هذه لهي المواساة من عليّ. قال : لأنّه منّي و أنا منه. فقال جبرئيل : و أنا منكما يا رسول الله. ثمّ قال : لا سيف إلّا ذوالفقار و لا فتى إلا عليّ، فكان كما مدح الله عزّ وجلّ به خليله عليه السلام إذ يقول **﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾**.[٢] إنّا نفتخر بقول جبرئيل: إنّه منّا. فقال: أحسنت يا موسى! ارفع إلينا حوائجك. فقلت له : إنّ أوّل حاجة لي أن تأذن لابن عمّك أن يرجع إلى حرم جدّه و عياله. فقال : ننظر إن شاء الله».[٣]

فما كان من هارون إلا أن يدعه في غياهب السجن، و كأنّه كافأه على هذه الحجج الدامغة، و المحاورة الهادئة التي كانت بينهما، فما كان من موسى بن جعفر عليه السلام إلا الشكر و السجود لله في محبسه الذي أعدّه واختاره له هارون، و كان عليه السلام يسجد كلّ يوم سجدة بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال، فكان هارون ربّما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي حبس فيه موسى بن جعفر عليه السلام فكان يرى الإمام عليه السلام ساجداً، فقال للربيع : ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟ قال : يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب، و إنّما هو موسى بن جعفر له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى الزوال. قال الربيع : فقال هارون: أما

---

[١]- آل عمران : ٦١.

[٢]- الأنبياء : ٦٠.

[٣]- **الاحتجاج** للطبرسي ص ٣٨٩ - ط الأعلمي بيروت.

إنّ هذا من رهبان بني هاشم ! قلت : فما لك فقد ضيّقت عليه في الحبس؟! قال : هيهات لا بدّ من ذلك.[1] و كأنّ هارون كان يعلم قدر الإمام لأنّه عليه السلام قال للرشيد يوماً : «أنا إمام القلوب و أنت إمام الجسوم»[2] فهذه هي منزلته و لذا كان يخافه هارون و يخشى معرفة الناس بأحقّية الإمام و سلطته المنصوصة من قبل السماء فآثر مضايقته حتّى آل الأمر إلى أن يقتله بالسمّ غدراً.

و كان هارون يأمل من الإمام الكاظم عليه السلام أن يخضع له خضوع العبيد، و أن يلتمس منه العفو و الرحمة من غير ذنب أذنبه و جرم أجرمه، فقد روى الشيخ الطوسي: «أنّ الرشيد بعث يحيى بن خالد إلى الإمام عليه السلام في السجن أن يقول له : إنّي لا أخلّيك حتّى تقرّلي بالإساءة و تسألني العفو عمّا سلف»[3] و كان الإمام عليه السلام يأبى ذلك، و مازال دأبه معه حتّى قتله، ولكن بقيت سيرته و عبادته عليه السلام موضع تعجّب و اندهاش ساجنيه. لقد كان الرشيد يتصوّر بأنّ اعتقاله و حجبه عن هذه الحياة يمنع ضوءه وتأثيره القويّ الفاعل في نفوس الأمّة، لذا أبعده إلى البصرة أوّل أمره، وأرسل إلى عيسى بن جعفر والي البصرة آنذاك ليسجنه لديه و يحجبه عن أتباعه و شيعته، فحبسه عيسى سنة كاملة، ثمّ كتب إلى الرشيد : أن خذه منّي و سلّمه إلى من شئت و إلا خلّيت سبيله، فإنّي اجتهدت بأن أجد عليه حجّة فما قدرت على ذلك، حتّى إنّي لأتسمّع عليه إذا دعا فأقول لعلّه يدعو عليّ أو عليك فما أسمعه يدعو إلا لنفسه يسأل الرحمة

---

[1]- **بحار الأنوار** ٤٨: ٢٢٠؛ **عيون أخبار الرضا** ١: ٩٥.

[2]- الإتحاف بحبّ الأشراف ص ١٥٠.

[3]- **الغيبة** للطوسي ص ٢٠.

و المغفرة.[١]

لقد فتن هذا الوالي العبّاسي بصبره عليه السلام وسعة صدره و صفاء قلبه حتّى أنّه لم يسمعه يدعو على ظالميه و ساجنيه، و كان ينبغي للرشيد أن يكسر القيود و يعيد هذا العبد الصالح إلى مدينته و أُسرته، ولكن الجبروت و الاستبداد الذي تملّكه دفعه إلى أن يعيده إلى سجنه و يبعده عن المدينة، لكنه لم يجد سبباً أو سبيلاً عليه، بل لا بدّ أن يدبّر أمراً لكي ينقله إلى بغداد ليعيده في سجونه المظلمة من جديد. و من المحتمل أن تكون زيارة الرشيد للمدينة و قبر النبي صلى الله عليه وآله كان ليدبّر خطّة السجن له عليه السلام، يقول ابن الأثير في ذلك : كان سبب حبسه عليه السلام أنّ الرشيد اعتمر في شهر رمضان من سنة تسع و سبعين و مائة فلمّا عاد إلى المدينة، على ساكنها الصلاة و السلام، دخل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله يزوره ومعه الناس، فلمّا انتهى إلى القبر وقف الرشيد فقال : السلام عليك يا رسول الله يا بن عمّ، افتخاراً على من حوله، فدنا موسى بن جعفر عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبت،

فتغيّر وجه الرشيد و قال : هذا الفخر يا أباالحسن جدّاً ! ثمّ أخذه معه إلى العراق فحبسه عند السندي بن شاهك، و تولّى حبسه أُخت السندي بن شاهك.[٢]

إلا أنّ هذا الحبس كان درجة له عليه السلام و فضيحة لظلم الرشيد و استبداده و طغيانه، و لم يكن السجن كافياً للطغاة حتى قتلوه في سنة ١٨٣ هـ مسموماً[٣] معجّلين له جنّات النعيم، و رحل عنهم لكي تتحدّث

---

[١]- **مثير الأحزان** للشيخ، شريف الجواهري ص ٢٥٢.

[٢]- **الكامل في التاريخ** ٥: ٣١٩.

[٣]- ينظر **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن عماد الحنبلي ١: ٣٠٤.

عنه وثائق التاريخ عن رجل صالح فاق العبّاد و الزهّاد في زمانه.

و كان حديث عبادته قد وصلنا من عناصر البلاط العباسي و مقرّبيه، قبل محبّيه و شيعته، فقد حكت أُخت السندي بن شاهك عن موسى بن جعفرعليه‌السلام في حبسه لديها فقالت : كان إذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده، و دعاه إلى أن يزول الليل، ثمّ يقوم فيصلّي حتّى يصلّي الصبح، ثمّ يذكر الله تعالى حتّى تطلع الشمس، ثمّ يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثمّ يرقد يستيقظ قبل الزوال، ثمّ يتوضّأ و يصلّي حتّى يصلّي العصر، ثمّ يذكر الله حتّى يصلّي المغرب و العتمة. فكان هذا دأبه إلى أن مات. و كانت أُخت السندي إذا رأته قالت : خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل الصالح![١] ولكنّهم تعرّضوا له و سقوه السمّ فخابت آخرتهم، و أعدّوا العدّة ليما رسوا دور القاتل الخائب مع وصيّه و وارثه عليّ بن موسى الرضاعليه‌السلام الذي تجرّع كأس السموم و الغموم منهم على يد المأمون ثمّ قتله.

---

[١]- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٣٢٠.

السياسة العبّاسيّة مع العلويّين

كان الخلفاء الذين سبقوا الرشيد لا يعلنـون عـدواتهم و لا يجـاهرون بها، و إنّما يكتمون هذا عـن النـاس و يظهـرون لهـم بـأنّهم يـودّون آل عليّ عليه السلام، حتّى روى الخلفاء العباسيون بعض فضائل علـي عليه السلام و فضـائل الأئمة من ذرّيته، و كان السفّاح و المنصور يسعيان إلى التـودّد الظـاهري إلى الأئمة عليهم السلام، و من هذا يروى بأنّ أبا جعفر المنصور خـرج فـي يـوم جمعة متوكئاً على يد الصادق عليه السلام، فقال رجل يقال له : رزام مولى خالد بن عبد الله : من هذا الذي بلغ من خطره ما يعتمد أميـر المـؤمنين علـى يده؟ فقيل له : هذا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق صلّى الله عليـه.. ثمّ قام فوقف بين يدي المنصور فقال له : أسأل يا أمير المـؤمنين؟ فقـال له المنصور : سل هذا، فقال : إنّي أُريدك بالسؤال، فقال المنصـور : سـل هذا، فالتفت رزام إلى الصادق عليه السلام فسأله و أجابه الصادق عليه السلام عن سؤاله، فالتفت المنصور إلى الصادق عليه السلام مخاطباً له : يا أبا عبد الله، لا نزال مـن بحرك نغترف و إليك نزدلف، تبصّر من العمى، و تجلو بنـورك الطخيـاء،

فنحن نعوم في سبحات قدسك و طامي بحرك.[1]

هكذا كان يقول المنصور بلسانه و ربّما بقلبه، ولكنّ غـرور الحكـم و سكرة الملك لم تدعه يصفو مع الصادق عليه السلام وليّ الله في أرضه و حجتـه على عباده، بل كان يتجاهل ذلك، و هو يعلـم قـدره عليه السلام، و ظـلّ يعـيش المنصور في دوامة من نشوة سلطانه و طغيان كبريائه، و كأنّ الزمـان قـد خدعه، فلقد عاشت دولة بني العباس أزهى عصورها و تألّقت الدنيا فـي عيونهم منذ أن استلم زمام هذه الدولة أبو جعفر المنصور الدوانيقي الذي أسّس و وطّد دعائم هذه الدولة الفتيّة بأعمدة من حديد صلبة، لـم يكـن يأبه بانيها لناصح و لا لرجل دين أو حكمة، بل كان جـلّ همّـه أن يعلـو صرح بني العباس شامخاً، حتّى و لو كانت رمـال و تـراب هـذا الطـين والحجر العالي من دماء أبناء علي عليه السلام و رفات أجسادهم.

لقد كان المنصور جلداً جافاً شأنه شأن أي حاكم دنيـويّ سـلطوي، لبس لباس الملوك و سار بسيرتهم في القوّة و الحزم و الجدّ و البأس، إلا أنّه خالط هذا الحزم و السطوة بقطرات من دموع باردة لم تسخن يذرفها حين يضربه سوط الزمـــــان. و ينسب له قوله : «إنّ مـن نازعنـا عـروة هذا القميص أجزرناه خبى هذا الغمد». أي أنّه من ينازعنا الخلافة أخذناه بحدّ السيف.[2]

و مع هذا الحرص و التكالب على أن لا تتفلّت من يده دابّة الحكـم و السلطة يبدو و كأنه رجل دين زاهد في مواقـع تنسّـكه أو فـي لحظـات خلوته مع ربّه حين يناجيه و في موقع له خطب بـه فـي مدينـة السـلام

---

[1]- ينظر **بحار الأنوار** ٤٧: ١٨٥؛ **فلاح السائل** لابن طاووس ص ٢٣؛ **كنز الكراجي** ٢: ٢٢٣ - ط بيروت.

[2]- محمّد جاسم الحديثي، **وصايا الخلفاء و الأمراء السياسيّة و الإداريّـة فـي العصـر العبّاسـي** - ط المجمع العلمي بغداد ٢٠٠٢ ص ٩٧.

سنة ١٥٢ هـ، قائلاً : «يا عباد الله، لا تظلموا فإنّها مظلمة يوم القيامة، و الله لو لا يد خاطئة و ظلم ظالم لمشيت بين أظهركم في أسواقكم، و لو علمت مكان من هو أحقّ بهذا الأمر منّي لأتيته حتّى أدفعه إليه».[١] فهنا يبدو المنصور و كأنّه حكيم زاهد مجبر على لبس لباس الملوك و السير بسيرتهم، و كأنّه لم يستطع أن يكتشف أو يجد السلطان الذي ينبغي أن يسلّم إليه السلطة. ولكن الخليفة وجد الرجل المناسب الذي ينبغي أن تنقاد له دولته، و هو الصادق عليه السلام إلا أنّه كابر الزمان و كابر الحقّ. و لو لا بقيّة من رحم هاشميّة لبطش بالصادق عليه السلام بطشة كبرى كما يبطش بالآخرين من عباد الله، ولكن حنينه إلى ماضٍ عتيد ردعه بعض الشيء عن الفتك بالصادق عليه السلام.

فالمنصور في الظاهر يحتفظ بمسكة عاطفة هاشميّة و خيط مهلهل من رحم لم يحفظ حرمتها أولاده. من بعده، و كأنّهم قطعوا خيوط الرحم الهاشميّ و نسيجه.

و حين استشار المنصور رجلاً من قيس عيلان في أمر إبراهيم و محمد بن عبد الله بن الحسن، اللذين كانا يعدّان لثورة للانقضاض على المنصور و دولته، قال هذا الرجل : أرى أن تستعمل رجلاً من ولد الزبير أو طلحة، فإنّهم يطلبونهما بزحل و يخرجونهما إليك، فقال المنصور : «قاتلك الله ما أجود ما رأيت! و الله ما خفي عليّ هذا، ولكنّي أُعاهد الله لا أنتقم من بني عمّي و أهل بيتي بعدوّي و عدوّهم، ولكنّي أبعث عليهم صعلوكاً من العرب يفعل بهم ما قلت»[٢] فجرى ما جرى عليهما، و كذا يظهر من قول أحدهم للمنصور حين استشاره : فابعث بهم إلى وادي

---

[١]- **تاريخ الطبري** ٨ : ٨٨.

[٢]- **البداية و النهاية** لابن كثير الدمشقي ١٠: ٩٣.

القرى يمنعونهم من ميرة الشام، فيموت - أيّ محمّد بن عبد الله - هو ومن معه جوعاً، فإنّه ببلد ليس فيه مال و لا رجال و لا كراع و لا سلاح[١] و عندها سيّر إلى حرب محمّد بن عبد الله ابن أخيه عيسى بن موسى وقال له : فإن ظفرت بالرجل فاغمد سيفك و ابذل الأمان، و إن تغيّب فضمّنهم إيّاه فإنّهم يعرفون مذاهبه. و من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إليّ باسمه، و من لم يلقك فاقبض ما له. و كان جعفر الصادقعليه السلام تغيّب عنه فقبض ماله[٢] و من ذلك عين أبي زياد التي كانت للصادقعليه السلام. و لمّا حشر الصادقعليه السلام مع بني الحسن إلى العراق قال الصادقعليه السلام للمنصور : اردد عليّ عين أبي زياد آكل من سعفها.

فغضب المنصور و قال : إيّاي تكلّم بهذا الكلام ! و الله لأزهقنّ نفسك، فقال الصادقعليه السلام له : قد بلغت ثلاثًا و ستّين، و فيها مات أبي و جدّي عليّ بن أبي طالبعليه السلام، فعليّ كذا و كذا إن آذيتك بنفسي أبداً، و إن بقيت بعدك إن آذيت الذي يقوم مقامك. فرقّ له المنصور.[٣] و في رواية أُخرى: «لمّا أُدخل الصادقعليه السلام مع الحسن بن زيد على المنصور بعد مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن قال له المنصور : أنت الذي يعلم الغيب؟ قالعليه السلام: لا يعلم الغيب إلّا الله، ثمّ قال : أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج؟ قالعليه السلام: إليك يجبى الخراج، يا أمير المؤمنين. فقال له المنصور : أتدرون لم دعوتكم؟ قال عليه السلام : لا، قال المنصور : أردت أن أهدم رباعكم و أغوّر قليبكم و أعقر نخلكم و أُنزلكم بالشراة،لا يقربكم أحد من أهل الحجاز و أهل العراق فإنّهم لكم مفسدة، فقال الصادقعليه السلام

---

[١]- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ١٥٦.

[٢]- نفس المصدرين.

[٣]- **بحار الأنوار** ٤٧: ٢١١.

له: يا أمير المؤمنين، إنّ سليمان أُعطي فشكر، و إنّ أيّوب ابتلي فصبر، وإنّ يوسف ظلم فغفر، و أنت من ذلك النسل. فتبسّم المنصور و قال للصادق عليه السلام : أعد عليّ، فأعاد عليه ما قال. فقال له : مثلك فليكن زعيم القوم، و قد عفوت عنكم، و وهبت لكم جرم أهل البصرة».[١]

و شخص مثل المنصور في حزمه و شدّة شوكته على رعيّته لا يمكن إرضاؤه و إقناعه بسهولة، أو الإفلات من رصد عيونه الذين بثّهم في أرجاء الدولة العبّاسيّة، و لذا هو يعلم علم اليقين أنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يكن في ركاب ثورة محمّد ذين النفس الزكيّة، و الذي حاول هو مع أبيه أن يستثمر شخصية الإمام الصادق عليه السلام لدعم حركته و تقويتها فلم يفلح في ذلك. و مع هذا حصلت للإمام عليه السلام استفزازات و مضايقات من قبل السلطة استطاع الإمام عليه السلام أن يتجاوزها بصبره و حلمه و لجوئه إلى ربّ العالمين مستجيراً به منهم. فقد كانت سلطة المنصور تحصي الأنفاس، و تتّبع كل صغيرة وكبيرة، و كل شاردة و واردة، فقد تعجّب الإمام مالك بن أنس من سعي المنصور لجمع الأخبار و تسقّطها على العباد و علمه بتفصيلات و دقائق أُمور لايمكن لكل أحد أن يطّلع عليها، تقول هذه الرواية: «بأنّ مالك بن أنس قد جمعه ذات يوم مجلس مع المنصور فقال له المنصور : أليست إذا بكت ابنتك من الجوع تأمر بحجر الرحى فيتحرّك لكي لا يسمع الجيران بكاءها؟ فقال مالك : و الله ما علم أحد بهذا إلا الله ! فقال المنصور : أأعلم بهذا و لا أعلم أحوال رعيتي؟!»[٢] فهكذا كان المنصور يلاحق كلّ شخص في بيته و حياته الخاصّة و يجمع الأخبار عنه من هنا وهناك، فكيف يفوته أحوال شخص

---

[١]- **مقاتل الطالبيّن** ص ٢٧٣.

[٢]- ثامر العميدي، **واقع التقيّة عند المذاهب والفرق الإسلاميّة من غير الشيعة الإماميّة** ص ١٤٤.

كالإمام الصادقعليه‌السلام، ولكنّه أراد إرعاب و إزعاج الصادقعليه‌السلام و كبحه وتصغيره وتهوينه و وضعه في دوّامة من القلق و التوتّر و إيهامه بعقاب ينتظره كظلّه. ولكن الصادقعليه‌السلام ظلّ يمارس دوره مع قدره المرسوم له من سلطان زمانه. و كذا سائر الأئمّةعليهم‌السلام و أهل البيت لقوا ما لقوا من سلاطين زمانهم. و أسوأ و أبشع ما لقي أهل البيتعليهم‌السلام و بقيّة العلويّين وشيعتهم هو ظلم المتوكّل العبّاسيّ و جرأته على الحرم الحسيني حين أمر سنة ستّ و ثلاثين و مائتين بهدم قبر الحسين عليه‌السلام و هدم ما حوله من الدور، و منع الناس من زيارته، فتألّم المسلمون من ذلك، و كتب أهل بغداد شتمه على الحيطان و المساجد، و هجاه الشعراء، فممّا قيل من شعر في ذلك :

بالله إن كانت أُميّة قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمري قبره مهدوما

أسفوا على أن لايكونوا شاركوا ... في قتله فتتّبعوه رميما[١]

عصر الرضاعليه‌السلام

امتدّت حياة الرضاعليه‌السلام إلى مساحة نصف قرن من عصور الدولة العباسيّة الأولى. و ما بين النصف الثاني من القرن الثاني الهجري إلى إطلالة القرن الثالث الهجري اعتركت أيادي الزمن مع دولة فتيّة أمدها الدهر بالمال و الرجال فاخضرّت هذه الدولة بالأموال الساحرة و الفتن العارمة، و القوّة والجبروت، فتبصر عيون الرضا عليه‌السلام هذه الدولة بفتنتها وفتوّتها ، و زهوها بين الدول فتبتسم لها مدن الشرق و الغرب مفتونة طائعة وعاشقة لها باسطة أيديها بالعطاء الثر الذي أطغى هذه الدولة وأسكرها حتى جعلها تترنّح بنشوتها. ويمثّل العصر العبّاسيّ الأوّل ،الذي

١- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص ٣٤٧.

يمتدّ ما بين السنوات ١٣٢ إلى ٢٤٧ هـ، والذي يؤرّخ من خلافة أبي العبّاس السفّاح إلى مقتل المتوكّل العبّاسي، مرحلة النضج السياسي والاقتصادي للدولة التي حكمت باسم الدين. و يعتقد كثير من الباحثين أنّ هذا النضوج النسبي عزّزه حدود آمنة مستقرّة وجيش منظّم قوي، مكّن الدولة أن تتّجه من دولة عسكريّة إلى دولة مدنيّة انصرفت جهودها نحو الثقافة والعلوم و الفنون والآداب، و اتّجهت نحو الازدهار الاقتصادي نتيجة تعاظم و اردات الدولة ونموّها المتلاحق في القطّاع الزراعي و التجاري[١] وبداية نهوضها الصناعي، وتشكّل القطّاع الحرفي الصناعي إن صحّ التعبير أو جازلنا أن نعبّر عن فترة التقدّم الحضاري الذي حصل آنذاك.

و كان للصناعة نصيب كبير من عناية خلفاء العصر العبّاسي الأوّل الذين عنوا باستعمال موارد الثروة المعدنيّة، فاستخرجوا الفضّة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان. وكان بالقرب من بيروت مناجم للحديد ساعد وجودها على نموّ بعض الصناعات المعدنيّة. كما استخرجوا الخزف والمرمر من تبريز ، و الملح و الكبريت من شمال فارس، والغاز و النفط من بلاد الكرج. و اشتهرت البصرة بصناعة الصابون والزجاج ،كما اشتهرت مصر في ذلك الوقت بصناعة المنسوجات.

واشتهرت بلاد الشام بصناعة الزجاج و الخزف.. و كان ببغداد عدد كبير من دور الصناعة ، وقد قيل:إنه كان بها أربعمائة رحى مائيّة، و أربعة آلاف معمل لصنع الزجاج ، وثلاثون ألف معمل لصنع الخزف.. واشتهرت بغداد بالصياغة التي نبغ فيها الفرس ، وبلغت صناعتهم شأواً

---

[١]- ينظر موفّق سالم نوري، **العلاقات العبّاسيّة البيزنطيّة** ٢٥، ٣٠.

بعيداً في الدقّة والجمال..واشتهرت مصر من عهد الفراعنة بصناعة المعادن، ولاسيّما صياغة الذهب والفضّة ، وضربوا بسهم وافر في صناعة الأدوية والعقاقير.[١] وقد شهدت المدن الإسلاميّة نمواً كبيراً في العمران والتطوّر الحضاري والتجاري معا،فالكوفة بلغت أوجها في الأهميّة والنشاط و الإزدهار خلال العصر العبّاسيّ الأوّل، العصر الذي ازدهرت فيه حياة المدن العربيّة الإسلاميّة في المجالات الاقتصاديّة والتجاريّة. ومن هذا يذكر البلدانيّون موقع المدينة بالنسبة إلى طرق المواصلات التجاريّة السائدة آنذاك. فكانت المحطّة التجاريّة للتجّار الروس الخارجين من الأندلس بعد مرورهم بدمشق و منها يتوجّهون إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى بلاد فارس[٢] و صارت المدن الإسلاميّة مدن غنيّة تعجّ بالمال و الثروات الاقتصادية المتنوّعة فأمدّت الدولة بالأموال الطائلة التي أغنت الدولة العبّاسيّة و أترفتها ويتحدّث المؤرّخون بأنّه كانت خزائن العبّاسيّين تفيض بالأموال التي كانت تجبى من الضرائب، و قد بلغت في أيّام الرشيد ما يقارب من اثنين و أربعين مليون دينار،عدا الضريبة العينيّة التي كانت تؤخذ مما تنتجه الأرض من الحبوب حتى قيل: إنّ الرشيد كان يستلقي على ظهره و ينظر إلى السحابة المارّة ويقول: اذهبي حيث شئت يأتيني خراجك،[٣] فامتلأت جيوبهم وجيوب أتباعهم بهذ الأموال العظيمة فشملت الخاصّة وبعض العامّة حالة من الرخاء والانتعاش الاقتصادي، فظهر في زيّ و مظهر و لباس العصر و أثاثه و زينته، و حتى تجلّى و انعكس في فنونه و آدابه.

١- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الاجتماعي و الثقافي** ٢:٣٠٨.

٢- عبدالجبار ناجي، **دراسات في المدن العربيّة الإسلاميّة** ص ٢٠٠.

٣- الدكتور حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني والاجتماعي والثقافي** ٢:٣٠٢.

ويقول نوري: غير أنّ ذلك لايعني صفاء الجوّ وخلوّه من عوامل الاضطراب والقلق السياسي،إذ عانى الوسط السياسي الداخلي للدولة العبّاسيّة من الكثير من حركات المعارضة التي أطلق عليها المؤرّخون القدامى في أحيان كثيرة صفة الثورة. مع أنّها لاتمت إلى مفهوم الثورة بصلة. والأفضل أن يطلق على هذه الحركات صفات أُخرى مثل: هياج، فتن ،تمرّد، عصيان مسلّح، حركة معارضة، أو حتّى مغامرات تعبّر عن طموحات شخصيّة لاغير[١] لأنّ الثورة الوحيدة التي شهدها تاريخ الحقبة الأُمويّة و العبّاسيّة هي ثورة الحسين عليه السلام فهي الثورة الحقيقيّة الصادقة، وما عداها تندرج تحت عنوان : هياج، فتن، تمرّد.. و لا يعني إحجامنا عن إطلاق مصطلح الثورة على المواجهات التي قام بها مخالفو النظام العبّاسي أنّها كانت باطلاً كلّها ، و إنّما لم تنل شرف الثورة ودرجتها كما نالت ثورة الحسين عليه السلام، أو أنّ بعضها كانت أدنى ثوريّة من دلالات معنى الثورة ومعطياتها.والثورة في معنى مقارب لها تعني حدوث انقلاب سياسي اقتصادي اجتماعي، يرمي إلى إبدال نظام قديم من سلطة جديدة تحوّل علاقات الإنتاج و التراتب في مجتمع معيّن.. وتتميّز الثورة عن التمرّد بتنظيمها و بوعي الأهداف الوضعيّة المنشودة يتعدّى تدمير النظام القائم[٢] و مهما اتّخذت التسميات المعارضة للنظام العبّاسي في عنوانها، فإنّها حقّقت بعض الأهداف المعلنة و غير المعلنة، و أسهمت في ضعضعة وهلهلة النظام العباسي.

ولم تكن هذه الخطوط المعارضة وحدها التي أضعفت الدولة العبّاسيّة و أربكتها، و إنّما كانت هناك خطوط و شعب من داخل البيت العبّاسي

---

[١]- ينظر موفّق سالم نوري، **العلاقات العباسيّة البيزنطيّة** ص ٣٠.

[٢]- ينظر خليل أحمد خليل، **مفاتيح العلوم الإنسانيّة** ص ١٤٧، رقم ٤٩٧.

أدخلت الدولة الواسعة و المترامية الأطراف في فوضى و اضطراب. وأكبرفتنة شهدتها الدولة العبّاسيّة هي فتنة الأمين و المأمون في أواخر القرن الثاني الهجري، و قد شاع بين الناس حالة من الاستياء و التذمّر من البيت العبّاسي، و من خلال محاورة المأمون مع القاضي يحيي بن أكثم يكتشف القارىء تفسّخ أجهزة الدولة العبّاسيّة و طغيانها و استياء الناس من ذلك الوضع، حيث يروي ابن عماد الحنبلي: «أنّ المأمون قال ليحيى بن أكثم : من الذي يقول:

قاضٍ يرى الحدّ في الزنا و لا   يرى على من يلوط من بأس

قال يحيى بن أكثم : أما تعرف يا أمير المؤمنين من قاله؟ قال المأمون: لا، قال يحيى: يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول :

لا أحسب الجور ينقضي و على الأ   مّة و ال من آل عبّاس

فأطرق المأمون حياء وخجلا»[١] لأنّه أدرك عمق المصيبة و المأساة التي تبدأ من رأس الدولة الذي أوجد موظّفين وقضاة وقادة فاسدين يدير بهم أُمور الدولة.

و قد اضطربت الدولة العبّاسيّة اضطرابًا هائلاً حين دخلت سنة ثلاث و تسعين و مائة، ففيها مات الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بالرقّة.. و كان يقول : ما أحبّ أن يموت الرشيد، لأنّ أمري قريب من أمره. و كان موته قبل الرشيد بخمسة أشهر و هو ابن خمس وأربعين سنة. و أما الرشيد فمات و عمره سبع و أربعون سنة. و كانت حكومته تزيد على ثلاث و عشرين سنة. و في هذه السنة ابتدأ الاختلاف بين الأمين والمأمون ابني الرشيد، و كان سبب ذلك أنّ الرشيد لمّا سار نحو خراسان و أخذ البيعة للمأمون على جميع من في عسكره من القوّاد

---

[١]- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلي ٢: ٤١.

وغيرهم أقرّ له بجميع ما معه من الأموال وغيرها،عظم ذلك على الأمين.

ثمّ بلغه شدّة مرض الرشيد فأرسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتبا ، وجعلها في قوائم صناديق المطبخ، و كانت منقورة[١] وألبسها جلود البقر وقال:لاتظهرنّ أمير المؤمنين ولاغيره على ذلك حتّى يموت أمير المؤمنين ولو قتلت .فإذا مات فادفع إلى كلّ إنسان منهم ما معك،فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هارون قدومه فدعا به وسأله عن سبب قدومه، فقال بعثني الأمين لآتيه بخبرك.

قال الرشيد : فهل معك كتاب؟ قال : لا، فأمر بما معه ففتّش، فلم يصيبوا شيئاً فأمر به فضرب فلم يقرّ بشيءٍ فحبسه و قيّده ثمّ أمر الفضل ابن الربيع بتقريره، فإن أقرّ و إلّا ضرب عنقه، فقرّره فلم يقرّ بشيء، ثمّ غشي على الرشيد فصاح النساء فأمسك الفضل عن قتله، و حضر عند الرشيد فأفاق، و هو ضعيف، قد شغل عن بكر و غيره ثمّ مات. و كان بكر قد كتب إلى الفضل يسأله أن لا يعجل في أمره بشيء فإنّ عنده أشياء يحتاج إلى عملها، فأحضره الفضل و أعلمه بموت الرشيد و سأله عمّا عنده فخاف أن يكون الرشيد حيّاً، فلمّا تيقّن موته أخرج الكتب التي معه، و هي كتاب إلى أخيه المأمون يأمره بترك الجزع و أخذ البيعة على الناس لهما و لأخيهما المؤتمن. و لم يكن المأمون حاضراً و كان بمرو. و كتاب إلى أخيه صالح يأمره بتسيير العسكر و استصحاب ما فيه، و أن يتصرف هو و من معه برأي الفضل بن الربيع. و كتاب إلى الفضل بن الربيع يأمره بالحفظ و الاحتياط على ما معه من الحرم و الأموال و غير ذلك.و أقرّ كلّ من كان إليه عمل؛ كصاحب الشرطة و الحرس و الحجابة، فلمّا قرؤوا الكتب تشاوروا هم و القوّاد باللحاق بالأمين.فقال الفضل بن

---

[١]- منقورة: مكتوبة. و النقر: الكتابة. **لسان العرب** (نقر).

الربيع:لا أدع ملكاً حاضراً لآخر ما أدري ما يكون من أمره، و أمر الناس بالرحيل فرحلوا محبّة منهم لأهلهم و وطنهم، و تركوا العهود التي كانت أُخذت عليهم للمأمون.[1]

و هكذا اشتعلت أزمة كبيرة بين أفراد البيت العبّاسي الواحد هتكت و مزّقت الدولة العبّاسيّة شرّ تمزيق، و أنهرت دماء رعيّتها في حروب و فتن أرهقت الدولة و الأمّة مُعاً، فالتفت المأمون عندها إلى منقذ و طريق للخلاص من هذه المعضلة، فلم يجد غير الالتفات إلى ركن وثيق وشخص كريم قويّ يمنع البناء العباسي من أن يتهافت و يندثر في هذه الفتنة العبّاسيّة العمياء، فيمّم نظره نحو المدينة ليستغيث و يلوذ بالعمود العلويّ الذي كان هو و آباؤه ملاذاً للأمّة و خلاصاً لها، و كأنّ المأمون كان على ميعاد مع رجل الرحمة ليهطل على نار الفتنة العبّاسيّة التي ألهبها أبوه و أخوه،راجياً من قطرات الغيث العلوي الرضوي إطفاء هذه النيران فهل كان له ما أراد؟

الرضا عليه السلام من الولادة إلى الإمامة

شعّت أنوار الرضا عليه السلام في مدينة كانت مهاجر النبيّ صلى الله عليه وآله و موطن أنصاره و أصحابه،في عام ١٤٨ هـ ، و يقال:كانت ولادته لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة يوم الجمعة سنة ثلاث و خمسين و مائة، و قيل: يوم الخميس[2] و قيل: في سنة إحدى و خمسين و مائة.[3]

و كأنّ هذه الأنوار كانت حبيسة في صلب النبيّ صلى الله عليه وآله من زمان هجرته، ولكنّها لم تنطلق أو يؤذن لها في أن ترى حتّى هذه الأعوام،عندها

---

[1]- **الكامل في التاريخ** ٥: ٣٥٩.

[2]- **إعلام الورى** بأعلام الهدى ص ٣٠٢.

[3]- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلي ٢: ٦.

أضاءت المدينة و تبسّمت شعابها بعد أن غطّت جدرانها و نخيلها غبار الدولة العبّاسيّة التي وضعت أحجارها و ترابها على ركامات دولة الأمويّين التي تهدّمت بمعاول الثائرين، و كانت شجرة النبوّة غرست بذور أبنائها هناك لتورق لنا أوراق خضراء غضّة طريّة هي أوراق الإمامة، و كانت الورقة الثامنة التي تشرّفت أم سمراء بحملها هي الخيزران المرسيّة أو شقراء النوبيّة أو سكن النوبيّة، و كانت تسمّى أيضاً: أروى أو نجمة أو تكتم ، وكانت تحمل في سحنتها ملامح المغرب العربيّ الذي لوّحته الشمس بفحمة الغروب[١] و وصلت إلى بيت النبوّة بانتظار أن تحمل وديعة إلهيّة تشرّفت و تطهرّت بأنفاسهم الطاهرة.

حينها شهدت المدينة الزاهية المورقة بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله ولادة غصن طريّ من الشجرة المحمّدية النابتة في رمال المدينة العابقة بعطر الوحي و الرسالة، و المظلّلة بأجنحة الملائكة و سحب الغيث و الرحمة، فازدانت بهاءً و جلالاً بهذا الوليد المتدثّر بأنواره، متفتقاً من أكمام هذه الجارية المغربيّة التي كانت تنتظرها طيبة في الحجاز العربيّ المشرق لتكتحل عيون الجزيرة بأطياف الإمامة العلويّة الواعدة.

و ظهرت تباشير البرعم العلويّ الجديد المورق بالخير و العطاء الوارف لمّا اشترت حميدة المصفّاة ــ و هي أم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، و كانت من أشراف العجم ــ جارية مولّدة كانت من أفضل النساء في عقلها و دينها، وعرفت بإعظامها لمولاتها حميدة المصفّاة، حتّى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها،فقالت حينها لابنها موسى عليه السلام : يا بنيّ، إنّ تكتم جارية ما رأيت جارية قطّ أفضل منها، و لست أشكّ أنّ الله تعالى سيطهّر نسلها، إن كان لها نسل، و قد وهبتها لك

---

[١]- ينظر **بحار الأنوار** ٤٩: ٢و ٣.

فاستوص بها خيراً، فكانت تحمل الأنوار التـي تمتـدّ إلـى خيـر الخلـق محمّدﷺ.

و ذكرت حميدة: أنّها رأت في المنـام رسـول اللهﷺ يقـول لهـا : يـا حميدة هبي نجمة ــ و هو اسم آخر لها ــ لابنك موسى فإنّه سيولد لـه منها خير أهل الأرض، فلمّا ولدت الرضا عليه السلام سـمّاها الطـاهرة.[1] و حقّـاً هي كانت طاهرة فاتّصلت ببيت الطهر النبوي.

و كانت لها أسماء أُخرى منها: سكن، و سمّان، و تكتم آخـر أسـاميها. و كان الرضاعليه السلام يرتضع كثيـراً، و كـان تـامّ الخلـق، فقالـت : أعينـوني بمرضعة، فقيل لها : أنقص الدرّ؟ فقالت : والله ما نقص، ولكن علـيّ ورد من صلاتي و تسبيحي و قد نقص منذ ولدت.[2]

و كانت تقول لمّا حملت با بني عليّ: لم أشعر بثقل الحمـل، و كنـت أسمع في منامي تسبيحاً و تهليلاً و تمجيداً من بطني فيفزعني ذلـك و يهولني، فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً،فلما وضعته وقع على الأرض واضعاً يده على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء يحرّك شفتيه،كأنّه يتكلّم، فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام فقال لي : هنيئاً لك يا نجمة كرامـة ربّـك، فناولته إيّاه في خرقه بيضاء فأذّن في أذنه اليمنى و أقـام فـي اليسـرى، و دعا بماء الفرات فحنّكه به، ثمّ ردّه إليّ و قال : خذيه فإنّه بقيّة الله تعـالى في أرضه.[3]

و من ألقابه : سراج الله، نور الهدى، و قرّة عـينِ المـؤمنين، و مكيـدة الملحدين، كفو الملك، و كافي الخلق، و ربّ السرير، و رءّاب التـدبير، و

---

[1]- **إعلام الورى بأعلام الهدى**، للطبرسي ص ٣٠٢.

[2]- ينظر **بحارالأنوار** ٤٩: ٥و ٧.

[3]- **عيون أخبار الرضا** ١:٢٠.

الفاضل، و الصابر، و الوفيّ، و الصدّيق، و الرضيّ. و سمّي الرضا لأنّه كان رضىً لله تعالى في سمائه، و رضىً لرسوله و للأئمّة عليهم السلام بعده في أرضه. و قيل : لأنّه رضي به المخالف و المؤالف، و قيل: لأنّه رضي به المأمون.[١] و عن الجواد عليه السلام : لأنّه رضي به المخالفون كما رضي به الموافقون من أوليائه، و لم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سمّي الرضا،[٢] و كان نقش خاتمه : وليّ الله.[٣]

و كان موسى الكاظم عليه السلام يسمّي ولده عليّاً عليه السلام الرضا، و كان يقول : ادعوا لي ولدي الرضا، و قلت لولدي الرضا. و قال لي ولدي الرضا، وإذا خاطبه قال : يا أبا الحسن.[٤]

النصّ على الرضا عليه السلام

روى المفضّل بن عمر قال: «دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام و عليّ ابنه عليه السلام في حجره و هو يقبّله و يمصّ لسانه، و يضعه على عاتقه و يضمّه إليه و يقول : بأبي أنت و أُمّي ما أطيب ريحك و أطهر خلقك، و أبين فضلك ! قلت : جعلت فداك، لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودّة ما لم يقع لأحد إلا لك، فقال لي: يا مفضّل، هو منّي بمنزلتي من أبي عليه السلام ذرّية بعضها من بعض و الله سميع عليم. قال : قلت : هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟ قال : نعم، من أطاعه رشد و من عصاه كفر».[٥]

١- **بحار الأنوار** ٤٩: ١٠.

٢- **علل الشرائع** للصدوق ص ٢٣٧ باب ١٧٢.

٣- **بحار الأنوار** ٤٩: ٧.

٤- **عيون أخبار الرضا** ١: ١٤.

٥- نفس المصدر ١: ٣٢.

و روى داود الرقّي قال: «قلت لأبي إبراهيمعليه السلام: جعلت فداك، إنّه قد كبر سنّي فخذ بيدي و أنقذني من النار، مَن صاحبنا بعدك؟قال داود : فأشار إلى ابنه أبي الحسن عليّ الرضا عليه السلام فقال : هذا صاحبكم من بعدي».[1] و روى نعيم القابوسي عن أبي الحسن موسىعليه السلام قال: «ابني عليّ أكبر ولدي، و أبرّهم عندي، و أحبّهم إليّ، و هو ينظر معي في الجفر، و لم ينظر فيه إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ».

و روى محمّد بن إسحاق بن عمّار قال: «قلت لأبي الحسن الأوّلعليه السلام: ألا تدلّني على من آخذ ديني؟ فقالعليه السلام : هذا ابني عليّ، إنّ أبي أخذ بيدي و أدخلني إلى قبر رسول اللهصلى الله عليه وآله و قال : بنيّ، إنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[2]و إنّ الله تعالى إذا قال قولاً وفى به».

و روى زياد بن مروان القندي: قال: «دخلت على أبي إبراهيم عليه السلام و عنده ابنه أبو الحسن عليه السلام فقال : يا زياد، هذا ابني كتابه كتابي، و كلامه كلامي، و رسوله رسولي، و ما قال فالقول قوله».[3]

و روى محمّد بن سنان قال: «دخلت على أبي الحسن عليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنة و عليّ ابنهعليه السلام بين يديه، فقال لي : يا محمّد، قلت : لبّيك،قال:إنّه سيكون في هذه السنة حركة فلا تجزع منها،ثمّ أطرق و نكت بيده في الأرض و رفع رأسه إليّ و هو يقول:يضلّ الله الظالمين و يفعل ما يشاء،قلت:و ما ذاك جعلت فداك؟ قال:من ظلم ابني هذا حقّه و جحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم عليّ بن أبي طالبعليه السلام حقّه و

---

[1]- **إعلام الورى باعلام الهدى** للطبرسي ٣٠٤.

[2]- البقرة : ٣٠.

[3]- **إعلام الورى بأعلام الهدى** للطبرسي ص ٣٠٣.

جحد إمامته من بعد محمّد صلى الله عليه وآله. فعلمت أنّه قد نعى إليّ نفسه و دلّ على ابنه».[١]

و روى عليّ بن يقطين قال: «قال لي أبو الحسن عليه السلام :يا عليّ،هذا أفقه ولدي و قد نحلته كنيتي، و أشار بيده إلى عليّ ابنه».[٢]

و روى داود الرقّي قال: «قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: جعلت فداك، إنّي قد كبرت سنّي فخذ بيدي و انقذني من النار،من صاحبنا بعدك؟ فأشار إلى أبي الحسن عليه السلام فقال:هذا صاحبكم من بعدي».[٣]

و قد أجمع أصحاب أبيه موسى عليه السلام على أنّه نصّ عليه و أشار بالإمامة إليه إلا من شذّمنهم من الواقفة و المسمّين: الممطورة.[٤] فأنكروا إمامته و جحدوا حقّه. و السبب الظاهر في ذلك طمعهم فيما كان في أيديهم من الأموال المرسلة إليهم في مدّة حبس أبي الحسن موسى عليه السلام، و ما كان عندهم من ودائعه فحملهم ذلك على إنكار وفاته و ادّعاء حياته، و دفع خليفته بعده عن الإمامة، و إنكار النصّ عليه ليذهبوا بما في أيديهم ممّا وجب عليهم أن يسلّموه إليه.[٥]

١- **عيون أخبار الرضا** ١: ٣٢.

٢- **بحار الأنوار** ٤٩: ٢٣. و النصوص على إمامته عليه السلام كثيرة انتخبنا منها باقة ذكرناها و من أراد التوسّع فليراجع **بحار الأنوار** الجزء ٤٨و ٤٩.

٣- **بحار الأنوار** ٤٩: ٢٣. و النصوص على إمامته عليه السلام كثيرة انتخبنا منها باقة ذكرناها و من أراد التوسّع فليراجع **بحار الأنوار** الجزء ٤٨و ٤٩.

٤- الممطورة : هم الواقفيّة لقبّوا بذلك لأنّهم لكثرة ضررهم على الشيعة و افتتانهم بهم كانوا كالكلاب التي أصابها المطر و ابتلّت و مشت بين الناس،فلا محالة يتنجّس الناس بها، فكذلك هؤلاء في اختلاطهم بالإماميّة و افتتانهم بهم.و قد غلب عليها هذا اللقب و شاع في الناس و كان سبب ذلك أنّ عليّ بن إسماعيل الميثمي و يونس بن عبد الرحمن ناظرا بعضهم فقال له عليّ بن إسماعيل و قد وقع بينهم:ما أنتم من الشيعة و إنّما أنتم كلاب ممطورة. **المقالات و الفرق** للأشعري ص٩٢؛ **بحار الأنوار**٨٢: ٢٠٣.

٥- **إعلام الورى بأعلام الهدى** للطبرسي ص ٣٠٣.

قال الصدوق: «لم يكن موسى بن جعفرعليه السلام ممّن يجمع المال، ولكنّه حصل في وقت الرشيد، و كثر أعداؤه، و لم يقدر على تفريق ما كان يجتمع لديه إلا على القليل ممّن يثق بهم في كتمان السرّ، فاجتمعت هذه الأموال لأجل ذلك. و أراد أن لا يحقّق على نفسه قول من كان يسعى به إلى الرشيد و يقول: إنّه تحمل إليه الأموال، و يعتقد له الإمامة ، و يحمل على الخروج عليه، و لو لا ذلك لفرّق ما اجتمع من هذه الأموال على أنّها لم تكن أموال الفقراء، و إنّما كانت أموالاً يصله بها مواليه ليكون له إكراماً منهم له و برّاً منهم بهعليه السلام».[1] فاستبدّوا بهذه الأموال و أظهروا الوقف على موسى بن جعفرعليه السلام و أنكروا الحجّة الثامنة علي بن موسى الرضا المرتضىعليه السلام، ولكن الله سبحانه و تعالى أبطل مقالتهم و أظهر إمامتهعليه السلام بالأدلّة و البراهين و النصوص المتواترة عليه، فما كان من هذه الفرقة إلا الضياع و التلاشي و الاضمحلال في متاهات الزمن الذي يضيع فيه المبطلون.

---

[1]- **عيون أخبار الرضا** ١: ١١٤.

العمل مع السلاطين و الحكّام

كانت سيرة المعصومين عليهم السلام هي النأي عن حاكم الجور و البغي و الظلم، و الأئمّة عليهم السلام يستندون إلى قوله تعالى: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾.[1]

و إلى أحاديث جدّهم صلى الله عليه وآله، و أبيهم عليّ عليه السلام. و من ذلك قوله صلى الله عليه وآله: «يقول الله عزّ وجلّ : اشتدّ غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري».[2]

و قوله صلى الله عليه وآله: «إيّاكم و الظلم،فإنّ الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة».[3]

و قوله صلى الله عليه وآله : «أوحى الله تعالى إليّ : أن يا أخا المرسلين،يا أخا المنذرين أنذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي و لأحدٍ من عبادي عند أحدٍ منهم مظلمة، فإنّي ألعنه مادام قائماً يصلّي بين يديّ حتّى يردّ تلك المظلمة فأكون سمعه الذي يسمع به».[4] و في حديث المناهي عنه صلى الله عليه وآله

---

[1]- هود : ١١٣.

[2]- **أمالي** الطوسي ٢: ١٩.

[3]- **الخصال** للصدوق : ١٧٦ ح ٢٣٥.

[4]- **عدّة الداعي** لابن فهد الحلّي : ١٢٩.

قال: «من مدح سلطاناً جائراً و تخفّف و تخضّع له طمعاً فيه كان قرينه إلى النار.» و قال صلى الله عليه وآله : «من دلّ جائراً على جور كان قرين هامان في جهنّم.» و قال صلى الله عليه وآله: «من تولّى خصومة ظالم أو أعان عليها ثمّ نزل به ملك الموت قال له : أبشر بلعنة الله و نار جهنّم و بئس المصير». و قال صلى الله عليه وآله: «ألا و من علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر،جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من النار،طوله سبعون ذراعاً يسلّط عليه في نار جهنّم و بئس المصير».[1]

و كان علي عليه السلام يقول: «العامل بالظلم و المعين عليه و الراضي به شركاء ثلاثة».[2]

و من كلام لعلي عليه السلام: «و الله لئن أبيت على حسك السّعدان[3] مسّهداً، و أُجرّ في الأغلال مصفّدا أحبّ إليّ من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد و غاصباً لشيء من الحطام».[4]

و يروي عبد الغفّار بن القاسم من أصحاب الباقر عليه السلام أنّه قال : قلت للباقر عليه السلام: ما تقول في الدخول على السلطان؟

قال عليه السلام: لا أرى لك ذلك،قلت: إنّي ربّما سافرت إلى الشام فأدخل على إبراهيم بن الوليد، قال: «يا عبد الغفّار،إنّ دخولك على السلطان يدعو إلى ثلاثة أشياء: محبّة الدنيا، و نسيان الموت، و قلّة الرضا بما قسم الله».[5] ولكنّ المسلمين وجدوا من بعض العلماء و الفقهاء رخصاً ومعاذير

---

[1]- **أمالي** الصدوق ص ٣٤٥.

[2]- **الخصال** للصدوق ص ١٠٧ ح ٧٢.

[3]- السّعدان: نبت، و لهذا النبت شوك إذا وطئه الماشي عقر رجله شوكه، يقال له: حسكة السّعدان. **لسان العرب** (سعد).

[4]- **نهج البلاغة** ٣٤٦ رقم ٢٢٤.

[5]- **كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الأثني عشر للخزّاز** ص ٢٥١.

في مهادنة السلاطين و الوقوف على أبوابهم، فقد عمد بعض علماء السنّة إلى تبرير الخضوع للحاكم الجائر و الفاسق و إطاعته منعاً للشغب و الاقتتال على السلطة. كما عمدوا إلى إضفاء الشرعية على الممارسات الفعليّة للقيادة السياسيّة المتمثّلة في البيت الأُمويّ و العبّاسي.

فجوّز الماوردي ولاية الاستيلاء.ثمّ جوّز؟ جماعة من بعده إمامة الاستيلاء.كما غضّ كثير من فقهاء الجمهور الطرف عن عهد الخليفة لابنه و أخيه. و كتب الإمام الغزالي الرسالة المستنصريّة ليضفي الشرعيّة على حكم المستنصر بالله الخليفة العبّاسي و يصحّح ولايته؛ رغم فقدان المستنصر لشروط الخلافة التي وضعها متقدمو الغزالي من الفقهاء، متذرّعاً بالوظيفة التي يؤدّيها الخليفة من حفظ الأمن و تطبيق الشرع.[١] إلا أنّ السيرة العامّة للمعصومين عليهم السلام و علماء الشيعة بعدهم ترى بأنّ السكوت على الجور و الطغيان يدفع الحاكم على التمادي و الاستمرار بمحق الحقوق، و من ثمّ تكون الممارسات الظالمة شرعاً يُسنّ، و سنّة باطل تتّبع، فالاقتراب منهم يقود إلى مشاكل كثيرة لايمكن السيطرة عليها أو دفعها.

و على العموم التردّد على أبواب السلاطين يضعف إرادة العالم و الفقيه،بل مجرّد الدخول هو ضعضعة و إغراء للعالم على تقديم تنازلات لهم و من ثمّ المداهنة و الخضوع للحكّام. و ممّا يروى هنا: أنّ شريكاً دخل على المهدي العبّاسي فقال له : لا بدّ من ثلاث : إمّا أن تلي القضاء، أو تؤدّب ولدي و تحدّثهم ، و إمّا أن تأكل عندي أكلة، ففكّر شريك ساعة ثم قال : الأكلة أخفّ عليّ،فأمر المهديّ بعمل ألوان من المخّ المعقود بالسكّر و غير ذلك، فأكل، فقال الطبّاخ : لا يفلح بعدها، فقيل:

---

[١]- لؤي صافي، **العقيدة و السياسة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص ٦٨.

حدّثهم بعد ذلك، و علّمهم العلم، و ولي القضاء لهم.[١] و لمّا لقي سفيان الثوري شريكاً بعد ما استقضي فقال له : يا أبا عبد الله بعد الإسلام والفقه و الصلاح تلي القضاء! فقال له : لا بدّ للناس من قاض، فقال سفيان : ولا بدّ للناس من شرطي.[٢] و في هذا يروى: أنّه كتب شريك بأرزاقه إلى الجهبذ[٣] و ضايقه في النقص،فقال له الجهبذ : إنّك لم تبع بزّاً![٤] قال شريك: بلى و الله،لقد بعت أكبر من البزّ،لقد بعت ديني.[٥] و من هذا المنطلق كان الأئمّة المعصومون عليهم السلام، و من بعدهم علماء الشيعة ،يرون حرجاً كثيراً وذنباً كبيراً، لمن وضع يده بيد الحاكم الجائر الذي يهضم حقوق الناس، و يسحق العباد بأقدامه، و يأكل أخضرهم و يابسهم ظلماً و عدوانا. وحينما سأل شيخ من شيوخ النخع أبا جعفر الباقر عليه السلام قائلاً : إنّي لم أزل و الياً منذ زمن الحجّاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ فسكت الإمام الباقر عليه السلام، ثمّ أعاد عليه، فقال الإمام الباقر عليه السلام: لا، حتّى تؤدّي إلى كلّ ذي حقّ حقّه.[٦]

و روى عليّ بن أبي حمزة قال : كان لي صديق من كتّاب بني أُميّة فقال لي : استأذن لي على أبي عبد الله عليه السلام، فاستأذنت له،فلمّا دخل و سلّم و جلس قال : جعلت فداك ،إنّي كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً و أغمضت في مطالبه، فقال أبو عبد

١- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي بتحقيق محيي الدين عبدالحميد ص ٢٧٥.

٢- **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد ١٧: ٦٧.

٣- الجهبذ : العارف بالنقود و المتولّي تقسيمها. ينظر **المعجم الوسيط**(جهبذ).

٤- البزّ : السلاح،يدخل فيه الدرع و المغفر و السيف. **ترتيب جمهرة اللغة** ١: ١٣١(بزز).

٥- **مروج الذهب** ٣: ٣١٠.

٦- **الأصول من الكافي** ٢: ٣٣١ ح ٣.

الله عليه السلام: لو لا أنّ بني أُميّة وجدوا من يكتب لهم و يجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم و يشهد جماعتهم، لما سلبونا حقّنا، و لو تركهم الناس و ما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلا ما وقع في أيديهم، فقال الفتى: جعلت فداك، فهل لي من مخرج منه؟

قال: إن قلت لك تفعل؟ قال : أفعل،قال : اخرج من جميع ما كسبت في دواوينهم،فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، و من لم تعرف تصدّقت به، و أنا أضمن لك على الله الجنّة. فأطرق الفتى طويلاً فقال: قد فعلت جعلت فداك. قال ابن أبي حمزة : فرجع الفتى معنا إلى الكوفة،فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلا خرج منه،حتّى ثيابه التي كانت على بدنه.فقسمنا له قسمة و اشترينا له ثياباً و بعثنا له بنفقة، فما أتى عليه أشهر قلائل حتّى مرض فكنّا نعوده، فدخلت عليه يوماً و هو في السياق ففتح عينيه ثمّ قال : يا عليّ و فى ـ و الله ـ صاحبك. ثمّ مات فولينا أمره، فخرجت حتّى دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فلمّا نظر إلي قال: يا عليّ، وفينا ـ و الله ـ لصاحبك، فقلت: صدقت جعلت فداك، هكذا قال لي ـ و الله ـ عند موته.[1]

و روى زياد بن أبي سلمة قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي: يا زياد، إنّك لتعمل عمل السلطان؟ قال : قلت : أجل، قال عليه السلام لي: و لم؟ قلت: أنا رجل لي مروءة و لي عيال، و ليس وراء ظهري شيء، فقال لي: يا زياد، لئن أسقط من حالق فأتقطّع قطعة قطعة أحبّ إليّ من أن أتولّى لأحد منهم عملاً أو أطأبساط رجل منهم،إلا لماذا؟ قلت : لا أدري جعلت فداك، قال : إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فكّ أسره،أو قضاء دينه،يا زياد،إنّ أهون ما يصنع الله بمَن تولّى لهم عملاً أن

---

[1]- **المناقب** لابن شهرآشوب ٤: ٢٤٠؛ **بحار الأنوار** ٧٥: ٣٧٥.

يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق،يا زياد،فإن و لّيت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك.[١]

و روى صفوان الجمّال قال : دخلت على أبي الحسن الكاظم عليه السلام فقال لي: يا صفوان، كلّ شئ منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً، قلت: جعلت فداك أيّ شيء؟

قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل – يعني هارون – قلت : و الله، ما أكريته أشراً و لا بطراً و لا للصيد و لا للّهو، ولكن أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكّة - و لا أتولاه بنفسي ، ولكنّي أبعث معه غلماني، فقال لي: يا صفوان، أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم، جعلت فداك، فقال لي: أتحبّ بقاءهم حتّى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، و من كان منهم كان ورد النار.

قال صفوان : فذهبت و بعت جمالي عن آخرها،فبلغ ذلك إلى هارون الرشيد، فدعاني فقال لي : يا صفوان، بلغني أنّك بعت جمالك! قلت: نعم، فقال: ولِمَ ؟ فقلت: أنا شيخ كبير، و إنّ الغلمان لا يفون بالأعمال، فقال: هيهات هيهات، إنّي لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر، قلت: مالي و لموسى بن جعفر، فقال: دع هذا عنك، فوالله، لو لا حسن صحبتك لقتلتك.[٢]

---

[١]- **الفروع من الكافي** ٥: ١٠٩ ح ١؛ **بحار الأنوار** ٤٨: ١٧٢.

[٢]- **رجال الكشّي** ص ٤٤٠ ح ٨٢٨

المأمون و محنة الرضا عليه السلام بولاية العهد

لقي الرضا عليه السلام في عصره من الغموم و الهموم التي كانت تلاحقه وتحصره و تؤذي قلبه، فشحنته بالآلام و الأحزان التي ما انفكّت تلازمه في كلّ موقف و مشهد يواجهه مع دولة بني العباس، و أصعب موقف عرض له عليه السلام هو مطالبة المأمون له بأن يكون وليّ عهده و القائم بأمر الدولة في حياته و من بعده موته. و هنا حصلت بليّة له عليه السلام من جهتين:

الجهة الأولى: هي السلطة العبّاسيّة و أتباعها، و الجهة الثانية : هي جهّال أصحابه و شيعته إضافة إلى جهل الأُمّة و رجالها الذين لم يفهموا صعوبة الموقف الذي ابتلي به الرضا عليه السلام، و لم يكونوا يفهمون رؤية الرضا عليه السلام للأُمور و موازنته للأحداث التي كان يوازن بها الأُمور التي ابتلي بها فلم تكن تناسب سياسته عليه السلام إدراك أفراد الأُمّة و وعيهم السياسي للأحداث، و حتّى الأصحاب و الأتباع لم تكن لهم المعرفة والدراية الكافية لكي يتفهّموا هذا القرار الصعب الذي أجبر عليه الرضا عليه السلام في التعامل مع السلطة العبّاسيّة، فالرضا عليه السلام يضع نصب عينيه أحاديث و سيرة آبائه المعصومين عليهم السلام في التعامل مع الحكّام الظلمة،

فلم يكن يأذن لأصحابه و أتباعه أن يضعوا أيديهم بأيدي الطغاة والجبابرة حتى أنّ الحسن بن الحسن الأنباري قال : كتبت اليه - أي الرضا عليه السلام - أربع عشرة سنة أستأذنه في عمل السلطان، فلمّا كان في آخر كتاب كتبته إليه أذكر: أنّي أخاف على خبط عنقي، و أنّ السلطان يقول لي : إنّك رافضيّ و لسنا نشكّ في أنّك تركت العمل للسلطان للرفض. فكتب إلي أبو الحسن عليه السلام : قد فهمت كتابك و ما ذكرت من الخوف على نفسك، فإن كنت تعلم أنّك إذا ولّيت عملت في عملك بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ تصيّر أعوانك و كتّابك أهل ملّتك، فإذا صار إليك شيء واسيت به فقراء المؤمنين حتّى تكون واحداً منهم، كان ذا بذا و إلا فلا.[1] فالرضا عليه السلام كان يمارس كفاحاًسلبيّاً لردع الطغاة و إيقافهم عند حدودهم، و هذا الأسلوب يسمّى في العصر الحديث بالعصيان المدني الذي تمارسه الجماعة المعارضة في البلدان المتقدّمة. و العصيان المدني: هو الابتعاد عن الإدارة الحكوميّة و تركها لوحدها تواجه مصيرها. و كان أصحابه و أتباعه عليه السلام يتناقلون مواقفه و أحاديثه في هذا الأمر، إلا أنّ الرضا عليه السلام قد ابتلى بولاية مفروضة عليه حينما أجبره المأمون على أن يكون وليّ عهده و القائم بأمره و أمر الدولة في حياة المأمون و بعد وفاته. و قد أخبر الريّان عنه عليه السلام ذلك الأمر بقوله : قلت: يا بن رسول الله، إنّ الناس يقولون : إنّك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟ فقال عليه السلام : قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خيّرت بين قبول ذلك، و بين القتل، اخترت القبول على القتل.

ويحهم أما علموا أنّ يوسف عليه السلام كان نبيّاً رسولاً، فلمّا دفعته الضرورة إلى تولّي خزائن العزيز، قال له: **﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي**

---

[1]- **الفروع من الكافي** ٥:١١١، ح ٤.

حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١] و دفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه و إجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أنّي ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى، و هو المستعان.[٢] وقد قبل الرضا عليه السلام ولاية العهد للمأمون بعد أن تهدّده بالقتل و ألحّ عليه مرّة بعد أُخرى، في كلّها يأبى عليه حتى أشرف من تأبّيه على الهلاك. فقال عليه السلام: اللهمّ إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة، وقد أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لا أقبل ولاية عهده، و قد أُكرهت و اضطررت كما اضطرّ يوسف و دانيال عليهما السلام. إذ قبل كلّ واحد منهما الولاية من طاغية زمانه، اللهمّ لا عهد إلا عهدك، و لا ولاية إلا من قبلك، فوفّقني لإقامة دينك، و إحياء سنّة نبيّك، فإنّك أنت المولى و النصير و نعم المولى أنت و نعم النصير. ثمّ قبل بعد ذلك ولاية العهد من المأمون و هو باكٍ حزين على أن لا يولّي أحداً، و لا يعزل أحداً، و لا يغيّر رسماً و لا سنّة، و أن يكون في الأمر مشيراً من بعيد، فأخذ المأمون له البيعة على الناس الخاصّ منهم و العامّ.[٣] و يتحدّث الريّان بن الصلت عن هذه البيعة بالقول: «أكثر الناس في بيعة الرضا عليه السلام من القوّاد و العامّة، و من لايحبّ ذلك فقالوا: إنّ هذا من تدبير الفضل بن سهل ذي الرئاستين، فبلغ المأمون ذلك فبعث إليّ في جوف الليل فصرت إليه فقال: يا ريّان، بلغني أنّ الناس يقولون: إن بيعة الرضا عليه السلام كانت من تدبير الفضل بن سهل، فقلت : يا أمير المؤمنين، يقولون هذا، قال : ويحك يا ريّان، أيجسر أحد أن يجيء إلى خليفة قد استقامت له الرعيّة و القوّاد، و استوت له الخلافة فيقول له :

---

[١]- يوسف : ٥٥.

[٢]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٢٩؛ **بحار الأنوار** ٤٩: ١٣٠.

[٣]- **بحار الأنوار** ١٣١:٤٩؛ **عيون أخبار الرضا** ١: ١٩.

ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟ أيجوز هذا في العقل؟! قلت له : لا، والله، ياأمير المؤمنين ما يجسر على هذا أحد، قال : لا، والله، ما كان كما يقولون، ولكن سأُخبرك بسبب ذلك : أنّه لمّا كتب إليّ محمّد أخي يأمرني بالقدوم عليه فأبيت عليه، عقد لعليّ بن عيسى بن ماهان و أمره أن يقيّدني بقيد و يجعل الجامعة في عنقي فورد عليّ بذلك الخبر، وبعثت هرثمة بن أعين إلى سجستان و كرمان و ما والاهما فأفسد عليّ أمري، و انهزم هرثمة و خرج صاحب السرير و غلب على كور خراسان من ناحيته، فورد عليّ هذا كلّه في أُسبوع. فلمّا ورد عليّ ذلك لم يكن لي قوّة بذلك، و لا كان لي مال أتقوّى به، و رأيت من قوّادي و رجالي الفشل و الجبن فأردت أن ألحق بملك كابل، فقلت في نفسي : ملك كابل رجل كافر و يبذل محمّد له الأموال فيدفعني إلى يده، فلم أجد وجهاً أفضل من أن أتوب إلى الله عزّ وجلّ من ذنوبي، و أستعين به على هذه الأمور، و أستجير بالله عزّوجلّ فأمرت بهذا البيت - و أشار إلى بيت تكنس - و صببت عليّ الماء، و لبست ثوبين أبيضين و صلّيت أربع ركعات قرأت فيها من القرآن ما حضرني، و دعوت الله عزّوجلّ واستجرت به، و عاهدته عهداً و ثيقاً بنيّة صادقة : إن أفضى الله بهذا الأمر إليّ و كفاني عاديته، و هذه الأُمور الغليظة، أن أضع هذا الأمر في موضعه الذي وضعه الله عزّ وجلّ فيه. ثمّ قوي فيه قلبي فبعثت طاهراً إلى عليّ بن عيسى بن ماهان فكان من أمره ما كان، و رددت هرثمة إلى رافع بن أعين فظفر به و قتله، و بعثت إلى صاحب السرير فهادنته وبذلت له شيئاً حتّى رجع، فلم يزل أمري يقوى حتّى كان من أمر محمّد ما كان، و أفضى الله إليّ بهذا الأمر و استوى لي، فلمّا وافى الله عزّ وجلّ لي بما عاهدته عليه أحببت أن أفي لله تعالى ما عاهدته، فلم أر

أحداً أحقّ بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا عليه السلام، فوضعتها فيه فلم يقبلها إلّا على ما قد علمت، فهذا كان سببها».[١] و جاء في خبر أبي الصلت الهروي : «بأنّ المأمون قال للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، قد عرفت فضلك و علمك و زهدك و ورعك و عبادتك، و أراك أحقّ بالخلافة منّي، فقال الرضا عليه السلام: العبوديّة لله عزّ وجلّ، و أفتخر بالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله فقال المأمون : إنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة و أجعلها لك و أبايعك. فقال الرضا عليه السلام : إن كانت هذه الخلافة جعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسكه الله و تجعله لغيرك، و إن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك، فقال المأمون : لا بدّ من قبول هذا الأمر، فقال الرضا عليه السلام : لست أفعل طائعاً أبداً. فمازال يجهد به أيّاماً حتّى يئس من قبوله، فقال المأمون له : فإن لم تقبل الخلافة و لم تحبّ مبايعتي فكن لي وليّ عهدي لتكون لك الخلافة من بعدي، فقال الرضا عليه السلام: و الله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : أنّي أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسمّ مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء و ملائكة الأرض، و أُدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد، فبكى المأمون ثمّ قال له : يا بن رسول الله، و من الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك و أنا حيّ؟ فقال الرضا عليه السلام : أما إنّي لو أشاء أن أقول: من الذي يقتلني لقلت، فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك، و دفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس : إنّك زاهد في الدنيا.فقال الرضا عليه السلام: و الله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ، و ما زهدت في

---

[١]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٥١؛ **بحار الأنوار** ٤٩ : ١٣٧.

الدنيا للدنيا، و إنّي لأعلم ما تريد، فقال المأمون : و ما أريد؟ قال عليه السلام: الأمان على الصدق. قال المأمون : لك الأمان، قال : تريد بذلك أن يقول الناس : إنّ عليّ بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة، فغضب المأمون ثمّ قال : إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، و قد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد و إلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت و إلا ضربت عنقك. فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله عزّ وجلّ أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا، فافعل ما بدا لك، و أنا أقبل ذلك، على أنّي لا أُولّي أحداً و لا أعزل أحداً، و لا أنقض رسماً و لا سنّة، و أكون في الأمر من بعيد مشيراً. فرضي منه بذلك، و جعله ولي عهده كراهة منه عليه السلام لذلك».[1]

وهكذا كانت ولاية عهد الرضا عليه السلام بالتهديد و الإكراه، إلا أنّه عليه السلام كان يعرف أنّ أوزار السلطة العبّاسيّة ثقيلة، و أنّ الأساس الذي بنيت عليه، سواء في تقاليد الدولة العبّاسيّة أو رسوماتها السياسيّة، أم في اختيارها لرجالات الدولة، كان أساساً غير صحيح و لا يستند على ضوابط شرعيّة، لذا آثر الإمام الرضا عليه السلام أن يكون مشيراً لهم عن بعد، و على قدر الضرورة التي تتطلّبها مصالح المسلمين، لأنّه عليه السلام يعرف أنّ البناء السياسي و الأساسي لهم على مدى سنين الحكم و إدارة شؤون الدولة كان قائماً على باطل.

و كان الرضا عليه السلام يعلم بأنّ المأمون يخادع الأمّة و يناور من أجل كسب الوقت لتعزيز سلطته. و يرى بعض الباحثين بأنّ المأمون كان يهدف من هذه الولاية إلى :

١ـ نزع سلاح المعارضة من يد الإمام الرضا عليه السلام، و من يد العلويّين

---

[1]- **علل الشرائع** للصدوق ص ٢٣٧ باب ١٧٣.

باعتبار أنّ سيّدهم هو وليّ العهد، و أن يكون الإمام الرضا عليه السلام دائماً إلى جانبه تحت المراقبة. ٢ ـ إسقاط الصورة المثالية الموجودة لدى الناس عن أهل البيت عليهم السلام، و إقناع الناس أنّ أهل البيت إنّما يزهدون في الدنيا، لأنّهم لم يحصلوا عليها، أمّا إذا حصلوا عليها فإنّهم يقبضون عليها، و أيضاً إشعار الناس أنّ الأوضاع بقيت فاسدة، مع أنّ الإمام الرضا عليه السلام و هو كبير البيت العلوي في سدّة الحكم.

٣ ـ الاستقواء بالإمام الرضا عليه السلام داخلياً، ذلك أنّ المأمون كان يعيش في دائرة ضعف في بداية الأمر، و ذلك أنّه كان ابن أمة فارسيّة، و كان صغير السنّ، و قد قتل أخاه لتوّه فكان يحتاج إلى ظهر يستند إليه، و لم يكن هناك خير من الإمام الرضا عليه السلام.[١] كلّ هذه العوامل و غيرها من العوامل التي كانت تزدحم في ذهن المأمون جعلته يتشبّث و يعوّل على هذه الولاية الصوريّة التي كان يعتبرها ملاذه الأخير و خلاصه من الشدائد التي كانت تعصف بالدولة العبّاسيّة و به شخصيّاً.

و هذه الملابسات و الظروف التي اكتنفت أمر البيعة و الولاية حقّقت بعض الأثر الإيجابي للشيعة، لأنّ دوافع المأمون غير النزيهة لم تخف على الإمام الرضا عليه السلام، كما لم تخف عليه متطلّبات الظرف الذي كان يعيشه صلوات الله عليه، و قد أُكره على قبول ولاية العهد، ولكنّه فوّت الفرص الذهبية التي كان يطمع المأمون بتحقيقها من خلال إكراهه على قبول ولاية العهد، فاغتنم الإمام الرضا عليه السلام هذا الظرف الذهبي الذي جاءت به ولاية العهد على الوجه الأكمل، بهدف نشر معالم الإسلام الحقّ و تثبيت دعائم أطروحة أهل البيت عليهم السلام متحدّياً كلّ الخطوط

---

[١]- محمّد فوزي، **رجال حول أهل البيت** ٢: ١٧٢.

الفكرية و المذهبية المنحرفة آنذاك.[١]

و ذهب الشيخ محمد باقر المجلسي في تحليل قوله عليه السلام لمحمّد بن عرفة، حين سأله عن سبب قبوله عليه السلام ولاية العهد حين قال للرضا عليه السلام: ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال الرضا عليه السلام: ما حمل جدّي أمير ألمؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى - إلى القول -: لئلا ييأس الناس من خلافتنا، و يعلموا بإقرار المخالف أنّ لنا في هذا الأمر نصيباً.

و يحتمل أن يكون التشبيه في أصل الاشتمال على المصالح الخفيّة،[٢] منها: إظهار علم من أعلام الإمامة في الحياة السياسيّة و العامّة للمسلمين، لأنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا مبعدين عن الأمّة، و عاشوا في ظلّ الحياة السياسيّة منسيّين، و لم تتح الفرصة الكافية للأُمّة من الاحتكاك المباشر بهم و بالتالي تكتسب الأمة من فيض علومهم و هداهم، فكانت الأُمّة لا تعرف عن قادتها الحقيقيّين، و هنا تجربة جديدة أتاحت فيها الظروف في أن تنهل الأمّة من علم من أعلام النبوة، لأنّ أجهزة الدولة العبّاسيّة كانت مجبرة للإعلان عن شخصيّة وليّ العهد و التعريف بخصائصه، فلا يمكنها من تغييب معالم شخصيّة كبيرة و ذات خطر حسب اعتقادهم عن ذهن المسلمين، فلذلك وقفت جموع المسلمين و غيرهم على صورة الإمام المعصوم و معالم شخصيّته العظيمة بشكل علني و مباشر، و كما ظهرت في المجالس و الاحتجاجات[٣] و بعض المناظرات التي كانت تعقدها الحكومة العبّاسيّة، و التي كانت في ظاهرها التعريف بشخص الرضا عليه السلام، و في الحقيقة أنّ الهدف كان الإيقاع بالإمام

١- **أعلام الهداية**: الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت قم ص١٨.

٢- **بحار الأنوار** ٤٩: ١٤٠.

٣- ينظر تفاصيل هذه الاحتجاجات و المجالس في **بحار الأنوار**١٠: ٢٩٩ - ٣٥١.

و التهوين به، فظهرت مقدرة الرضا عليه السلام و علميّته الفائقة و سعة اطّلاعه، و بالنتيجة تعزّزت و برزت شخصية الرضا عليه السلام وارث النبوة و كإمام معصوم و حجّة فرضته الشريعة على العباد في الأرض.

و قد أتاح المأمون من حيث لا يشعر فرصة ذهبيّة لظهور علم الإمام عليه السلام و بروزه إلى الساحة الاجتماعيّة و تحدّيه لكلّ العلماء الذين جمعهم لتضعيف الإمام و تسقيطه من خلال المواجهة العلميّة التي جمع من أجلها علماء الفرق و الأديان.[١] و هذه المناظرات و اللقاءات التي عقدت هيّأت وضعًا و مناخًا مساعداً للثقافة و العقائد الشيعيّة، و التي لولاها ما كانت تظهر الثقافة و العقائد الإماميّة إلا في هذه اللقاءات والمناقشات التي كانت تحتدم بين الرضا عليه السلام و أصحاب الأديان والأفكار و الفلسفات المختلفة و المتباينة.

و كان من أثر هذا الوضع أن انتشرت علوم الأئمّة عليهم السلام و أخبارهم في جميع ممالك المسلمين، و تمكّن علماء أهل السنّة و الجماعة من رواية حديثهم عليهم السلام و فضائلهم من مصدر من مصادرهم و هو الإمام الرضا عليه السلام، و بذلك ساعد هذا الوضع و المناخ الجديد على دخول أحاديث و أخبار الشيعة في كتب أهل السنّة و الجماعة، و من ثمّ تحقّق إنجاز علمي وثقافي كبير، لأنّ فترة التسلّط الأموي و العبّاسي أبعدت الثقافة الشيعيّة وعلماءهم من المجتمع الإسلامي و لم تأذن لعامّة العلماء و المحدّثين من رواية حديثهم و أخبارهم قبل ذلك. و قد أكّد الأستاذ عليّ حسين رستم في بحث التقيّة عند أهل السنّة، تقيّة الحسن البصري في روايته عن عليّ عليه السلام، إذ روى حديث عليّ عليه السلام ولكنّه لم يسنده إليه بل رفعه

١- **أعلام الهداية**، الامام عليّ بن موسي الرضا عليه السلام المجمع العالمي لأهل البيت قم ، ص٢٣٦.

إلى النبي صلى الله عليه وآله تقيّة من ظلم الأمويّين.[١] وكان الحسن البصري إذا أراد أن يحدّث في زمن بني أُميّة عن عليّ عليه السلام قال : قال أبو زينب؛ تقيّة منهم.[٢]

ومن هذا قال محمّد بن الحسن بن أبي خالد شينولة لأبي جعفر الثاني محمد الجواد عليه و على آبائه التحية والسـلام: «إنّ مشـايخنا رووا عـن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام، و كانت التقيّة شديدة فكتمـوا كتـبهم فلـم ترو عنهم، فلمّا ماتوا صارت الكتب إلينا، فقـال الجـواد عليه السلام: حـدّثوا بهـا فإنّهـا حـقّ».[٣] فهنـا نلحـظ الخشـية والخـوف مـن انتشـار أخبـارهم و أحاديثهم عليهم السلام مدّة ليست بالقصيرة. وقد أشار الرضا عليه السلام إلى هذا الوضـع بقوله عليه السلام: «الحمد لله الذي حفظ منّـا مـا ضـيّع النـاس و رفـع منّـا مـا وضعوه، حتّى لقد لعنّا على منابر الكفر ثمانين عاماً، و كتمت فضائلنا، و بذلت الأموال في الكذب علينا، و الله تعالى يأبى لنا إلا أن يعلي ذكرنا، و يبيّن فضلنا، و الله ما هذا بنا، و إنّمـا هـو برسـول الله صلى الله عليه وآله و قرابتنـا منـه، حتّى صار أمرنا و ما نروي عنه أنّـه سـيكون بعـدنا مـن أعظـم آياتـه و دلالات نبوّته».[٤]

---

[١]- ثامر هاشم العميدي، **واقع التقيّة عند المذاهب و الفرق الإسلامية من غير الشيعة الإماميّة** ص١٤٣.

[٢]- **بحار الأنوار** ٤٢ :٤٦.

[٣]- نفس المصد ٢: ١٦٧.

[٤]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٦٤ ح ٢٦.

الوزارة في العصر العبّاسي

كان للوزارة في التاريخ السياسي للمسلمين حضور مهمّ و واضح في تشكيل الأحداث و رسمها، وكان الوزير يأتي في الأهميّة بعد الخليفة في إدارة شؤون الدولة. ولكن هذا المنصب لم يظهر حتّى قيام الدولة العبّاسيّة، على الرغم من معرفة العرب بمعنى هذا المصطلح و المنصب، حيث عهدوه في بعض الدول التي كانت تحكم المنطقة قبل الإسلام.[١] و يقول ابن خلدون : الوزارة هي أُمّ الخطط السلطانيّة و الرتب الملوكيّة، لأنّ اسمها يدلّ على مطلق الإعانة، فإنّ الوزارة مأخودة إمّا من المؤازرة، و هي المعاونة، أو من الوزر، و هي الثقل[٢] و من هنا فالوزير : معين الملك ومدبّر أمره و مديره[٣]. و يقول الطريحي : الذي يحمل ثقله و يعينه، و المؤازرة على العمل : المعاونة و منه سمّي الوزير وزيراً[٤]. و برز مع

١- **تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة** للتليسي و الذويب ص ٨٢

٢- **تاريخ ابن خلدون** ١: ٢٤٩.

٣- **تحفة الوزراء** للثعالبي بتحقيق حبيب الراوي و ابتسام الصفّار ص٥٧.

٤- **مجمع البحرين و مطلع النيرين** ٣:٥١٠ (وزر).

الدولة العبّاسيّة و اشتداد شوكتها أعلام أُسندت لهم هذه الوظيفة الخطيرة، لعبوا أدواراً كبيرة و مهمّة غيّرت تاريخ المسلمين و عطفته، و أبرز علم وزاري جدير بالبحث و الدراسة هو الفضل بن سهل ذوالرئاستين، الذي ولج إلى الأسرة و الدولة العبّاسيّة من باب الدين الإسلامي الحنيف، و إظهار الطاعة و الولاء للبيت العبّاسي.

و كان أوّل من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العبّاس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني، مولى لسبيع، و كان في نفس أبي العبّاس منه شيء، لأنّه كان قد حاول في ردّ الأمر عنهم إلى غيرهم، فكتب أبو مسلم إلى السفّاح يشير عليه بقتله و يقول له : قد أحلّ الله لك دمه، لأنّه قد نكث و غيّر و بدّل، فقال السفّاح: ماكنت لأفتح دولتي بقتل رجل من شيعتي، لا سيّما مثل أبي سلمة، و هو صاحب هذه الدعوة، و قد عرض نفسه، و بذل مهجته، و أنفق ماله، و ناصح إمامه، و جاهد عدوّه. و كلّمه أخوه أبو جعفر و عمّه داود بن عليّ في ذلك، و قد كان أبو مسلم كتب إليهما يسألهما أن يشيرا على السفّاح بقتله. فقال أبو العباس : ما كنت لأفسد كثير إحسانه، و عظيم بلائه و صالح أيّامه بزلّة كانت منه، و هي خطرة من خطرات الشيطان، و غفلة من غفلات الإنسان. فقالا له : فينبغي يا أمير المؤمنين أن تحترس منه، فإنّا لا نأمنه عليك، فقال : كلا إنّي لآمنه في ليلي و نهاري و سرّي و جهري و وحدتي و جماعتي. فلمّا اتّصل هذا القول من أبي العباس بأبي مسلم أكبره و أعظمه، و خاف من ناحية أبي سلمة أن يقصده بمكروه، فوجّه جماعة من ثقات أصحابه في إعمال الحيلة في قتل أبي سلمة حتّى قتله.[1]

وهكذا انتهت حياة أوّل وزير لآل العبّاس مكافأة و تقديراً للخدمات

---

[1]- **مروج الذهب** للمسعودي ٣: ٢٧٠.

الجليلة التي يقدّمها لصبيان و عتاة بني العبّاس، ثمّ ليأتي دور البرامكة، ثمّ دور الفضل بن سهل. فكانوا قرابين البيت العبّاسي الذين سمّاهم المؤرّخون: وزراء الدولة، و في الواقع كانوا عبيداً أرقّاء لا حول لهم و لا قوّة حتّى في دفع أذى بني العبّاس عنهم.

و يرى عدّة من الباحثين أنّ العبّاسيّين هم الذين ابتدعوا منصب الوزير الذي بدأ كمشاور للخليفة ثمّ أصبح وسيطاً بين الخليفة ـــ الذي عزل نفسه ـــ و بين الرعيّة. و لم تكن الوزارة محتكرة على جنس معيّن، بل كان اختيار الوزراء من الموالين المرتبطين بالخلافة العبّاسيّة برباط الولاء و الإخلاص[١]. فعرف الوزراء و رجال الدولة أنّ ترشيحهم لأيّ مقام ومنصب سيخضع إلى إعلان الإسلام الظاهري و خدمتهم لبني العبّاس، ولحرمهم و لأولادهم، و من هؤلاء الخدّام البرامكة.[٢]

و من شاكلتهم أبناء سهل : الفضل و الحسن، و هما معتمدا الدولة في زمن المأمون، و من المعروف لدى المؤرّخين أنّ أكثر وزراء الدولة العبّاسيّة لم يكونوا مسلمين، و كان دخولهم للإسلام بدافع الطمع والمصلحة الدنيويّة و السياسيّة.

وزارة الفضل و دورها في رسم الأحداث

لم يقف المؤرّخون عند وزارة قويّة أثّرت في رسم سياسة بني العبّاس و برمجة دولتهم و نظمها، غير وزارة البرامكة الذين كانوا يشاركون الخليفة قراراته، و كانوا يوجّهون الأمور وفقاً لرؤيتهم و مصالحهم التي

١- فاروق عمر، **الخلافة العبّاسية في عصر الفوضى العسكريّة** ص٤٦.

٢- البرامكة كانوا ينسبون إلى البرموك، و هو جدّهم الذي كان موكلاً بالنوبهار ببلخ، و هو معبد بناه منوشهر، و برمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي كان مجوسيّاً قدم إلى الرصافة مع ابنه خالد، و كان قد تعلّم العلم في جبال كشمير، و هو برمك الأصغر. ينظر **مروج الذهب** ٢: ٢٢٨؛ **سفينة البحار** ١: ١٨٨(برمك).

رتّبوها لهم، و أكثر ما كان يفكّر به البرامكة هو الرجال و الصنائع التي كانوا يحدثونها و يزرعونها في جسم الدولة العبّاسيّة لتكون إرادتهم فاعلة و مستمرّة. و قد ظهر هذا التفكير في صنع عائلة ذي الرئاستين، فالفضل و أبوه و أخوه كانوا من صنيعة البرامكة، و يجرون بإرادتهم إن صحّ التعبير، و يمكن أن تكون الحوادث الأخيرة للمائة الثانية من الهجرة دليلاً مساعداً للباحث على هذا الرأي، فيتحدّث ابن الأثير عن أحداث سنة ١٩٠ هـ قائلاً: و فيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون. و قيل: بل أسلم أبوه سهل على يد المهديّ و كان مجوسيّاً. و قيل: أسلم الفضل و أخوه الحسن على يد يحيى بن خالد، فاختاره يحيى لخدمة المأمون، فلهذا كان الفضل يرعى البرامكة و يثني عليهم، و لقّب بذى الرئاستين لأنّه تقلّد الوزارة و السيف، و كان يتشيّع، و هو الذي أشار على المأمون بالعهد لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام.[١]

و من هذا الأساس ظهر تيّار من المؤرّخين يذهبون إلى أنّ الفضل بن سهل هو المدبّر لأمر البيعة و لولاية العهد للرضا عليه السلام في الدولة العبّاسيّة فأورثها اضطراباً و شقاقاً كبيراً ترك أثراً واضحاً في تغيير و رسم مجرى الأحداث في مجملها.

يقول السيّد حسن الأمين : إنّ الفضل بن سهل هذا كان المشجّع الأوّل للمأمون على اتّخاذ القرار الخطير الذي اتّخذه بمبايعة الإمام الرضا بولاية العهد، لذلك فقد كان يرى نفسه مسؤولاً عمّا يمكن أن تؤدّي إليه هذه المبايعة من نتائج سلبيّة أو إيجابيّة. و من هنا كان عندما وصلته أنباء ثورة بغداد و خلع المأمون فيها و مبايعة إبراهيم بن المهدي، كان يوصل هذه الأنباء مخفّفة إلى المأمون ممّا يوهم أنّ الأمر ليس أمر ثورة و خلع

١- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٣٤٢.

و تولية، بل مجرد تمرّد لا خطر فيه، لا سيّما و أنّ المتولّي لإخماد تلك الثورة هو أخوه الحسن بن سهل، الذي كان مطمئنّاً إلى كفاءته و حسن تدبيره، فهو يريد له أن ينجح وحده في القضاء على الثوّار[1] و تشجيع الفضل للمأمون لهذا الأمر لم يكن بدافع الحرص و الإخلاص للدولة الإسلاميّة، و إنّما ينطوي على أهداف و نوايا خطيرة ظهرت بعض منها في سطور المؤرّخين، فلقد كان قرار تعيين الرضا عليه السلام وليّ عهد المأمون من وجهة نظر سياسيّة، هو نقل سلطة إلى أُسرة أُخرى، مع ما يتبعه من فقدان العبّاسيّين و شيعتهم لامتيازاتهم، فضلاً عن أنّ بقاء الخليفة في مرو و معه الفضل بن سهل الفارسي معناه نقل مقرّ الخلافة من بغداد و العراق إلى مرو و خراسان، و هو ما عارضه أهل بغداد، لذلك اختاروا عمّ الخليفة إبراهيم بن المهديّ ليكون خليفة و ذلك في محرّم عام ٢٠٢ هـ، و لقّب بالمبارك، و هرب الحسن بن سهل من بغداد إلى واسط و يصف ابن الأثير سبب هذه الأحداث بأنّه إنكار الناس لولاية الحسن بن سهل و البيعة لعلي بن موسى الرضا عليه السلام.[2]

و اتّهام أهل بغداد للفضل بأنّه صاحب النفوذ القويّ في الحكم، هو الذي أدّى إلى الإشاعة بين الناس بأنّ الفضل هو صاحب الفكرة و مهندسها، لأنّهم يعلمون أن صاحب النفوذ قد يسيطر على موازين الحكم. و قد تكون هذه فكرة الفضل يغرسها بين الناس ليعطي لنفسه حجماً أكبر فيكون له وزن عند العامّة، و يدّعي لنفسه بأنّه صاحب الفكرة و ليس المأمون باعتباره صاحب النفوذ القويّ على تصرّفات

١- **الرضا عليه السلام و المأمون و ولاية العهد و صفحات من التاريخ العبّاسي** ص١٥٥ دار الجديد بيروت ط الأولى ١٩٩٥ م.

٢- **الكامل في التاريخ** لابن الاثير ٥: ٤٤١، ٤٢٨، ٤٣٢.

المأمون، لذا تراه يقارن نفسه دائماً بأبي مسلم الخراساني و يتبجّح بأنّه سينقل الخلافة من بيت إلى بيت ليرمي لسامعيه بأنّه صاحب الفكرة، و المأمون يؤكّد لنا بأنّه هو صاحب الفكرة بعد أن سمع من القوّاد و العامّة بأنّ الفضل هو المدبّر[١] كما روى الريّان بن الصلت بأنّ المأمون أخبره بأنّه كان قد عاهد الله على ذلك.[٢] و أخبر الشيخ المفيد عن جماعة من أصحاب الأخبار و راوة السير بأنّ المأمون حدّث نفسه بذلك و أحضر الفضل بن سهل على ذلك و أمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل للبحث في هذا الأمر، فجعل الحسن يعظّم ذلك عليه و يعرّفه ما في إخراج هذا الأمر من أهله عليه، و يصف الشيخ المفيد بعد ذلك أو ينقل المحاورة: بأنّ المأمون قال له : إنّي عاهدت الله أنّني إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب. و ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض. فلمّا رأى الفضل و الحسن عزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فأرسلهما إلى الرضاعليه السلام فعرضا عليه ذلك.[٣]

و قد تكون مشاركة الفضل بن سهل برأيه في هذا الأمر لسيّده المأمون و عدم معارضته للفكرة أقرب للواقع، فالفضل بن سهل حديث عهد بالإسلام، و هو غير عارف بشخصيّة الرضاعليه السلام، و مضايقة السلطة العبّاسيّة للعلويّين كانت قائمة ممّا ظهر على سطح الأحداث، و خصوصاً في عهد الرشيد لا يقدح ذهن الفضل في هذا الأمر، و الفضل من صنائع آل برمك. و البرامكة كانوا يغرون الرشيد بقتل الأئمّة المعصومينعليهم السلام و الفتك بهم و ملاحقتهم تحت كلّ حجر و مدر. و من هذا روى الصدوق

---

[١]- حسن طاهر الياسري: **ولاية العهد للإمام الرضا**عليه السلام، دار المرتضى بيروت ص ١١٦.

[٢]- **بحار الأنوار** ٤٩: ١٣٧. و تقدّم الخبر في بحث سابق ص ١٥٨.

[٣]- **بحار الأنوار** ٤٩: ١٤٥؛ **الإرشاد للمفيد** ٢: ٢٥٢.

بإسناده عن موسى بن مهران قال: «سمعت جعفر بن يحيى يقول: سمعت عيسى بن جعفر يقول لهارون حيث توجّه من الرقّة إلى مكّة: اذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنّك حلفت: إن ادّعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً، و هذا ابنه عليّ يدّعي هذا الأمر! و يقال ما يقال في أبيه، فنظر إليه مغضباً فقال : و ما ترى؟ تريد أن أقتلهم كلّهم! قال موسى : فلمّا سمعت ذلك صرت إليه - أي الرضا عليه السلام - فأخبرته، فقال عليه السلام: مالي و لهم، و الله لا يقدرون على شيء».[١]

و روى صفوان بن يحيى قال: «أخبرنا الثقة أنّ يحيى بن خالد قال للطاغي : هذا عليّ ابنه قد قعد و ادّعى الأمر لنفسه، فقال : ما يكفينا ما صنعنا بأبيه ! تريد أن نقتلهم جميعاً! و لقد كانت البرامكة مبغضين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله و مظهرين العداوة لهم»[٢] و كان الرضا عليه السلام يعرف ويعلم بعداوة البرامكة لهم. و روي أنّه كان الرضا عليه السلام يدعو عليهم بعرفة، و قد سئل عليه السلام عن علّة دعائه، فقال عليه السلام: «إنّي كنت أدعو الله عزّ وجلّ على البرامكة بما فعلوا بأبي عليه السلام فاستجاب الله لي اليوم فيهم. فلمّا انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتّى بطش بجعفر و يحيى و تغيّرت أحوالهم.»[٣] يقول الصدوق رحمة الله عليه : كانت البرامكة مبغضين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله مظهرين العداوة لهم.

و بالجملة فالفضل بن سهل كان امتداداً لأحاسيس و هوى البرامكة، فهو غرس غرسه البرامكة في تربة الدولة العبّاسيّة، فمن أين يأتي الودّ و الحسّ العلويّ الصادق! مع ما كان منه من مضايقات و مؤامرات كان

١- بحار الانوار ٤٩: ١١٣؛ عيون أخبار الرضا ٢: ٢٢٦.

٢- بحار الأنوار ٤٩: ١١٣؛ عيون أخبار الرضا ٢: ٢٢٦.

٣- عيون أخبار الرضا ٢: ٢٢٥؛ بحار الأنوار ٤٩: ٨٥.

يحيكها للنيل من الرضا عليه السلام.

علل و أسباب عداء الفضل للرضا عليه السلام

كانت مقدّمات العداوة و الانزعاج الذي بدأ يحسّه الفضل بن سهل ظهرت من دخول الرضا عليه السلام على المأمون، و من ذلك ما رواه الصدوق بقوله: و أظهر ذو الرئاستين عداوة شديدة لأبي الحسن الرضا عليه السلام وحسده على ما كان المأمون يفضّله به.

فأوّل ما ظهر لذي الرئاستين من أبي الحسن عليه السلام أنّ ابنة عمّ المأمون كانت تحبّه و يحبّها، و كان ينفتح باب حجرتها إلى مجلس المأمون، وكانت تميل إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام و تحبّه و تذكر ذا الرئاستين وتقع فيه، فقال ذو الرئاستين حين بلغه ذكرها له : لا ينبغي أن يكون باب دار النساء مشرعاً إلى مجلسك، فأمر المأمون بسدّه. و كان المأمون يأتي الرضا عليه السلام يوماً و الرضا عليه السلام يأتي المأمون يوماً. و كان منزل أبي الحسن عليه السلام بجنب منزل المأمون، فلمّا دخل أبو الحسن عليه السلام إلى المأمون و نظر إلى الباب مسدوداً، قال : يا أمير المؤمنين : ما هذا الباب الذي سددته؟ فقال المأمون : رأى ذلك الفضل و كرهته. فقال عليه السلام: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، ما للفضل و الدخول بين أمير المؤمنين و حرمه ! قال المأمون : فما ترى؟ قال عليه السلام: فتحه و الدخول على ابنة عمّك، و لا تقبل قول الفضل فيما لا يحلّ و لا يسع، فأمر المأمون بهدمه و دخل على ابنة عمّه، فبلغ الفضل ذلك فغمّه.[1]

و تبدو كأنّ هذه الحادثة الصغيرة قد أو غرت صدر الفضل و حرّكت في قلبه أحاسيس غير إيجابيّة تجاه الرضا عليه السلام، لأنّ الفضل يريد أن

---

[1]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٥٣ح٢٢؛ **بحار الأنوار** ٤٩: ١٣٩.

يستبدّ حتّى بالأوضاع الشخصيّة و العائلية للمأمون، و هذه حركة من الفضل كانت غير مقبولة في نظر الرضا عليه السلام، و هنا توسيع لصلاحيّات الوزير الذي أُريد له أن يمارس دوراً و وظيفة أكبر و أهمّ من هذه المسائل و الوقائع، فالوزير له مسؤوليّاته و وظائفه الكبيرة التي ينبغي أن تنتهي عند حدود بيت الخليفة و حياته الخاصّة.

كما أنّ الفضل بن سهل أظهر عداوة شديدة للرضا عليه السلام و بدأ بمشاكسته و الحدّ من دوره في تقديم المشورة، أو التأثير على ما كان المأمون يفضّل به الرضا عليه السلام، أو إخراجه من الدائرة المحيطة بالمأمون على الأقلّ فلم يكترث المأمون له فحسده الفضل لذلك[1] و كما ظهر في كثير من مواقفه، و سعى الفضل أيضا لتحريك المأمون و دفعه لتصفية أصحاب الإمام الرضا عليه السلام الذين كانوا من قادة و رجال الدولة البارزين، و منهم: هرثمة بن أعين حيث قتله في الحبس سرّاً سنة ٢٠٠ هـ - على ما يروى- بعد أن أغرى المأمون به،[2] و كان الفضل يعدّ و يهيّئ عيناً على الرضا عليه السلام ليراقبه و يضيّق عليه فاتّصل الفضل بهشام بن إبراهيم، و كان هذا ينقل أخبار الرضا عليه السلام إلى ذي الرئاستين و المأمون فنال حظوة لديهما، و كان لا يخفي عليهما من أخباره عليه السلام فولّاه المأمون حجابة الرضا عليه السلام، و كان لا يصل إلى الرضا عليه السلام إلا من أُحبّ، و ضيّق على الرضا عليه السلام فكان من يقصده من مواليه لا يصل إليه، و كان لا يتكلّم الرضا عليه السلام في داره بشيء إلا أورده هشام على المأمون و ذي الرئاستين.

١- أشار الرضا عليه السلام على المأمون أن ينقل العاصمة إلى المدينة كما في **عيون الأخبار** ٢: ١٦٠، و سيأتي هذا الخبر لاحقاً.

٢- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ١: ٣٥٨، هكذا ورد الخبر، و هناك أخبار تفيد أنّ هرثمة عاش بعد شهادة الرضا عليه السلام كما جاء في خبر الصدوق الذي أورده في **عيون الأخبار** ٢:٢٥٤ باب ٦٤.

وبلغ موضعه لديهم أن جعل المأمون ابنه العبّاس في حجر هشام و قال له: أدّبه فسمّي هشام العبّاسي[١] و كان هشام بن إبراهيم هذا يزعج الرضا عليه السلام و ينال منه و يستخفّ به و قد وصفه الرضا عليه السلام بالزنديق.[٢] و قد اصطحب الفضل لتدبير مؤامرة قلب نظام الدولة.[٣]

و لم يكن الرضا عليه السلام آنذاك يفكّر يوماً أو يدعو إلى قلب نظام الدولة، أو إضعافها لأسباب كثيرة، الرغم من أنّه هو الأولى و الأجدر بإدارتها. و من هذه الأسباب أنّه عليه السلام ليس من طبعه الختل أو الخداع، كما و أنّه عليه السلام يعتبر نفسه مصلحاً و هادياً و مرشداً للدولة و الأمّة. و يصف المؤرّخ الذهبي إخلاص الإمام الرضا عليه السلام للدولة الإسلاميّة و غشّ و خداع الفضل بن سهل للدولة و الخليفة فيما كان يكتم من أخبار البلاد عن المأمون فقال : إنّ علي بن موسى الرضا عليه السلام حدّث المأمون بما فيه الناس من القتال و الفتن منذ قتل الأمين، و بما كان الفضل بن سهل يستره عنه من الأخبار، و أنّ أهل بيته و الناس قد نقموا عليه أشياء...

و أنّهم يقولون : إنّك مسحور أو مجنون، و قد بايعوا عمّك إبراهيم، فبيّن له أنّ الفضل قد كتمه و غشّه، فقال المأمون له : و من يعلم هذا، فقال الرضا عليه السلام : يحيى بن معاذ و عبد العزيز بن عمران و عدّة من أمرائه، فأحضرهم المأمون فسألهم فأبوا أن يخبروا إلا بأمان من الفضل، و أن لا يعرض لهم، فضمن المأمون ذلك، و كتب لكلّ واحد بخطّه كتابا ً فأخبروه بما فيه العامّة من البلاء... و أخبروه بأمر هرثمة، و إنّما هرثمة جاء لنصحه و لتدارك الأمر، و أنّ الفضل دسّ إلى هرثمة من قتله، و أنّ

---

[١]- ينظر **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٥٣ ح ٢٢؛ **بحار الأنوار** ٤٩: ١٣٩.

[٢]- ينظر **معجم رجال** السيّد الخوئي ١٩: ٣١٩ رقم ١٣٣٢٢؛ **بحار الأنوار** ٤٩: ٢٦٣.

[٣]- ينظر **بحار الأنوار** ٤٩: ١٦٣.

طاهراً لو كان ببغداد لضبط الملك. و لمّا علم الفضل بذلك ضرب بعضهم و حبس البعض.[١] فمن المؤكّد أنّ إطلاع الرضا عليه السلام على هذه الأوضاع و عرضها على المأمون كان يزعج الفضل و لا ينسجم مع خططه التي وضعها لتدبير أمر ما، أو على الأقلّ كان هذا الأمر فضحاً لتقصيره في إدارة و تدبير الأمور، أو ربّما لخيانته و عدم نهوضه بهذا كوزير، و الذي يعدّ معيناً و مؤازراً للحاكم العامّ للبلاد.

فمن هذا قد يكون، أو قد يعتبر البعض الفضل بن سهل خائناً و متآمراً على أمن الدولة و مستقبلها، فما كان من الإمام الرضا عليه السلام إلا أن يقوم بدوره الديني و السياسي، فهو إمام أراده الله أن يكون خليفة له في الأرض، كما و أنّ دوره السياسي كمستشار للدولة، أو على حدّ اعتقادهم كوليّ للعهد أو الحاكم المستقبلي لبلاد المسلمين، فهنا يحصل التصادم و التقابل بين شخص الرضا عليه السلام و الفضل بن سهل الذي أهمل وظيفته كوزير لدولة المسلمين و مؤتمن الحاكم و الرعيّة معاً. و بالتالي أدّى هذا إلى إزدياد و تضخّم الحسّ العدائي لدى الفضل ممّا دفعه للتفكير أو كان يفكّر في الانتقام أو صنع الدسائس للكيد بالإمام الرضا عليه السلام و إنهائه.

مؤامرة البيعة و ولاية العهد

اختلف نظر الباحثين و المؤرّخين في الجهة أو الشخص الذي يقف وراء البيعة و ولاية العهد للرضا عليه السلام، و هناك من يرى أنّ المأمون نفسه هو صاحب الرأي لمّا وجد نفسه محاصراً من أخيه الأمين، و رأى ميل العبّاسيّين و القادة و الأمراء لأخيه، فخطّط لهذا الأمر وحده و شاركه الفضل في ذلك،أو شجّعه أو قبل ذلك على مضض منه، و لم يمكنه من

١- للذهبي **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام** ٥: ١٠.

معارضته أو الوقوف بوجهه.و على العموم بما أن الفضل كان من المشكوكين بولائه للرضاعليه السلام ولم يكن صادقاً معه - وكما أشرنا - فقد برزت آراء متباينة في تفسير دوافع البيعة للرضا عليه السلام لدى المؤرّخين ومع كلّ الشكوك التي أثارها علماء الشيعة حول الفضل بن سهل و سوء نيّته مع الرضاعليه السلام فقد ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله بأنّ جماعة تعتقد بأنّ الفضل بن سهل أشار على المأمون بأن يجعل عليّ بن موسى الرضاعليه السلام وليّ عهده، و منهم: أبو عليّ الحسين بن أحمد السلاميّ فإنّه ذكر ذلك في كتابه الذي صنّفه في أخبار خراسان، فقال : كان الفضل بن سهل ذو الرئاستين وزير المأمون و مدبّر اُموره، و كان مجوسيّاً فأسلم على يدي يحيى بن خالد البرمكيّ و صحبه.و قيل: بل أسلم والد الفضل على يدي المهدي ، و أنّ الفضل اختاره يحيى بن خالد البرمكيّ لخدمة المأمون، و ضمّه إليه فتغلّب عليه و استبدّ بالأمر دونه.

و إنّما لقّب بذي الرئاستين لانّه تقلّد الوزارة و رئاسة الجند.[1] و قال الجهشياري : معنى ذلك رئاسة الحرب و رئاسة التدبير.[2]

و قال الفضل حين استخلف المأمون يوماً لبعض من كان يعاشره : أين يقع فعلي فيما أتيته من فعل أبي مسلم فيما أتاه.فقال : إنّ أبا مسلم حوّلها من قبيلة إلى قبيلة، و أنت حوّلتها من أخٍ إلى أخٍ، و بين الحالتين ما تعلمه.قال الفضل : فإنّي اُحوّلها من قبيلة إلى قبيلة ثمّ أشار على المأمون بأن يجعل عليّ ابن موسى الرضاعليه السلام وليّ عهده فبايعه و أسقط بيعة المؤتمن أخيه.[3]

---

[1]- عيون أخبار الرضا ٢:١٦٥.

[2]- الوزراء و الكتّاب : ٣٠٥.

[3]- بحار الأنوار ٤٩: ١٤٢؛ عيون أخبار الرضا ٢: ١٦٥.

و كان الرشيد قد أخذ البيعة على محمّد الأمين لعبد الله المأمون و القاسم المؤتمن على النسخة التي أخذها عليه بمكّة. و جعل أمر القاسم المؤتمن في خلعه و إقراره إلى عبد الله المأمون إذا أفضت إليه الخلافة.[١]

و كان الرشيد في سنة خمس و سبعين و مائة قد عقد لابنه محمّد بن زبيدة بولاية العهد، و لقّبه الأمين و أخذ له البيعة و عمره خمس سنين.

و كان الرشيد قد ولّى الأمين العراق و الشام و إلى آخر المغرب، و ضمّ إلى المأمون من همدان إلى آخر المشرق،ثمّ بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون و لقّبه المؤتمن و ضمّ إليه الجزيرة و الثغور والعواصم.[٢]

و هذا التوزيع الجغرافي و السياسي للسلطة بهذا الشكل المعقّد والمضطرب لا يمكن السيطرة عليه بسهولة، فدوافع السيطرة و التسلّط الناشئة في نفوس أولاد الأمراء و السلاطين لا يمكن تسكينها بالعهود والمواثيق التي يكتبها السلطان في حياته، و من هنا شبّت في نفس كلّ ولد من أولاده نار التسلّط و الانفراد بالسلطة و محق و سحق الطرف الآخر، و هنا برزت أو تحرّكت الأساليب الدبلوماسيّة لا حتواء الأزمة، فالمأمون كان ينتظر قوّة أو شخص يساعده أو يشير عليه بمرحلة جديدة غير تقليديّة في نزع السلطة من أخيه الأمين،أو على الأقلّ الاحتفاظ بالمناطق التي تحت سيطرته في ذلك الظرف العصيب، فكان الفضل بن سهل الذي أدخله من باب التقرّب إلى الله باعتقاد البعض، و كما روى الصدوق بإسناده عن محمّد بن يحيى الصولي حيث قال : حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : أشار الفضل بن سهل على المأمون أن

١- **تاريخ الطبري** ٨: ٢٨٦.

٢- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٢٨٨و ٣٢٥.

يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ و إلى رسولهﷺ بصلة رحمه بالبيعة لعليّ بن موسى الرضاعليه السلام ليمحو بذلك ما كان من أمر الرشيد فيهم، و ما كان يقدر على خلافه في شيء فوجّه من خراسان برجاء بن أبي الضحّاك وياسر الخادم ليشخصا إليه محمد بن جعفر بن محمّد - عمّ الرضا - وعلي بن موسى ابن جعفرعليه السلام وذلك في سنة مائتين.

فلمّا وصل عليّ بن موسىعليه السلام الى المأمون و هو بمرو ولاه العهد من بعده، و أمر للجند برزق سنة، و كتب إلى الآفاق بذلك و سمّاه الرضا و ضرب الدراهم باسمه و أمر الناس بلبس الخضرة و ترك السواد، و زوّجه ابنته أُم حبيبة، و زوّج ابنه محمّد بن عليّعليه السلام ابنته أُم الفضل و تزوّج هو ببوران بنت الحسن بن سهل زوّجه بها عمّها الفضل، و كلّ هذا في يوم واحد، و ما كان يحبّ أن يتمّ العهد للرضاعليه السلام بعده.

قال الصولي : و قد صحّ عندي ما حدّثني به عبيد الله من جهات : منها : أنّ عون بن محمّد حدّثني عن الفضل بن سهل النوبختي أو عن أخ له قال : لمّا عزم المأمون على العقد للرضاعليه السلام بالعهد قلت: و الله لأعتبرنّ ما في نفس المأمون من هذا الأمر أيحبّ تمامه، أو هو يتصنّع به؟ فكتب إليه على يد خادم له كان يكاتبني بأسراره على يده: قد عزم ذو الرئاستين على عقد العهد و الطالع السرطان و فيه المشتري و السرطان، و إن كان شرف المشتري فهو برج منقلب لا يتمّ أمرٌ يعقد فيه، ومع هذا فإنّ المرّيخ في الميزان الذي هو الرابع، و وتد الأرض في بيت العاقبة، و هذا يدلّ على نكبة المعقود له، و عرّفت أمير المؤمنين ذلك لئلا يعتب عليّ إذا وقف على هذا من غيري. فكتب إليّ : إذا قرأت جوابي إليك فاردده إليّ مع الخادم، و نفسك أن يقف أحدٌ على ما عرّفتنيه، أو أن يرجع ذو الرئاستين عن عزمه، لأنّه إن فعل ذلك ألحقت

الذنب بك، وعلمت أنّك سببه. قال : فضاقت عليّ الدنيا و تمنّيت أنّي ما كنت كتبت إليه ثمّ بلغني أنّ الفضل بن سهل ذا الرئاستين قد تنبّه على الأمر و رجع عن عزمه، و كان حسن العلم بالنجوم فخفت - و الله- على نفسي و ركبت إليه فقلت له : أتعلم في السماء نجماً أسعد من المشتري؟ قال : لا، فقلت : أفتعلم أنّ في الكواكب نجماً يكون في حال أسعد منها في شرفها؟ قال :لا، فقلت : فامض العزم على ذلك إذ كنت تعقده، و سعد الفلك في أسعد حالاته، فأمضى الأمر على ذلك، فما علمت أنّي من أهل الدنيا حتّى وقع العقد فزعاً من المأمون.[١]

و من هذا الخبر نجد عدم صدق المأمون في كلّ تصرّفاته مع الرضا عليه السلام، و إنمّا كان يتّخذ هذه الممارسات وسيلة لكسب الوقت، و أن يستفيد من وجود الإمام الرضا عليه السلام في بلاط الخلافة تضييعاً على الأمّة وعلى الثائرين فرصهم في الانتفاضة و الثورة ضدّ الدولة العبّاسيّة و ضدّ خلافة المأمون بالذات، فما يتحدّث الناس عن غدر الأخوين: الأمين والمأمون، و وقيعة كلّ منهما بالآخر يؤجج مشاعر السخط و النقمة في عموم البلاد العبّاسيّة، لأنّ الخليفة بصفته الشخص المؤتمن على مصالح العباد و البلاد و موضع ثقتهم،لا عهود لديه و لا مواثيق، و يفتك بأقرب الأرحام إليه، و حتّى من ساهم و عزّز في توطيد سلطانه و عرشه، وحتّى ذو الرئاستين لم يأمن على حياته، بل دبّر له حادث اغتيال في سرخس وألقاه جثّة هامدة لاحراك و لا حياة لها، لأنّه خشي سطوته و تمكّنه في البلاط العبّاسي و إدارة الدولة.

و كانت حادثة مقتل الفضل بن سهل ذي الرئاستين مشابهة لما وقع من الرشيد للبرامكة، فالخلفاء العبّاسيّون يغدرون و يقتلون من أعانهم

---

[١]- **عيون أخبار ألرضا** ٢: ١٤٧؛ **بحار الأنوار** ٤٩: ١٣٢.

وسدّد خطاهم، فهم يستحقون كلّ قيمة و مبدأ خلقيّ عند ريبتهم وخشيتهم ممّن أعانهم و أجلسهم في مجلس الحكم. و لذا كان الفضل بن سهل قلقاً و متوجّلاً في علاقته مع المأمون و العبّاسيّين، و كأنّه كان ينتظر قدره معه، و يتحدّث غسّان بن عبّاد واصفاً قلقه من مستقبله مع المأمون قائلاً: قلت للفضل يوماً : أيّها الأمير، لو أمرت أن يتّخذ لك ضياع و عقد، فقال : و لم ويحك ! إن دام ما أنا فيه فالدنيا كلّها ضيعتي وعقدي، وإن زال فيما أنا فيه لايزول إلا باصطلام. و قال أبو سمير: كنت أسمع الفضل بن سهل في أيّام المامون كثيراً ما يقول:

لئن نجوت أو نجت ركائبي   من غالب و من لفيف غالب
أنّي لنجّاء من الكرائب

و هو لا يدري من غالب؟ و لا يذهب إلا إلى قريش حتّى دخل عليه غالب الرومي صاحب ركاب المأمون فقتله.[1]

و يذكر اليعقوبي حادثة القتل بأنّها تزامنت مع خروج المأمون سنة ٢٠٢ من مرو متوجّهاً إلى العراق و معه الرضا عليه السلام و هو وليّ عهده، و ذو الرئاستين الفضل بن سهل وزيره.و قد كتب للفضل الكتاب الذي سمّاه كتاب الشرط و الحباء يصف فيه طاعته و نصيحته و عظته و عنايته، وذهابه بنفسه عن الدنيا، و ارتفاعه عمّا بذل من الأموال و القطائع والجوهر و العقد، و يشرط على نفسه كلّ ما يسأل و يطلب، لا يدفعه ولا يمنعه.

ووقّع فيه المأمون بخطّه و أشهد على نفسه،فلمّا صار المأمون بقومس قتل الفضل بن سهل و هو في الحمّام، دخل عليه غالب الرومي وسراج الخادم بالسيوف، فقتلهما المأمون ، و قتل قوماً معهما جميعاً، و قتل ذا

---

[1]- تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٥١.

العلمين عليّ بن أبي سعيد ، و كان ابن خالة الفضل بن سهل و قال : إنّه الذي دسّ في قتله، و وجّه برأسه إلى الحسن بن سهل إلى العراق.[١] و هذه كلّها دسائس من المأمون، وكان المأمون قد قتل هؤلاء جميعا ليضيع الخيط الرابط بين أطراف المؤامرة.

وينقل الشيخ المفيد هذه الأحداث بإسناده عن عليّ بن إبراهيم عن ياسر قال: «لمّا عزم المأمون على الخروج من خراسان إلى بغداد خرج معه الفضل بن سهل ذو الرئاستين، و خرجنا مع الرضا عليه السلام. فورد على الفضل بن سهل كتاب من أخيه الحسن بن سهل و نحن في بعض المنازل : إنّي نظرت في تحويل السنة فوجدت فيه أنّك تذوق في شهر كذا و كذا يوم الأربعاء حرّ الحديد و حرّ النار، و أرى أن تدخل أنت وأمير المؤمنين و الرضا الحمّام في هذا اليوم و تحتجم فيه و تصبّ على بدنك الدم ليزول عنك نحسه. فكتب ذو الرئاستين إلى المأمون بذلك مسألة أن يسأل أبا الحسن عليه السلام ذلك، فكتب المأمون إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله، فأجابه أبوالحسن عليه السلام: لست بداخل الحمّام غداً، فأعاد عليه الرقعة مرّتين،فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: لست بداخل الحمّام غداً فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الليلة فقال لي: يا عليّ لا تدخل الحمّام غداً. فلا أرى لك يا أمير المؤمنين و لا للفضل أن تدخلا الحمّام غداً، فكتب إليه المأمون : صدقت يا أبا الحسن، و صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، لست بداخل الحمّام غداً و الفضل أعلم،فقال ياسر : فلمّا أمسينا وغابت الشمس قال لنا الرضا عليه السلام : قولوا: نعوذ بالله من شرّ ما ينزل في هذه الليلة، فلم نزل نقول ذلك،فلمّا صلّى الرضا عليه السلام قال لي : اصعد السطح فاستمع هل تجد شيئاً ،فلمّا صعدت سمعت الصيحة، فإذا نحن و المأمون قد دخل من

---

[١]- **تاريخ** اليعقوبي ٢: ٤٥١.

الباب الذي من داره إلى دار أبي الحسنعليه السلام و هو يقول : يا سيّدي يا أبا الحسن، آجرك الله في الفضل، فإنّه دخل الحمّام و دخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه، و أخذ ممّن دخل عليه ثلاثة نفر أحدهم ابن خالة الفضل.

و اجتمع الجند و القوّاد و من كان من رجال الفضل على باب المأمون فقالوا: هو اغتاله، و شنّعوا عليه و طلبوا بدمه و جاؤوا بالنيران ليحرقوا الباب،فقال المأمون للرضاعليه السلام : يا سيّدي، ترى أن تخرج إليهم و ترفق بهم حتّى يتفرّقوا،قال الرضاعليه السلام : نعم، و ركب الرضاعليه السلام وقال لي : يا ياسر، اركب فركبت، فلمّا خرجنا من باب الدار نظر إلى الناس وقد ازدحموا عليه فقال لهم بيده تفرّقوا،قال ياسر: فأقبل الناس – و الله- يقع بعضهم على بعض، و ما أشار إلى أحدٍ إلا ركض و مضى لوجهه[١] فهنا أنجاه الرضاعليه السلام بكرم منه و رأفة، و كاد هذا الأمر أن يقضي عليه وعلى دولته و دولة بني العبّاس بأكملها، فلربّما كان هذا الهياج بداية الثورة العارمة ، لأنّ النقمة الشعبيّة آنذاك كانت متفاقمة عليهم وعلى دولتهم .

و يصف الشيخ محمّد الخضري هذه الحادثة بالقول : ارتحل المأمون من مرو حتّى سرخس و هناك شدّ قوم على الفضل بن سهل و هو في الحمّام فضربوه بسيوفهم حتّى مات، و ذلك في ٢ شعبان سنه ٢٠٢، فأخذ المأمون ضاربيه، و هم أربعة من خدم المأمون، فلمّا جيء بهم إليه قالوا : أنت أمرتنا بقتله ،فأمربهم فضربت أعناقهم ثمّ قال الخضري : و سوابق العلّة تؤكّد أنّ صدورها كان بتدبير المأمون، لأنّه أحسّ بثقل يد الفضل عليه و بما كان من غشّه له، و أنّه مادام معه لا يرى من أهل بغداد طاعة، فاحتال

١- **الإرشاد** الشيخ المفيد ص ٢٥٨.

بهؤلاء الخدم ثمّ قتلهم و بعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل و عزّاه وأخبره أنّه صيّره مكانه.[١] هكذا فعل و كأنّه جعل دية قتله وزارة أخيه له.

و يعتبر الفضل بن سهل ذوالرئاستين الذي كان وزير المأمون و مدبّر أُموره، الشخص الذي يقف وراء الكواليس في وضع و رسم سياسة المأمون و الدولة العبّاسيّة، و كان له و لأخيه الحسن الدور الكبير و الفاعل في هندسة الأحداث و صنعها و دفعها إلى ما وصلت إليه لدوافع و غايات كثيرة ينظر فيها لنفسه.

و ينسب له تدبير ولاية عهد الرضا عليه السلام حين قال : أين يقع فعلي فيما أتيته من فعل أبي مسلم فيما أتاه،فقيل له : إنّ أبا مسلم حوّلها من قبيلة إلى قبيلة، و أنت حوّلتها من أخ إلى أخ و بين الحالتين ما تعلمه.فقال الفضل : إنّي أُحوّلها من قبيلة إلى قبيلة ثمّ أشار على المأمون بأن يجعل عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وليّ عهده فأسقط بيعة المؤتمن أخيه.[٢] هكذا كان يرى البعض .و قيل :بلغ من شأنه أن غلب على المأمون حتّى ضايقه في جارية أراد شراءها[٣] و كان الفضل بن سهل ذا تأثير كبير على شخصيّة المأمون يتلاعب به كيف ما شاء ،إلا أنّه لم يفلت من غدر المأمون و كيده حتّى دبّر له حادثة قتل في حمّام بسرخس في شعبان سنة ثلاث و مائتين[٤] على ما يروى ليلحق بأسياده البرامكة فيتلاوم معهم خدمتهم لآل العبّاس.

و كان الفضل بن سهل ينتظر أجله و يعدّ أيّامه مع عداد الأيّام القصيرة

١- الدولة العبّاسيّة، محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميّة ص١٥٩.

٢- بحار الأنوار ٤٩: ١٤٢.

٣- مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤١٦.

٤- بحار الأنوار ٤٩: ١٤٣.

التي أمضاها في محراب بني العبّاس.و يذكر ابن عماد الحنبلي: أنّ الفضل ابن سهل كان محتدًا في علم النجوم كثير الإصابة، و وجد في تركته إخبار عن نفسه أنّه يعيش ثماني و أربعين سنة ثمّ يقتل بين الماء و النار،فعاش هذه المدّة ثمّ دسّ عليه خال المأمون غالب فدخل عليه في جماعة فقتلوه سنة ٢٠٢ هـ، و قيل ٢٠٣ هـ.[1]

---

[1]- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلي ٢: ٤.

إخلاص الرضا عليه السلام و مؤامرات رجال السلطة

شهدت بدايات القرن الثالث الهجري تفاقم الأزمات و تدهور الأحوال بكلّ مظاهرها، حتّى عمّت الفوضى و انبسطت أيادي الأشرار و العابثين بأمن الدولة و الناس، ولكن القائمين بالأمور لم يتمكّنوا من السيطرة و التحكّم بالأوضاع، بل كانوا عاجزين حتّى عن إيصال الصورة الحقيقيّة آنذاك للخليفة، لوجود فاصلة كبيرة بين المأمون و قادته و رجال دولته المضطربة و الغارقة في المحن و الويلات، فلقد استبدّ الفضل بن سهل بالأمور دون المأمون، و حتّى الرضا عليه السلام الذي كان في حينه وليّ عهد الخليفة المأمون لم يكن يصله شيء من أخبار الأمّة و البلد عن طريق الفضل بن سهل بصفته وزير الدولة الإسلاميّة و المتولّي تدبير أُمورها؟ ولكن الرضا عليه السلام تمكّن من الاطّلاع و الإحاطة بأوضاع الدولة بكلّ تفاصيلها، و يقول الأمين : بأنّ الرضا عليه السلام كان متنبّها لكلّ ما يجري، و كانت له وسائله التي تجعله يراقب مراقبة تامّة كلّ ما يحدث في أرجاء المملكة. فكان على علم بحقيقة الثورة في العراق و علم بالأحداث الأخرى فأخذ بالحزم و تصرّف تصرّف رجل الدولة المسؤول و قصد إلى المأمون و أطلعه على الحقائق، و أنّ حرباً حقيقيّة تجري بين قوّات إبراهيم بن المهدي المبايع بالخلافة، و بين القوات الشرعيّة. و أنّ هناك

نقمة عامّة في العبّاسيّين و في جمهور من الشعب على ما أقدم عليه من بيعته له بولاية العهد. و أنّ الفضل بن سهل لا يوصل إليه الأخبار على حقيقتها، بل يوصلها ملطّفة مخفّفة معتمداً على أنّ أخاه الحسن بن سهل يستطيع القضاء على كلّ تمرّد مبيّناً للمأمون أنّه ليس مكانهما هو و المأمون هنا في مرو، و لا يمكن أن تكون عاصمة بديلاً عن بغداد، فلا بدّ من الانتقال إلى بغداد.[1] فكانت هذه الأخبار و الأفكار و الرؤى التي طرحها الرضا عليه السلام سبباً لنشوب العداوة التي أوغرت قلب الفضل، وحرّكت و أوقدت في طويته دافع الانتقام، أو التخلّص منه عليه السلام أو إبعاده أو إيقاف مشاريعه عليه السلام و أفكاره - على الأقلّ، أو تجميدها أو إبعادها، و صرفها عن ذهن المأمون.

و كان الرضا عليه السلام يسعى في توجيه سياسة المأمون نحو طاعة الله و تأهيله لأن يمارس دور الخليفة البارّ بالرعيّة و الحريص على مصالحهم، إلا أنّ الفضل بن سهل كان يوجّه المأمون لخدمة مآربه و مصالحه، كما يروي ياسر الخادم بأنّ المأمون دخل على الرضا عليه السلام و معه كتاب طويل فقرأ ذلك الكتاب عليه، فإذا هو فتح لبعض قرى كابل فيه : إنّا فتحنا قرية كذا و كذا، فلمّا فرغ قال الرضا عليه السلام : و سرّك فتح قرية من قرى الشرك؟ فقال له المأمون : أو ليس في ذلك سرور؟ فقال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين، اتّق الله في أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله و ما ولاك من هذا الأمر و خصّك به، فإنّك قد ضيّعت أُمور المسلمين و فوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله عزّ وجلّ، و قعدت في هذه البلاد و تركت بيت الهجرة ومهبط الوحي. و إنّ المهاجرين و الأنصار يظلمون دونك، و لا يرقبون

---

[1]- حسن الأمين: **الرضا و المأمون و ولاية العهد و صفحات من التاريخ العبّاسي**، دار الجديد بيروت ص ١٥٤.

في مؤمن إلاً و لا ذمّة، و يأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه و يعجز عن نفقته، فلا يجد من يشكو إليه حاله و لا يصل إليك. فاتق الله، يا أمير المؤمنين في أُمور المسلمين و ارجع إلى بيت النبوّة و معدن المهاجرين و الأنصار. أما علمت يا أمير المؤمنين أنّ والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط من أراده أخذه. فقال المأمون : يا سيّدي فما ترى؟ قال: أرى أن تخرج من هذه البلاد و تتحوّل إلى موضع آبائك و أجدادك، وتنظر في أُمور المسلمين و لا تكلهم إلى غيرك، فإنّ الله عزّ وجلّ سائلك عمّا ولاك. فقام المأمون فقال : نعم ما قلت يا سيّدي هذا هو الرأي، وخرج و أمر أن تقدّم النوائب.[١]

و بلغ ذلك ذاالرئاستين فغمّه غمًّا شديداً، و قد كان غلب على الأمر، و لم يكن للمأمون عنده رأي، فلم يجسر أن يكاشفه ثمّ قوى بالرضا عليه السلام، فجاء ذوالرئاستين إلى المأمون فقال : يا أمير المؤمنين، ما هذا الرأي الذي أمرت به؟ فقال المأمون : أمرني سيّدي أبو الحسن بذلك، و هو الصواب. فقال : يا أمير المؤمنين، ما هذا بصواب، قتلت بالأمس أخاك، وأزلت الخلافة عنه، و بنو أبيك معادون لك، و جميع أهل العراق و أهل بيتك و العرب. ثمّ أحدثت هذا الحدث الثاني: أنّك جعلت ولاية العهد لأبي الحسن و أخرجتها من بني أبيك، و العامّة و العلماء و الفقهاء و آل العبّاس لا يرضون بذلك و قلوبهم متنافرة عنك، والرأي أن تقيم بخراسان حتّى تسكن قلوب الناس على هذا و يتناسوا ما كان من أمر محمّد أخيك، و ههنا يا أمير المؤمنين مشايخ قد خدموا الرشيد و عرفوا الأمر

١- النوائب : العساكر المعدّة للنوائب أو أسباب السفر المعدّة لها، أو العساكر الذين ينتابون في الخدمة، أو الطبول المسمّاة في عرف العجم: بالنوبة السلطانية. **بحار الأنوار** ٤٩: ١٧٠، و في نسخة: النجائب بدل النوائب.

فاستشرهم في ذلك، فإن أشاروا به فامضه. فقال المأمون : مثل من؟ قال ذوالرئاستين: مثل عليّ بن أبي عمران، و ابن مؤنس، و الجلّودي، وهؤلاء هم الذين نقموا بيعة أبي الحسن عليه السلام و لم يرضوا به، فحبسهم المأمون بهذا السبب. فقال المأمون : نعم، فلمّا كان من الغد جاء أبو الحسن عليه السلام فدخل على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين، ما صنعت؟ فحكى له ما قال ذوالرئاستين و دعا المأمون بهؤلاء النفر فأخرجهم من الحبس، فأوّل من دخل عليه عليّ بن أبي عمران فنظر إلى الرضاعليه السلام بجنب المأمون فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تخرج هذا الأمر الذي جعله الله لكم و خصّكم به، و تجعله في أيدي أعدائكم و من كان آباؤك يقتلونهم و يشرّدونهم في البلاد، فقال المأمون له: يا بن الزانية و أنت بعد على هذا! قدّمه يا حرسي و اضرب عنقه، فضربت عنقه. و أُدخل ابن مؤنس فلمّا نظر إلى الرضا عليه السلام بجنب المأمون، قال : يا أمير المؤمنين، هذا الذي بجنبك و الله صنم يعبد من دون الله، فقال له المأمون : يا بن الزانية وأنت بعد على هذا ! يا حرسي قدّمه و اضرب عنقه، فضرب عنقه. ثمّ أدخل الجلّودي. و كان الجلّودي في خلافة الرشيد، لمّا خرج محمّد بن جعفر بن محمّد بالمدينة، بعثه الرشيد و أمره إن ظفر به أن يضرب عنقه، و أن يغير على دور آل أبي طالب، و أن يسلب نساءهم و لا يدع على واحدة منهنّ إلا ثوباً واحداً. ففعل الجلّودي ذلك.

و قد كان مضى أبو الحسن عليه السلام فصار الجلّودي إلى باب أبي الحسن الرضاعليه السلام فهجم على داره مع خيله، فلمّا نظر إليه الرضاعليه السلام جعل النساء كلّهن في بيت، و وقف على باب البيت، فقال الجلّودي لأبي الحسنعليه السلام: لا بدّ من أن أدخل البيت فأسلبهنّ كما أمرني أمير المؤمنين، فقال الرضا عليه السلام :أنا أسلبهنّ لك و أحلف أنّي لا أدع عليهن شيئاً إلا

أخذته، فلم يزل يطلب إليه و يحلف له حتّى سكن، فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام فلم يدع عليهنّ شيئاً حتّى أقراطهنّ و خلاخيلهنّ و إزارهنّ إلّا أخذه منهنّ و جميع ما كان في الدار من قليل و كثير.

فلمّا كان في هذا اليوم و أُدخل الجلّودي على المأمون قال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين، هب لي هذا الشيخ، فقال المأمون : يا سيّدي، هذا الذي فعل ببنات رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل من سلبهنّ، فنظر الجلّودي إلى الرضا و هو يكلّم المأمون و يسأله أن يعفو عنه و يهبه له، فظنّ أنّه يعين عليه لما كان الجلّودي فعله، فقال : يا أمير المؤمنين، أسألك بالله و بخدمتي للرشيد أن لا تقبل قول هذا فيّ، فقال المأمون: يا أبا الحسن، قد استعفى و نحن نبرّ قسمه. ثمّ قال : لا و الله، لا أقبل فيك قوله، ألحقوه بصاحبيه، فقدّم و ضرب عنقه.

و رجع ذوالرئاستين إلى أبيه سهل، و قد كان المأمون أمر أن تقدّم النوائب فردّها ذوالرئاستين، فلمّا قتل المأمون هؤلاء علم ذوالرئاستين أنّه قد عزم على الخروج. فقال الرضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين، ما صنعت بتقديم النوائب؟ قال المأمون : يا سيّدي، مرهم أنت بذلك. فخرج أبو الحسن عليه السلام و صاح بالناس : قدّموا النوائب، قال الراوي : فكأنّما وقعت فيهم النيران و أقبلت النوائب تتقدّم و تخرج، وقعد ذوالرئاستين منزله فبعث إليه المأمون فأتاه، فقال له : مالك قعدت في بيتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ ذنبي عظيم عند أهل بيتك و عند العامّة، و الناس يلومونني بقتل أخيك المخلوع و بيعة الرضا عليه السلام، و لا آمن السعاة و الحسّاد و أهل البغي أن يسعوا بي، فدعني أخلفك بخراسان، فقال له المأمون : لا نستغني عنك، فأمّا ما قلت : إنّه يسعى بك و يبغي لك الغوائل، فليس أنت عندنا إلا الثقة المأمون الناصح المشفق، فاكتب لنفسك ما تثق به من

الضمان و الأمان، و أكّد لنفسك ما تكون به مطمئنّاً. فذهب و كتب لنفسه كتاباً و جمع عليه العلماء و أتى به المأمون، فقرأه و أعطاه المأمون كلّما أحبّ، و كتب له بخطّه كتاب الحبوة : إنّي قد حبوتك بكذا و كذا من الأموال و الضياع و السلطان. و بسط له من الدنيا أمله، فقال ذوالرئاستين: يا أمير المؤمنين، يجب أن يكون خطّ أبي الحسن عليه السلام في هذا الأمان يعطينا ما أعطيت فإنّه وليّ عهدك. فقال المأمون : قد علمت أنّ أبا الحسن عليه السلام قد شرط علينا أن لا يعمل من ذلك شيئاً و لا يحدث حدثاً، فلا نسأله ما يكرهه، فاسأله أنت فإنّه لا يأبى عليك في هذا. فجاء واستأذن على أبي الحسن عليه السلام ، قال ياسر : فقال لنا الرضا عليه السلام : قوموا فتنحّوا فتنحّينا، فدخل فوقف بين يديه ساعة، فرفع أبو الحسن عليه السلام رأسه إليه فقال له : ما حاجتك يا فضل؟ قال : يا سيّدي، هذا ما كتبه أمير المؤمنين لي و أنت وليّ عهد المسلمين، فقال له الرضا عليه السلام : اقرأه، وكان كتاباً في أكبر جلد، فلم يزل قائماً حتّى قرأه، فلمّا فرغ قال له أبو الحسن عليه السلام : يا فضل، لك علينا هذا ما اتّقيت الله عزّ وجلّ.[1] و كأنّه شخص مظنون متّهم كما يفهم من قوله عليه السلام.

و عبارة الرضا عليه السلام تفسّر لنا أنّ الفضل بنظر الرضا عليه السلام غير ملتزم بما يعاهد و يقول، و أنّ ديانته كانت ضعيفة، فهنا قوله عليه السلام له دلالات تحمل الباحث على إعادة النظر في كثير من أخبار البيعة، لأنّ الفضل هو شخص مريب و يحمل في جوانحه كيداً و تآمراً لا يدرى ما الذي كان يرومه في هذه المؤامرات التي كان يحوكها. و من ذلك ما روى الصدوق بأنّ الفضل بن سهل قصد الرضا عليه السلام مع هشام بن إبراهيم العبّاسي فقال الفضل: يا بن رسول الله جئتك في سرّ فاخل لي المجلس، فأخرج الفضل يميناً

---

[1]- بحار الأنوار ٤٩: ١٦٥، عيون أخبار الرضا ٢: ١٥٩.

مكتوبة بالعتق و الطلاق، و ما لا كفّارة له، و قالا له : إنّا جئناك لنقول كلمة حقّ و صدق، و قد علمنا أنّ الإمرة إمرتكم، و الحقّ حقّكم يا بن رسول الله، و الذي نقول بألسنتنا عليه ضمائرنا، و إلا نعتق ما نملك، والنساء طوالق، و عليّ ثلاثون حجّة راجلاً أنا، على أن نقتل المأمون، ونخلّص لك الأمر، حتّى يرجع الحقّ إليك. فلم يسمع منهما و شتمهما ولعنهما و قال لهما : كفرتما النعمة، فلا تكون لكما سلامة ولي إن رضيت بما قلتما. فلمّا سمع الفضل ذلك منه مع هشام علما أنّهما أخطأا فقصدا المأمون بعد أن قالا للرضا عليه السلام : أردنا بما فعلنا أن نجرّبك، فقال لهما الرضا عليه السلام : كذبتما فإنّ قلوبكما على ما أخبرتماني إلا أنّكما لم تجداني نحو ما أردتما.

فلمّا دخلا على المأمون قالا : يا أمير المؤمنين، إنّا قصدنا الرضا عليه السلام و جرّبناه و أردنا أن تقف على ما يضمره لك فقلنا و قال، فقال المأمون: وفّقتما، فلمّا خرجا من عند المأمون قصده الرضا عليه السلام و أخليا المجلس وأعلمه ما قالا، و أمره أن يحفظ نفسه منهما، فلمّا سمع المأمون ذلك من الرضا عليه السلام علم أنّ الرضا عليه السلام هو الصادق.[1]

و يقف الباحث هنا على شخص لا يكترث بالعهود و المواثيق والأيمان التي قدّمها للرضا عليه السلام، و من قبل قدّمها للمأمون، و إلا كيف يكون وزيره إن لم يقدّم له أيماناً مغلّظة و عهوداً و مواثيق ! ولكن هذا لا يعني شيئاً للمأمون و وزيره، فكلاهما يبغي الكيد و الغدر لصاحبه،الخليفة و وزيره. ولكن الفضل له طموح أكبر و أكثر من منصبه الذي عيّن فيه، لذا لا يمكن وضع حدود و مساحة لطموحاته، فما يرومه الفضل و يظهر لنا من نثار كلماته هنا و هناك يدفعنا إلى التشكيك بهذا

---

[1]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٦٧؛ **بحار الأنوار** ٤٩: ١٦٣.

الشخص و عدم الاطمئنان له، و لدينا وثيقة تاريخيّة مهمّة تعود إلى العلامة أبي جعفر محمّد بن حبيب البغدادي المتوفّى ٢٤٥ هـ و هو قريب من هذه الأحداث، فيقول في كتابه عند ذكر الإمام الرضا عليه السلام: كان المأمون قد بايع له بالعهد بعده - أي الرضا عليه السلام - و ضرب الدراهم باسمه و أنّه سقط عند المأمون بكلام في الفضل بن سهل فأخبر به المأمون الفضل للموثق الذي كان الفضل أخذه على المأمون. و ذكر روح بن السكن عن عبيد الله بن الحسن العلوي ثمّ العباسي : أنّ الفضل قال يوماً و عنده ناس : ما تقولون في بقرة جعلت لها قرنين من ذهب، و كنت أوّل من نطحته بهما؟ فلم يمضِ بعد ذلك إلا قليل حتّى اعتلّ فمات[1] و كأنّه هنا يخطّط لتدبير مؤامرة ذات اتّجاهين:

الاتّجاه الأوّل: يذهب إلى الرضا عليه السلام. و الثاني: نحو المأمون سيّده ووليّ نعمته، لأنّ ولاية العهد عقد بينهما. و المحصّل من هذا و غيره بأنّ الفضل لم يكن ذانوايا حسنة تجاه الرضا عليه السلام مدّة معايشته له، و يظهر ذلك أيضاً من رواية أُخرى طلب فيها المأمون من الرضا عليه السلام أن يصلّى العيد، و حين طلب المأمون من الرضا عليه السلام أن يخطب في العيد قام الرضا عليه السلام فاغتسل و تعمّم بعمامة بيضاء من قطن و ألقى طرفاً منها على صدره و طرفاً بين كتفيه و تشمّر ثمّ قال لجميع مواليه : افعلوا مثل ما فعلت، ثمّ أخذ بيده عكّازة و خرج و نحن بين يديه، و هو حافٍ قد شمّر سراويله إلى نصف الساق و عليه ثياب مشمّرة. و يصف الراوي هنا الجوّ الروحي و الملائكي الذي كان عليه الرضا عليه السلام في ذلك الحال

---

[1]- و هو **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهليّة و الإسلام** بتحقيق سيّد كسروي حسن منشورات محمّد علي بيضون بيروت ص ١٩٣.

فيقول واصفاً المشهد الرائع الذي شهده : فلمّا قام و مشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء و كبّر أربع تكبيرات فخيّل إلينا أنّ الهواء و الحيطان تجاوبه، و القوّاد و الناس على الباب قد تزيّنوا و لبسوا السلاح، و تهيّأوا بأحسن هيئة، فلمّا طلعنا بهذه الصورة حفاة قد تشمّرنا و طلع الرضا عليه السلام وقف وقفة على الباب و قال : الله أكبر الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، و الحمد لله على ما أبلانا. و رفع بذلك صوته و رفعنا أصواتنا. فتزعزعت مرو من البكاء و الصياح، فقالها ثلاث مرّات، فسقط القوّاد عن دوابّهم و رموا بخفافهم لمّا نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام ، و صارت مرو ضجّة واحدة لم يتمالك الناس من البكاء والضجّة. فكان الرضا عليه السلام يمشي و يقف في كلّ عشر خطوات وقفة يكبّر الله أربع مرّات فيتخيّل إلينا أنّ السماء و الأرض و الحيطان تجاوبه، و بلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذوالرئاستين : يا أمير المؤمنين، إن بلغ الرضا عليه السلام المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن نسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفّه فلبسه و رجع.[١] و هذه الرواية جاءت في سياق آخر تقول. بأنّ بعض الحاشية أسرع إلى المأمون و قال له : تدارك الناس و اخرج و صلّ بهم، و إلا خرجت الخلافة منك الآن.[٢] فالمحصّل من هذا الخبر أنّ الفضل لم يكن مع الرضا عليه السلام في كلّ الأحوال، و من الطبيعي أن تكون حاشية المأمون تحت نظر الوزير الفضل. و من المؤكّد أن المراد ببعض الحاشية في الخبر : هم أتباع الفضل و عيونه و هم واقعون تحت أمرة الفضل و توجيهه. و بالنتيجة هو الفضل نفسه يقف وراء كلّ شيء،

---

[١]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٥٠؛ **بحار الأنوار** ٤٩: ١٣٥.

[٢]- **بحار الأنوار** ٤٩: ١٧١.

و كأنّ الرضا عليه السلام كان على موعد مع عفريتين يتناوبان الكيد له.

و كان الفضل يخطّط للمأمون و للدولة بالنحو الذي يريده هو و يجري وفق إرادته، و بالتالي إحكام السيطرة على الأوضاع و ترتيبها، فقد ذكر ذوالرئاستين نفسه أنّه قال: قلت للمأمون لمّا أراد الرشيد الشخوص لخراسان لحرب رافع: لست تدري ما يحدث بالرشيد و هوخارج إلى خراسان، و هي ولايتك و محمد المقدّم عليك، و إنّ أحسن ما يصنع بك أن يخلعك و هو ابن زبيدة و أخواله بنو هاشم، و زبيدة وأموالها، فاطلب إليه أن يشخصك معه. فسأله المأمون الإذن فأبى عليه، قال المأمون فقلت له: أنت عليل، و إنّما أردت أن أخدمك، و لست أكلّفك شيئا، فأذن له و سار.[1]

و على العموم كانت أجواء الأسرة العبّاسيّة مغطّاة بسحب داكنة من التآمر و الكيد بين الأب و أولاده، و كما يظهر من خبر محمّد بن الصبّاح الطبري الذي قال: إنّ أباه شيّع الرشيد حين خرج إلى خراسان فمضى معه إلى النهروان فجعل يحادثه في الطريق إلى أن قال له: يا صبّاح، لا أحسبك تراني أبداً! قال: فقلت: بل يردّك الله سالما، قد فتح الله عليك، وأراك في عدوّك أملك. قال: يا صبّاح، و لا أحسبك تدري ما أجد! قلت: لا و الله. قال: فتعال حتّى أريك، قال: فانحرف عن الطريق قدر مائة ذراع فاستظلّ بشجرة و أومأ إلى خدمه الخاصّة فتنحّوا ثمّ قال: أمانة الله يا صبّاح أن تكتم عليّ، فقلت: يا سيّدي عبدك الذليل تخاطبه مخاطبة الولد! قال: فكشف عن بطنه، فإذا عصابة حرير حوالي بطنه، فقال: هذه علّة أكتمها الناس كلّهم، و لكلّ واحد من ولدي عليّ رقيب، فمسرور رقيب المأمون، و جبرئيل بن بختيشوع رقيب الأمين، و سمّى الثالث

---

[1]- **تاريخ الطبري** ٨: ٣٣٨.

فذهب عليّ اسمه. و ما منهم أحد إلا و هو يحصي أنفاسي، و يعدّ أيّامي، و يستطيل عمري، فإن أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو بدابّة فيجيئوني ببرذون أعجف قطوف[1] ليزيد في علّتي فقلت : يا سيّدي، ما عندي في الكلام جواب، و لا في ولاة العهود، غير أنّي أقول : جعل الله من يشنئوك[2] من الجنّ و الإنس و القريب و البعيد فداك، و قدّمهم إلى تلك قبلك، و لا أرانا فيك مكروهاً أبداً، و عمّر بك الإسلام، و دعم ببقائك أركانه، و شدّ بك أرجاءه، و ردّك الله مظفّراً مفلحاً. قال الراوي: ثمّ دعا ببرذون فجاؤوا به كما وصف.[3]

و يستطيع الباحث أن يلمس هنا الجوّ السياسي و العائلي للعبّاسيّين أنّ الأولاد يريدون قتل أباهم القاتل غيره بالأمس و ينتظرون الساعة الأخيرة ليرسلوه إلى تراب قبره، و كأنّهم يزفّونه إلى مكان استجمامه، أو يسرعون به نحو عرش سلطانه. هكذا كانوا عفاريت بلا عواطف و أحاسيس، و زادهم الفضل كيداً بمؤامراته و شيطنته ليعزفوا معا ترنيمة الغدر و القتل في لوحة حمراء صبغوها بدماء الآخرين،فقطرت دماؤهم و امتزجت فيها لتزيد هذه اللوحة قتامة وفدامة. و ما يدرينا لعلّ وفاة الرشيد كانت من تدبير أولاده، و لم يصل المؤرّخين ذلك.

و تحدّث المؤرّخون عن حادث مروّع جرى في سنة سبع و أربعين ومائتين، و هذا الحادث هو: مقتل خليفة عبّاسي في قصره على يد ولده. و ليس هذا الأمر ببعيد على أولاد بني العبّاس، فقد قُتل المتوكّل العبّاسي على يد ولده المنتصر، و يتحدّث ابن كثير الدمشقي عن هذا القتل البشع

١- دابّة قطوف : متقارب الخطو، و العجف الهزال : **ترتيب جمهرة اللغة** ٢: ٥٠٤(عجف)و ٣: ٤٨(قطف).

٢- الشنء : البغض.**ترتيب جمهرة اللغة** ٢: ٣١٤ (شنأ).

٣- **تاريخ الطبري** ٨ : ٣٣٨.

بالقول: «و كان سبب ذلك أنّه أمر المتوكّل ابنه عبدالله المعتزّ ، الذي هو وليّ العهد من بعده، أن يخطب بالناس في يوم جمعة، فأدّاها أداء عظيماً بليغاً، فبلغ ذلك من المنتصر كلّ مبلغ و حنق على أبيه و أخيه، فأحضره أبوه و أهانه و أمر بضربه في رأسه و صفعه، و صرّح بعزله عن ولاية العهد من بعد أخيه، فاشتدّ أيضا حنقه أكثر ممّا كان. فلمّا كان يوم عيد الفطر خطب المتوكّل بالناس و عنده بعض ضعف من علّة به، ثمّ عدل إلى خيام قد ضربت له أربعة أميال في مثلها، فنزل هناك ثمّ استدعى في يوم ثالث شوّال بندمائه على عادته في سمره و حضرته و شربه، ثمّ تمالأ ولده المنتصر و جماعة من الأمراء على الفتك به، فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوّال.

و يقال: «من شعبان، و هو على السماط فابتدروه بالسيوف فقتلوه، ثمّ ولّوا بعده ولده المنتصر».[1] و يقول السيوطي : كان المتوكّل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ثمّ المعتز ثمّ المؤيّد، ثمّ أراد تقديم المعتزّ لمحبّته لأمّه. فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى، فكان يُحضره مجلس العامّة و يحطّ منزلته و يتهدّده و يشتمه و يتوعّده، و اتّفق أنّ الترك انحرفوا عن المتوكّل لأمور فاتّفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخل عليه خمسة و هو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو و وزيره الفتح بن خاقان.[2]

فما أشبه يوم المتوكّل و ولايته لأبنائه و حيرته في تفضيل و تقديم أحدهم على الآخر بيوم الرشيد الذي وزّع السلطان بين أبنائه فجعلهم حيارى يتقاتلون، لكن المتوكّل نال حظّه من القتل بأسرع ممّا ينقل المؤرّخون، و كفى أولاده شرّ القتال و السجال. لكن المأمون أخذ

---

[1]- **البداية و النهاية** ١٠: ٣٨٥.

[2]- **تاريخ الخلفاء**، بتحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ص ٣٥٠ .

بأسلوب آخر في القتل المستور الغامض، لأنّ مقتل أخيه الأمين كان فاضحاً و كافياً للتعريف به فيما بعد، و لم نكن نعرف من القاتل الحقيقي و المباشر للرشيد، ولعلّ المأمون حين صحبه بإشارة من الفضل كان يعدّ مؤامرة قتل غامضة غير مرئيّة للإجهاز على الرشيد و خشي المأمون أن يعرّف به في الأوساط العبّاسيّة أو الأخرى بأنّه خليفة قتل أو يفكّر به كخليفة قاتل و قاطع لأرحامه، فسعى المأمون لأسلوب آخر في القتل والانتقام و تصفية من لا يرغب فيه أو لا ينفعه في حين، أو يشكّك في ولائه، أو أنّ دوره قد استنفد و لم يعد ذا جدوى وفائدة ينتفع بها له ولدولته و سياسته. و لربّما تلاقت مؤامرات الفضل بن سهل مع نفس المأمون في مواقف، أو أنّ المأمون قد غلب على أمره و لم يعد يتمكّن من أن يتخلّص من تأثير الفضل عليه، أو أنّ المأمون لم يمتلك الرؤية الواضحة للأُمور، و ما إلى ذلك. ولكن خدمات هرثمة بن أعين و طاهر ابن الحسين للمأمون و لعموم الدولة غير خافية على أحدٍ من المؤرّخين، ولكنّهما عوقبا بالموت، و هما ناصراه و مؤيّداه، بل هما ساعدا الدولة و صاحبا الفضل في السيطرة على الأوضاع و ترتيبها للمأمون. و يتحدّث المؤرّخ الشيخ محمّد الخضري عن دورهما الكبير في الدولة العبّاسيّة فيقول : لمّا تمّ الأمر للمأمون بالعراق، على يد القائدين العظيمين : طاهر ابن الحسين، و هرثمة بن أعين كان الذي يدبّر الأمور بمرو الفضل بن سهل الذي يرى لنفسه الفضل الأكبر في تأسيس دولة المأمون، فأراد أن يستفيد من هذه الدولة فيستأثر بنفوذ الكلمة فيها، و ليس يتمّ له ذلك والعراق بين يدي طاهر و هرثمة فأصدر أمرين على لسان المأمون:

أوّلهما: بتولية الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر من كور الجبال و فارس و الأهواز و البصرة و الكوفة و الحجاز و اليمن، و كتب إلى

طاهر: أن يسلّمه جميع ما بيده من الأعمال، و أن يشخص إلى الرقّة لمحاربة نصر بن شبث، و ولاه الموصل و الجزيرة و الشام و المغرب، فلم يسع طاهرا إلا أن يسمع و يطيع فسلّم ذلك كلّه. و الأمر الثاني: إلى هرثمة يأمره بالشخوص إلى خراسان فشخص، و بذلك خلا العراق من أسديه، و أهل العراق عبيد القوّة، و لا سيّما أنّهم خارجون من ثورة وهيجان، فكان من اللازم أن تظلّ تلك الأيدي المرهوبة حتّى يستكين الناس و يخضعوا. ثمّ يقول الخضري : و لم يبق المأمون بعد ذلك بخراسان. هل كان الفضل بن سهل يريد أن يحوّل الخلافة الإسلاميّة إلى مرو فيجعلها حاضرة البلاد الإسلاميّة، أو رأى أنّ نفوذه يضعف إذا حلّ الخليفة بغداد و بها الألسنة التي لا تملّ الوشايات؟ فخشي من ذلك على مركزه، سواء كان السبب في تخلّفه هذا أو ذاك فقد نتج عن هذا التدبير مضارّ شديدة، و اضطرابات كادت ترجع ملك المأمون أثرا بعد عين.[1] و قائد مثل هرثمة بن أعين كان ينتظر في دولة جديدة يحكمها رجال صلحاء و حكماء - و لم تكن رجالها كذلك - التكريم و التقريب، لأنّ له من المواهب والطاقات و الخصائص الفريدة ما ليس لغيره من قادة و رجال الدولة العبّاسيّة، فقد كان هرثمة من أكفّاء القادة العسكريّين الذين خدموا الدولة العبّاسيّة و قضوا على كثير من الفتن التي حصلت بها فانبرى هرثمة لتطويقها و القضاء عليها، و لولا كفاءة هرثمة و حنكته لعصفت بها حركة أبي السرايا[2] حيث استطاع هرثمة بقدرته و إخلاصه

---

[1]- **الدولة العباسيّة** ص ١٥٣.

[2]- أبو السرايا : هوالسريّ بن منصور، و كان يذكر أنّه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني. و لمّا ظهر محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي في سنة ١٩٩هـ بالكوفة، يدعو إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله و العمل بالكتاب و السنّة، كان القيّم بأمره في الحرب أبو السرايا. و يقال: إنّه - أي أبو

للدولة من إنهائها و إفشالها.

ولكن لمّا فرغ هرثمة من أمر أبي السرايا و محمّد بن محمّد العلوي شخص إلى خراسان ليعرّف المأمون ما يدبّر له الفضل بن سهل و ما يكتم عنه من الأخبار ، و رأى ألا يدعه حتى يردّه إلى بغداد دار خلافة آبائه و ملكهم ليتوسّط سلطانه و يشرف على أطرافه، فعلم الفضل ما يريد فقال للمأمون : إنّ هرثمة قد أنغل عليك البلاد و العباد، و ظاهر عليك عدوّك و عادى وليّك، و دسّ أبا السرايا، و هو جنديّ من جنده حتّى عمل ما عمل، و لو شاء هرثمة أن لا يفعل ذلك أبو السرايا مافعله. و قد كتب إليه أمير المؤمنين عدّة كتب أمره أن يرجع فيلي الشام أو الحجاز فأبى، و قد رجع إلى باب أمير المؤمنين عاصياً مشاقّاً يظهر القول الغليظ و يتواعد بالأمر الجليل، و إن أُطلق هذا كان مفسدة لغيره، فأشرب قلب أمير المؤمنين عليه.

و هنا يتحدّث التاريخ عن وضع هرثمة مع المأمون و الفضل فيقول الطبري: و أبطأ هرثمة في المسير فلم يصل إلى خراسان حتىّ كان ذو القعدة، فلمّا بلغ مرو خشي أن يكتم المأمون قدومه، فضرب بالطبول لكي يسمعها المأمون فسمعها فقال : ما هذا؟ قالوا : هرثمة قد أقبل يرعد و يبرق، و ظنّ هرثمة أنّ قوله المقبول، فأمر بإدخاله فلمّا أُدخل، و قد أشرب قلبه ما أشرب، قال له المأمون : مالأت أهل الكوفة و العلويّين، وداهنت، و دسست إلى أبي السرايا حتىّ خرج و عمل ما عمل، و كان رجلاً من أصحابك، و لو أردت ان تأخذهم جميعاً لفعلت، و لكنّك أرخيت خناقهم و أجررت لهم رسنهم، فذهب هرثمة ليتكلّم و يعتذر

السرايا ــ سمّ محمد بن إبراهيم فقام من بعده محمّد بن محمّد بن زيد الحسني. **الكامل في التاريخ** ٥: ٤١٦؛ **شذرات الذهب** ١: ٣٥٦.

ويدفع عن نفسه ما قرف به فلم يقبل ذلك منه، و أمر به فوجئ على أنفه و ديس بطنه و سحب من بين يديه. و قد تقدّم الفضل بن سهل إلى الأعوان بالغلظ عليه و التشديد حتى حبس، فمكث في المحبس أيّامًا، ثمّ دسّوا إليه فقتلوه و قالوا له : إنّه مات.[1] و هكذا ذهب القائد العظيم من غير جناية، لكنّه صار ضحيّة خبث و تدبير بطانة السوء. و لمّا بلغ أهل بغداد ما صنع بهرثمة هاج الجند الحربيّة بها و ثاروا على الحسن بن سهل فأخرجوا ولاته من بغداد و استخفّوا بأمر المأمون، و لم يكن عند الحسن ما يقدر به على عمل لضعفه و سوء رأيه،[2] و من هنا كان المأمون يرى بأنّ الحسن هذا لا يصلح لبغداد، و لعلّه خطّط لإنهائه، كما سنشير لذلك في الفصل الآتي. و أمّا القائد الكبير طاهر بن الحسين فكان بانتطار دسيسة و مؤامرة المأمون التي أعدّها له في وقت سابق ووقّت تنفيذها حتّى عام ٢٠٧هـ ، كما تحدّث ابن عماد الحنبلي عن أحداث هذه السنة بالقول : و كان المأمون قد أخدمه غلاماً ربّاه و أمره إن رأى منه ما يريبه سمّه. فلمّا تمكّن طاهر من خراسان قطع خطبة المأمون - في يوم الجمعة - و خطب لنفسه، فأصبح يوم السبت ميّتاً[3] و كأنّ طاهراً قد مات حتف أنفه و استسلم لنوم هادئ عميق، و تناسوا ما دبّره له المأمون القاتل من وراء ستار الأحداث، و هنا قدّر المأمون و القدر أن تضيع في غمرات التاريخ بطولاته و جولاته التي سطّرها في خدمة الدولة.

---

[1]- **تاريخ الطبري** ٨: ٥٤٢.

[2]- **الدولة العبّاسيّة** ص١٥٧.

[3]- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلي ٢: ١٧.

ولاية العهد والفتن في البيت العبّاسي

سار العبّاسيّون في نظام تولية العهد لأكثر من واحد،على غرار ما سار عليه الاِمويّون، ولعلّ السبب الرئيس الذي حدا بالعبّاسيّين إلى تبنّي هذا النظام هو إبقاء الخلافة في البيت العبّاسي، فقد عهد أبوالعبّاس بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور على أن يكون من بعده ابن أخيه عيسى بن موسى، إلا أنّ المنصور لم يلتزم بهذا العهد،فقد أعدّ ابنه محمّد المهدي ليكون خليفة بعده ،لذلك مارس ضغوطاً عديدة على عيسى للتنازل عن ولاية العهد لصالح ابنه، ونجح بالتالي في ذلك، على أن يكون عيسى وليّاً للعهد بعد المهدي.

إنّ حبّ الوالد لأولاده والرغبة في إبقاء الخلافة في الأعقاب لم يكن مقتصراً على المنصور،بل تعدّى إلى ابنه المهديّ حيث عيّن ولده موسى الهادي بعد أن أُجبر، رغبة و رهبة، وفي عام ١٦٦هـ عيّن ابنه هارون الرشيد لولاية العهد على أن يكون بعد أخيه موسى.[١] ولمّا كانت سنة ١٧٠هـ توفّي موسى الهادي، و اختلف في سبب وفاته، فقيل:كان سببها

١- خالد عزّام، **العصر العبّاسي،موسوعة التاريخ الإسلامي** ص ١٢٢.

قرحة كانت في جوفه وقيل: مرض بحديثة الموصل وعاد مريضاً فتـوفّي. وقيل: إنّ وفاته كانت من قبل جوار لأُمّه الخيزران كانت أمرتهنّ بقتله.

وكان سبب أمرها بذلك أنّه لمّا ولـي الخلافـة الهـادي كانـت تسـتبدّ بالأُمور دونه، وتسلك به مسلك المهدي حتىّ مضى أربعـة أشـهر فانثـال الناس إلى بابها، وكانت المواكب تغدو وتروح إلى بابها فقال لهـا:أمالـك مغزل يشـغلك، أو مصـحف يـذكرك، أو بيـت يصـونك؟إيّاك و إيّـاك، لا تفتحي بابك لمسلم ولاذمّي،فانصرفت وهي لاتعقل فلم تنطق عنده بعدها وقيل: كان سبب أمرها بقتله أنّ الهادي لما جدّ في خلع الرشـيد والبيعـة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد[1] وكان للخيـزران هيبـة واعتبـار حتىّ أنّ الإمام موسى بن جعفرعليه السلام حين بلغه وفاة موسـى الهـادي كتـب لها كتابا يعزّيها بوفاته[2] ولمّا بويع للرشيد، ليلة الجمعة، وهي الليلـة التـي توفّي فيها أخوه موسى الهادي من سنة ١٧٠هـ، و كانت سنّه يـوم ولـي اثنتين وعشرين سنة، وقيل:إحدى وعشرين سنة .ولمّا قعد علـى كرسـيّ الخلافة دعا هارون يحيى بن خالد بن برمك، وكان مجوسـيّاً، وقـد كـان موسى الهادي عازماً على قتله وقتل هارون الرشيد في تلك الليلة، فحضر يحيى وتقلّد الوزارة و كان الهادي قد خلع الرشـيد وبـايع لابنـه جعفـر، وكان عبد الله بن مالك على الشُرط، فلمّا توفّي الهادي هجم خزيمة بـن خازم في تلك الليلة فأخذ جعفراً من فراشه، وكـان خزيمـة فـي خمسـة آلاف من مواليه معهم السلاح، فقال: والله لأضربنّ عنقك أو تخلعها – أي الخلافة – فلمّا كان من الغد ركب النـاس إلـى جعفـر فـأتى بـه خزيمـة فأقامه على باب الدار في العلوّ و الأبواب مغلقة، فأقبل جعفر ينـادي: يـا

---

[1]- لابن الاثير، **الكامل في التاريخ** ٥: ٢٧٢.

[2]- ينظر **بحار الأنوار** ٤٨: ١٣٤.

معشر المسلمين، من كانت لي في عنقه بيعة فقد أحللته، والخلافة لعمّي هارون ولاحقّ لي فيها.[١]

وهكذا بهذه المؤامرات المتبادلة تمّ للرشيد ما أُريد له من قبل الحاشية، ولم يكن هو الذي أراد، على ما يعتقد الدكتور فاروق عمر، وكما يفهم هو شخص هارون، فيقول: أمّا روايات ألف ليلة وليلة فقد جعلت من شخصيّة هارون الرشيد شخصيّة أُسطوريّة طغت على شخصيّته التاريخيّة.فلقد نشأ هارون نشأة ترف جعلته بعيداً عن المسؤولية غير مقدّر لتبعاتها حقّ التقدير.ثمّ رفعته أُمّه الخيزران والبرامكة إلى الخلافة دون أن يكون راغباً فيها كلّ الرغبة بعد المؤامرة التي دبّرت على الهادي. ومنذ سنة ١٧٠هـ حتى ١٨٧هـ فوّض الرشيد المسؤوليّة بيد البرامكة يحيى و ابنيه: الفضل، وجعفر و أقربائهم و مواليهم، ثمّ نكبهم فجأة لازدياد نفوذهم وسعة سلطانهم الذي بدأ يضاهي بل يزيد على نفوذ الخليفة نفسه.[٢]

قال المسعودي:و كانت مدّة دولة البرامكة وسلطانهم وأيّامهم النضرة الحسنة من استخلاف هارون الرشيد إلى قتل جعفر بن يحيى بن خالد ابن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً[٣]، وتولّى وزارة الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع فلم يسدّ المكان الذي سدّوا.[٤]

ومن الطريف هنا ما ذكر المؤرّخون بأنّه ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك لسبع بقين من ذي الحجّة سنة ١٤٨هـ - قبل أن يولد

١- **تاريخ الطبري** ٨: ٢٣٢.

٢- **الخلافة العبّاسيّة في عصر الفوضى العسكريّة** ص ٢٣.

٣- **مروج الذهب** ٣: ٣٨٠.

٤- الشيخ محمد الخضري، **الدولة العبّاسيّة** ص١١٥.

الرشيد بن المهدي بسبعة أيّام فأرضعته الخيزران أُمّ الرشيد بلبن ابنها، فكان الفضل بن يحيى أخا الرشيد من الرضاعة ولذلك يقول سلم الخاسر:

أصبح الفضل و الخليفة هارون   رضيعي لبان خير النساء[1]

ولكن هذا لم يمنع هارون من أن يمدّ يديه وسطوته السلطانية في أن يضرب البرامكة ضربة قاضية أنهتهم، ولم تبق له معهم سوى ذكرى باهتة لم يعد يتذكّرها هو و أولاده في تضاعيف أيّامهم.ومهما كانت عيوب البرامكة فإنّهم دبّروا للرشيد أُمور الدولة و سكّنوا اضطرابها، وأقاموه مقامه وأجلسوه مجلسه.وقد كان الرشيد مضطرباً في قراراته، و أخرق قرارين اتّخذهما الرشيد هما:

١- سجن موسى بن جعفر عليه السلام، ومن ثمّ الأمر بقتله ومضايقة العلويّين.

٢- تقسيمه للدولة الإسلاميّة العظيمة،التي صنعتها دعوة لا إله إلاّ الله وسيوف الفاتحين،بين أولاده الثلاثة: الأمين، والمأمون والمؤتمن.

ويقول فاروق عمر:إن القرار السياسي الذي اتّخذه الرشيد بتقسيمه الدولة بين أبنائه الثلاثة ينمّ عن قصر نظره في السياسة.ولعلّ هذا الموقف يجعله مسؤولاً بصورة غير مباشرة عن الحرب الأهليّة بين الأمين والمأمون.[2] ولم يتّعظ الرشيد بمشكلة ولاية العهد التي جرّت إلى صراعات و مشكلات وأزمات كادت أن تعصف بالدولة والبيت العبّاسي معاً، كما جرى الأمر له ولأخيه من قبل، بل تعدّت هذه المرّة إلى مصائب و ويلات للأمّة وللبيت العبّاسي لتنسحب إلى المجالات كافّة

---

[1]- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ١٨٦.

[2]- **الخلافة العبّاسيّة في عصر الفوضى العسكريّة** ص ٢٦.

والأمور العامّة للمسلمين، وانعكس هذا حتّى على الشارع والبيت الواحد من المسلمين نتيجة فتنة العهد العبّاسي.

وينقل الدينوريّ عن الأصمعيّ قصّة ولاية العهد الدمويّة فيقول: كان الرشيد يحبّ السمر ويشتهي أحاديث الناس،فكان يرسل إليّ إذا نشط لذلك ، وجنّ عليه الليل، فأسامره، فأتيت ذات ليلة ولم يكن عنده أحد فسامرته ساعة ثمّ أطرق و فكّر ثمّ قال: يا غلام،عليّ بالعبّاسي، يعني. الفضل بن الربيع، فحضر و دخل، فأذن له بالجلوس فقال:يا عبّاسي، إنّي عنيت بتولية العهد، و مثبت الأمر في محمّد و عبدالله، وقد علمت أنّي إن ولّيت محمّداً مع ركوبه هواه، و انهماكه في اللهو و اللذّات خلط على الرعيّة وضيّع الأمر، حتّى يطمع فيه الأقاصي من أهل البغي والمعاصي، وإن صرفت الأمر الى عبد الله ليسلكنّ بهم المحجّة، و ليصلحنّ المملكة، و إنّ فيه لحزم المنصور وشجاعة المهدي، فما ترى؟ قال الفضل: يا أمير المؤمنين،إنّ هذا أمر خطير عظيم والزلّة فيه لاتستقال، و للكلام فيه مكان غير هذا. فعلمت أنّهما يحبّان الخلوة، فقمت عنهما، و جلست ناحية من صحن الدار، فما زالا يتناظران إلى أن أصبحا، و اتّفق رأيهما على تولية محمّد العهد، وتصيير عبدالله من بعده، وقسمة الأموال والجنود بينهما، و أن يقيم محمّد بدار الخلافة ويتولّى المأمون خراسان، فلمّا أصبح أمر بجميع القوّاد فاجتمعوا إليه فدعاهم إلى بيعة محمّد ومن بعده إلى بيعة المأمون فأجابوا الى ذلك وبايعوا[١] وهكذا تمّت مبايعة غلامين وصبيّين من صبيان بني العبّاس في ليلة سمر ولهو مع الأصمعي الذي حلّ محلّ الوزير و الحاجب ليوافق مزاج هارون هنا، لكنّه ترك الرشيد وعبده الوزير ليقرّرا مصير مملكة ودولة واسعة بليلة واحدة، ولم يؤخذ نظر

١- **الأخبار الطوال** ص ٣٨٩.

الفقهاء أو العلماء وحتّى مشايخ بني العبّاس وكبارهم الذين اكتسبوا تجربة و مراساً وحنكة في ترتيب أُمور الدولة.

لقد أحدث هارون خرقاً كبيراً وفتح باباً واسعاً لولاية العهد العبّاسيّة تداخلت و ولجت في هذه الفتنة المصالح و الأهواء والقوميّات والنزعات و البيوتات الطامعة لتشتعل أوار فتن قديمة جديدة أحرقت معها نفوس ، وتناثرت أشلاء من جرّاء هذه الليلة، وكان منها محنة جديدة لأهل البيت عليهم السلام و زعيمهم و رئيسهم آنذاك عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الذي زجّوه في دائرة الفتنة العبّاسيّة ليلقى الرضا عليه السلام منهم الويلات حتىّ اختاره الكريم إلى جواره؛ عندها فاز و نجا منهم و من فتنهم الحارقة المارقة.

ويتحدّث المؤرّخون عن نيّة الأمين في هذه البيعة الوفاء لأخويه: المأمون، والمؤتمن إلاّ أنّ الفضل بن الربيع غيّر نيّته في أخويه، وحسّن له خلع المأمون والقاسم، وصغّر عنده شأن المأمون. و إنّما حمله على ذلك خوفه من المأمون إن أفضت إليه الخلافة أن يخلعه من الحجابة،فوافقه الأمين على ذلك و أمر بالدعاء لولده موسى وبولاية العهد من بعده، وذلك في ربيع الأوّل من سنة أربع وتسعين و مائة، فلمّا بلغ ذلك المأمون قطع البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكّة و الطرز، وتنكّر للأمين.

وبعث رافع بن الليث إلى المأمون يسأله منه الأمان فأمنه فسار إليه بمن معه فأكرمه المأمون وعظّمه، و جاء هرثمة على إثره فتلقّاه المأمون و وجوه الناس و ولاه الحرس،فلمّا بلغ الأمين أنّ الجنود التفّت على أخيه المأمون ساءه ذلك وأنكره، وكتب إلى المأمون كتاباً و أرسل إليه رسلاً ثلاثة من أكابر الأمراء، سأله أن يجيبه إلى تقديم ولده عليه ، و أنّه

سمّاه الناطق بالحقّ فأظهر المأمون الامتناع، فشرع الأُمراء في مطايبته وملاينته و أن يجيبهم إلى ذلك فأبى كلّ الإباء.فقال له العبّاس بن موسى بن عيسى: فقد خلع أبي نفسه فماذا كان؟ فقال المأمون: إنّ أباك كان إمرءاً مكرهاً، ثمّ لم يزل المأمون يعد العبّاس و يمنّيه حتّى بايعه بالخلافة ،ثمّ لما رجع إلى بغداد كان يراسله بما كان من أمر الأمين و يناصحه. و لمّا رجع الرسل إلى الأمين أخبروه بما كان من قول أخيه ،فعند ذلك صمّم الفضل بن الربيع على الأمين في خلع المأمون فخلعه، و أمر بالدعاء لولده في سائر البلاد. وأقاموا من يتكلّم في المأمون و يذكر مساوئه، و بعثوا إلى مكّة فأخذوا الكتاب الذي كتبه الرشيد و أودعه في الكعبة فمزّقه الأمين وأكّد البيعة إلى ولده الناطق بالحقّ على ما ولاه من الأعمال، وجرت بين الأمين والمأمون مكاتبات و رسل... ثمّ آل بهما الأمر أن احتفظ كلّ منهم على بلاده وحصّنها و هيّأ الجيوش والجنود وتألّف الرعايا.[١] ثمّ اندلعت حرب ضروس بعد حين لتطيح برأس الأمين، الذي رفعه الرشيد وزبيدة، ونكسه القدر و الزمن، في معركة دراميّة لم يرحمه فيها جنود أخيه المأمون الذي قبع في خراسان متربّصاً الدهر ليعود به إلى بغداد وارثاً عرش أبيه الرشيد و عربدته و غدره ، وكأنّه عاد منتصراً على نفسه و بيته و أبيه في دراما الحرب و الحكم ليبدأ فترة حكم عبّاسيّة أُخرى قدرها له ما كتب القدر له.

١- **البداية و النهاية** لابن كثير ١٠: ٢٤٤.

الغدر العبّاسي الموروث

كانت سيرة معظم السلاطين المنسوبين لبني العبّاس هي سيرة عسف وظلم وجور، ولم تكن سيرة محمودة لدى الرعيّة ، وحتّى لمقرّبيهم، وهناك طائفة من المؤرّخين الذين اضطرّوا إلى الإفصاح عن خفايا لايمكن السكوت عنها، ممّا أجبرهم للحديث عنها وكشفها في مرويّاتهم.

و من بين ملوك بني العبّاس الذين عرفوا بفضائحهم في قصورهم السلطانيّة و حياتهم الخاصّة هو هارون الرشيد، وكذلك ابنه الأمين، الذي عبث بأموال الدولة و حتّى بلغ به حدّ التجاوز على القيم و المعايير الأخلاقيّة، فالشهوات و النزوات التي كانت تعصف بهارون الرشيد لا يمكن حصرها و عدّها، و من هذه الفضائح رغبته الجامحة في أن يطفئ شهوته من جارية أخيه الهادي.[1]

و مع أنّه كان في دار الرشيد من الجواري و الحظايا[2] و خدمهنّ و خدم زوجته و أخواته أربعة آلاف جارية؛[3] كلّهن في خدمته، و تحت

---

[1]- تقدّمت الإشارة لذلك في فصل عهد الكاظم.

[2]- يقال: حظيت المرأة عند زوجها، أي سعدت و دنت من قلبه و أحبّها. **اللسان** (حظا).

[3]- **البداية و النهاية** لابن كثير ١٠: ٣٣٨.

أمره جند مطيع له، ولكن نهمات الرشيد و طماحاته أكبر من هـذا العـدد الكبير المؤلّف ،فلم يكن يشبع رغبة الرشيد أو يجعله يغضّ الطرف عـن هذه و تلك أمام رغباته و غرائزه الطاغية العاتية. و هذه الغريـزة الطائشـة التي استبدّت بالرشيد حملته على أن يفعل الأفاعيل المنكرة، لكـي يُبقـى غرائزه و نهمته و طماحه سائبة حرّة من أجل أن تنال نفسـه مـا لا ينـال غيره حتّى صارت شهواته المندفعة العارمـة ملكـة لـه و سـجيّة و طبعـاً توارثه أبناؤه من بعده.

و كان الأولى بالرشيد أن يدعوهم إلى السير لمحراب العبـادة و العلـم و خدمة الرعيّة، و إعطائهم درساً في الوفاء لمن خدمهم و قـدّم فـروض الطاعة لهم، و أسّس دولتهم و بوّأهم سلطانهم الذي كانوا يبتهجون بـه و يحبرون. لكنّه علمّهم كيف يغـدرون، و كيـف يفجـرون فـي حيـاتهم و يعربدون في سكرهم و صحوتهم.

و كان الأمين و المأمون ولدين طائعين لأبيهما فـي سـيرته الغاشـمة الطاغية التي امتدّت حتّى إلى المحارم، و لا ندري كـم عـدد المحـارم و مقدار المآثم التي أهملها التاريخ، أو سكت عنها، أو لم يعلمها؟ أو لم يرد أن يتحدّث عنها؛ فتلك مصيبة أُخرى.

و إذا تركنا حياتهم الخاصّة، التي امتلأت بـاللهو و العبـث و العربـدة والمجون، فإنّ حياتهم و علاقاتهم مع جهاز الدولة الإسلاميّة الكبيرة التي وقعت تحت قبضتهم أكثر فساداً و طغياناً. فالخادم و الجنـدي و الكاتـب و الوزير في جهاز الدولة العبّاسيّة لم يكن يسلم من سطوة و غشم ملوك بني العبّاس، و مع أنّ هؤلاء - على العموم - لم يكونوا من صلحاء الأمّة أو عبّادها أو زهّادها، إلا أنّ لهم من الخدمات التي لا يمكن التقليـل مـن شأنها، فدولة كبرى عظيمة كانت قائمـة فـي تـاريخ المسـلمين تتطلّـب

جهوداً عظيمة و طاقة هائلة لإدارتها.

و كان الأجدر من ملوك هذه الدولة الالتفات إلى هؤلاء العمّال و حقن دمائهم على الأقلّ، و رفع سوط الغدر عنهم،لكن تناقل بعض المؤرّخين، و لعلّ أكثرهم، عن هؤلاء صوراً فجيعة في القتل و التنكيل بهم ومصادرة أموالهم، و لعلّ أبشع ملحمة غدر عرفت و اشتهرت في التاريخ هي نكبة البرامكة، و كان الرشيد بطل الوقيعة الكبرى التي خطّط لها و نفّذها في قتل جعفر بن يحيى البرمكي في سنة سبع و ثمانين و مائة، و التمس المؤرّخون عللاً لهذه الغدرة الشنيعة، منها : أنّ الرشيد كان لا يصبر عن جعفر و عن أُخته عبّاسة بنت المهدي، و كان يحضرهما إذا جلس للشرب، فقال لجعفر: أزوّجكها، ليحلّ لك النظر إليها و لا تقربها، فإنّي لا أُطيق الصبر عنها، فأجابه إلى ذلك فزوّجها منه، و كانا يحضران معه ثمّ يقوم عنهما و هما شابّان فجامعها جعفر فحملت منه، فولدت له غلاماً فخافت الرشيد فسيّرته مع حواضن له إلى مكّة فأعطته الجواهر والنفقات.

ثمّ إنّ عبّاسة وقع بينها و بين بعض جواريها شرٌّ فأنهت أمرها و أمر الصبيّ إلى الرشيد و أخذت علماً بمكانه، فحجّ الرشيد و بحث عن الأمر فعلمه، و كان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعسفان إذا حجّ، فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده، فكان ذلك أوّل تغيّر أمرهم. و قيل : كان سبب ذلك أنّ الرشيد دفع يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليه السلام إلى جعفر ين يحيى بن خالد فحبسه، ثمّ دعا به ليلة جعفر و سأله عن بعض أمره، فقال له يحيى: اتّق الله في أمري و لا تتعرّض أن يكون غداً خصمك محمّد صلى الله عليه وآله ، فوالله ما أحدثت حدثاً و لا آويت محدثاً، فرقّ له و قال : اذهب حيث شئت من بلاد الله، قال : فكيف أذهب و لا آمن أن

أُوخذ بعد قليل، فوجّه معه من أدّاه إلى مأمنه، و بلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواصّ جعفر فرفعه إلى الرشيد فقال : ما أنت و هذا فعله عن أمري، ثمّ أحضر جعفراً للطعام فجعل يلقّمه ويحادثه، ثمّ سأله عن يحيى، فقال : هو بحاله في الحبس الضيّق والأكبال، فقال : بحياتي ! ففطن جعفر، و كان من أدقّ الخلق ذهناً وأصحّهم فكراً، فهجس في نفسه أنّه قد علم بشيء من أمره، فقال جعفر: لا و حياتك، و قصّ عليه أمره و قال : علمت أنّه لا مكروه عنده، فقال: نعم ما فعلت ما عدوت ما في نفسي، فلمّا قام عنه قال : قتلني الله إن لم أقتلك ! فكان من أمره ما كان،[١] و مهما قيل من سبب أو أسباب تراكمت في صدر الرشيد لنكب البرامكة، فإنّ تصفيتهم و القضاء عليهم بعد ما قدّموا من خدمات للرشيد و للدولة معا يعبّر عن روح الغدر و المكر والكيد، و غدر الرشيد بيحيى بن عبدالله بن الحسن بعد أن آمنه ما يخجل، و لو أنّ ذمّيّاً أو محارباً هادن و منح الأمان من أيّ فرد أو جهة لكان لزاماً عليهم الوفاء، فكيف بواحد من المسلمين؟!

فالغدر و الكيد وصمة عار في جبين بني العبّاس، و كأنّ وسام الغدر الذي حازه خلفاء بني العبّاس علّقه الرشيد على جيده مفتخرا بغدراته ومكايده، و كأنّ جدّهم العبّاس كان شاهداً على زيّ الغدر الذي لبسه جبرئيل عليه السلام ليخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله عن الأزمنة اللاحقة، فقد روى الصدوق: «أنّ جبرئيل عليه السلام هبط على النبيّ صلى الله عليه وآله و عليه قباء أسود و منطقة فيها خنجر فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل، ما هذا الزيّ؟ فقال جبرئيل عليه السلام: هذا زي ولد عمّك العبّاس. ثمّ قال عليه السلام: ويل لولدك من ولد عمّك العباس! فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى العبّاس فقال : يا عمّ، ويل لولدي من

---

[١]- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٣٢٧.

ولدك! فقال العبّاس: فأجبّ نفسي؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: جرى القلم بما فيه».[١]

فلم ينفكّ بنو العبّاس من سفك الدماء، و قد سجّل أوّل خليفة عبّاسي، و هو أبو العبّاس السفّاح عام ١٣٢ هـ تاريخه السياسي في إراقة الدماء، فقد قضى معظم عهده في محاربة قوّاد العرب الذين ناصروا بني أُميّة، و قضى على أعقاب الأمويّين، حتّى أنّه لم يفلت منهم إلا عبد الرحمن الداخل الذي أسّس الدولة الأُمويّة ببلاد الأندلس. و وجّه السفّاح همّته بعد ذلك إلى الفتك بمن والوه و ساعدوه على تأسيس دولته، فقتل أبا سلمة الخلال، و همّ بقتل أبي مسلم لولا أن عاجلته منيّته، كما أنّه قتل ابن هبيرة أحد قوّاد مروان بن محمد الأُموي بعد أن أعطاه الأمان. و كان السفّاح خطب على المنبر قائلاً : أنا السفّاح المبيح، و الثائر المبير. ممّا يشعر في بادئ الرأي أنّه عوّل على سفك دماء كلّ من يقف في سبيله[٢] فسنّ للخلفاء من بعده أن لا يفرّقوا في سفك الدم بين دماء أعدائهم وأصدقائهم و أرحامهم، و كأنّ أبناء آدم كلّهم متساوون في أن يكونوا طعمة لسيوفهم النهمة للقتل. و صدق الأمين العبّاسي حين كتب بخطّه إلى طاهر بن الحسين لمّا انتدب لحربه : يا طاهر، ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقّنا فكان جزاؤه عندنا إلا السيف، فانظر لنفسك أوْدع. يلوّح بأبي مسلم و أمثاله الذين بذلوا نفوسهم في النصح لهم فكان مآلهم القتل منهم.[٣] سبحان الله! لقد تساوت دماء البشر لديهم، كلّهم مطلوبون ومدانون، عبيد أم وزراء، مؤيّدون أم معارضون، ياله من عدل في الحكم! فلقد تساوت الأحكام عندهم، وسالت دماؤهم و دماء أصدقائهم و خدّامهم ومواليهم

---

[١]- **من لا يحضره الفقيه** ١: ١٦٣ ح ٧٦٨.

[٢]- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي** ٢: ٢٢.

[٣]- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي ص ٢٤١.

على أعتاب قصورهم، و حتّى أنّه كانت بعض الضحايا من بينهم ومن بنيهم، و بلغ من عدل سيوفهم في توزيع الموت و قطر الدماء و سكبها حتّى لدمائهم و لغيرها بغياً و عدواناً، فحين أشبعوا شهواتهم و نزواتهم، في قتل الأولياء و الصالحين، التفتوا إلى ذواتهم و أنفسهم فرشقوها بسهام و نصال أعدّوها لأنفسهم فذبحوا بعضهم بعضا بسكاكينهم، وكانت شرارات الشرّ و الحقد كامنة فأوقدها و أثارها لهم هارون الرشيد في نشوة عزّه، و في سكرة من سكرات ملكه و عربدته، فهنا صيّرهم عفاريت و جبابرة يتطاعنون ببأسهم و تتطاير شظايا الشرّ و النار منهم ومن بيوتهم فأحرقت ما أحرقت من البلاد و العباد.

و تفرعن العبّاسيّون و اشتعل في قلوبهم من نار العداوة و التحاسد والتباغض حين تقاسم أولاد هارون الرشيد أرض المسلمين شرقها وغربها، موزّعين ملوكاً و أمراء على البلاد والعباد، فقال الشاعر تأييداً لهذا العمل الجائر، و ما قال إلا نفاقاً:

الله قلّد هارون سياستنا   لمّا اصطفاه فأحيا الدين والسنن
و قلّد الأرض هارونُ لرأفته   بنا أمينا ومأمونا و مؤتمن

وحينها قال بعض العامّة : قد أحكم أمر الملك. و قال بعضهم : بل ألقى بأسهم بينهم. و قال الشاعر في ذلك، و لنعم ما قال :

و ألقح بينهم حربا عوانا   و سلّس لاجتنابهم القيادا
فويل للرعيّة عن قليل   لقد أهدى لها الكرب الشدادا
و ألبسها بلاء غير فان   و ألزمها التضعضع والفسادا
ستجري من دمائهم بحور   زواخر لا يرون لها نفادا
فوزر بلائهم أبدا عليه   أغيّا كان ذلك أم رشادا[1]

---

[1]- تاريخ الطبري ٨: ٢٧٦.

فالشاعر هنا أشار إلى وزر الرشيد الذي قدح نـار الحـرب و الشـحناء التي أحرقت البيت العبّاسي، و نالـت شـظايا و نثـارات مـن هـذه النـار الحارقة أُمّة محمّدﷺ، علاوة على سـفكهم و إراقـتهم مـا شـاء الله مـن الدماء.

وكان الرشيد في سنة ١٨٦ هـ قد ولّى الأمين العـراق و الشـام و إلـى آخر المشرق، ثمّ بايع لابنه القاسم بولايـة العهـد بعـد المـأمون و لقّبـه: المؤتمن و ضمّ إليه الجزيرة والثغور و العواصم، و كـان هـذا فـي حجـر عبد الملك بن صالح وجعل خلعه و إثباته إلـى المـأمون. و لمّـا وصـل الرشيد إلى مكّة و معه أولاده و الفقهـاء و القضـاة و القـوّاد كتـب كتابـاً أشهد فيه على محمّد الأمين و أشهد فيه من حضـر بالوفـاء للمـأمون، و كتب كتاباً للمأمون أشهدهم عليه فيه بالوفاء للأمين، و علّق الكتابين في الكعبة و جدّد العهود عليهما في الكعبة. و لمّـا فعـل الرشـيد ذلـك قـال الناس: ألقى بينهم شرّا و حرباً، و خافوا عاقبة ذلك فكان ما خـافوه[١] فقـد أنهر بنو العبّاس المال و كذلك الدماء غدراً و نكاية، بمن ناوأهم ووالاهم على السواء، و حتّى من صالحهم و دخـل فـي طـاعتهم لـم يسـلم مـن سكاكين جلاديهم. فحين دخلت سنة ستّ و سبعين و مائة و ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بالديلم، و اشتدّت شوكته و كثـر جموعـه و أتـاه الناس من الأمصار، اغتمّ الرشيد لذلك فندب إليه الفضل بن يحيـى، فـي خمسين ألفاً و معه صـناديد القـوّاد و ولاه جرجـان و طبرسـتان والـريّ وغيرها، و حمل معه الأموال، فكاتب يحيـى بـن عبـد الله ولطـف بـه، و حذّره و أشار عليه و بسط أمله. و نزل الفضل بالطالقان بمكان يقال لـه : أشب، و والى كتبه إلى يحيى، و كاتب صاحب الديلم، و بـذل لـه ألـف

---

[١]- الكامل في التاريخ ٥: ٣٢٦.

ألف درهم على أن يسهّل له خروج يحيى بن عبد الله، فأجاب يحيى إلى الصلح على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطّه يشهد عليه فيه القضاة و الفقهاء و أجلّة بني هاشم و مشايخهم، منهم: عبدالصمد بن علي، فأجابه الرشيد إلى ذلك و سرّ به و عظمت منزلة الفضل عنده و سيّر الأمان مع هدايا و تحف، فقدم يحيى مع الفضل بغداد فلقيه الرشيد بكلّ ما أحبّ و أمر له بمال كثير، و أجرى له أرزاقاً سنيّة و أنزله منزلاً سرياً.

و يتحدّث ابن الأثير عن مآل هذه القضية قائلاً : ثمّ أنّ الرشيد حبسه فمات في الحبس. ثمّ يقول بعد هذا : و كان الرشيد قد عرض كتاب أمان يحيى على محمّد بن الحسن الفقيه،[١] و على أبي البختري القاضي[٢] فقال محمّد: الأمان صحيح، فحاجّه الرشيد، فقال محمّد: و ما تصنع بالأمان! لو كان محارباً ثمّ ولي كان آمناً. و قال أبو البختري : هذا أمان منتقض من وجه كذا فمزّقه الرشيد.[٣] و في رواية الطبري : و تفل فيه أبو البختري.[٤]

و هكذا تخرق العهود و يعبث فقهاؤهم و علماؤهم بما سطر فيها، و كأنّ عهد الخليفة لهم و طعمته المنتظرة صكّ أمان لهم من عذاب جهنّم، فلا ذمّة تراعى و لا نفس تحترم، فقط الشيء المحترم هو مزاج الخليفة و

١- محمد بن الحسن الشيباني المتوفّى عام ١٨٩هـ كان من أبرز تلاميذ أبي يوسف مروّج المذهب الحنفي المنسوب للنعمان بن ثابت، ولي القضاء لخلفاء بني العباس وكان له نفوذ كبير في الدولة و انتهت له رياسة المذهب بعد موت أبي يوسف. ينظر **الكامل في التاريخ** ٥:٣٤٠.

٢- أبو البختري : هو الفقيه وهب بن وهب بن كثير بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب القرشي المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، و القاضي في زمن الرشيد، حكم بقتل يحيى بن عبد الله بن الحسن وخرق الأمان الذي كتبه الرشيد له. و يقال : إنّ الصادق عليه السلام كان متزوّجاً بأمّه. ينظر **مقاتل الطالبيّين** ٤٨٠؛ **فهرست** ابن النديم ١٤٦؛ **الكامل في التاريخ** ٥:٤٢٧.

٣- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٢٩١.

٤- **تاريخ الطبري** ٨ : ٤٧٧.

هواه، و دم الناس هي دماء حيوانات مفترسة لا حرمة لها فينبغي أن تسفك دماؤها و تراق و تسيح بين أقدامهم يتفكّهون بها و يتندّرون. فلا عجب و لا دهشة أن تسفك دماء الوزراء أيضاً، و قد تلقّى الوزراء الذين خدموا الخلفاء و الدولة العبّاسيّة ضربات متتالية تنتهي بهم إلى مصادرة أموالهم و سجنهم و من ثمّ تقطع رقابهم. و لم تنفع الخدمات والتضحيات التي يقدمها الوزير لهم، حتّى أنّهم أفرغوا هذا المنصب السياسي و الإداري الكبير من محتواه و حوّلوه إلى عصا يصرّف بها ولعبة تخضع إلى مزاجه. و كان مزاجه المتبدّل يروم هذا و يبغض ذاك و كأنّه كلّ شيء صار لدى الخليفة كالبضاعة.

و قد كانت التجربة الوزاريّة لأبي أيّوب المورياني شاهداً على جبروت و طغيان الخليفة العبّاسي، حيث استوزره المنصور العبّاسي في تجربة مريرة فيتحدّث الدكتور عصام سخنيني عن ذلك بالقول : كان المورياني يمتلك جميع المؤهّلات التي تناسب ليكون وكيلاً شخصيّاً للخليفة، فقد وفّرت له تجاربه السابقة في خدمة الأُمويين المقدّرة الإداريّة التي تؤهّله لشغل هذا المنصب، كما أنّ علاقته السابقة مع الخليفة قبل أن يتولّى الحكم، أهّلته ليحوز ثقته الشخصيّة. و الأكثر من ذلك فإنّ شخصيّته كانت من نوع شخصيّة الأجير الذي يخدم سيّده جيّداً، مع البقاء في وضع أدنى منه بكثير، و تفصله عنه فجوة يملؤها الرعب الناتج من تأكّده من هشاشة وضعه إزاء سيّده صاحب القوّة المطلقة.

و يحتفظ ابن خلّكان بروايات مذهلة عن الرعب الذي كان يسم العلاقة بين أبي أيّوب و الخليفة كذلك توضح الصورة التي رسمها الجهشياري لأبي أيّوب عن مؤهّلات هذا الرجل الذي استحقّ بموجبها

ثقة الخليفة و تعيينه في ذلك المنصب السامي، و كان ظريفاً خفيفاً على القلب، متأتّياً لما يريده منه أبو جعفر. و قد أخذ من كلّ شيء طرفاً، وكان يقول : ليس من شيء إلا و قد نظرت فيه، إلا الفقه فلم أنظر فيه قطّ، و قد نظرت في الكيمياء و الطبّ و النجوم و الحساب و السحر. ويلاحظ خلوّ الموورياني من العلم (الفقه) وفق شروط وزير التنفيذ حسب الماوردي.[1] لكن على الرغم من هذه المواصفات و المكانة التي احتلّها أبو أيّوب عند المنصور فقد تعرّض في العام ١٥٣هـ، أي بعد خدمة استمرّت ما بين ستّ و سبع سنوات، إلى سخط الخليفة الذي قام بحبسه و أقربائه و تعذيبه و مصادرة ممتلكاته و ثروته،ثمّ أمر بقتله في السنة التالية و هو في سجنه.[2]

---

[1]- وضع الماوردي أربعة فروق بين وزارة التفويض و التنفيذ، منها: أنّ العلم بأحكام الشريعة معتبر في وزارة التفويض و غير معتبر في وزارة التنفيذ. **الأحكام السلطانيّة** ص٢٧.

[2]- **العبّاسيّون في سنوات التأسيس** ص ١٩٤.

حنكة المأمون

كانت الممارسات التي توارثها أبناء العبّاس قد تراكمت و اختمرت في نفس المأمون ليستهدي بها و ينتقي منها ما يناسب كلّ شخص و كلّ دور، فمرّة يمارس دور القاتل مع الأخ، كما حصل له مع محمّد الأمين الذي قتله بدم بارد فرماه في نفايات البيت العبّاسي، و مرّة دور القاتل مع الوزير، كما حصل في قتل وزيره الذي أوصله إلى منصّة الخلافة، و كما حدث لذي الرئاستين، الذي لفظه ميّتاً مقتولاً مع غسالات الحمّام في سرخس. و ليس من المستبعد أن تكون نهاية الحسن بن سهل الذي يتحدّث المؤرّخون عن مرضه و نهايته بالجنون من تدبير المأمون نفسه، فالمأمون يريد أن يفتح صفحة جديدة و يظهر صورة أُخرى له، وكذلك لحاشيته التي تفانت في خدمته أن تتجدّد و تلائم الثوب العبّاسي الكائن في بغداد، كما و أنّ الحسن سبق له أن طرد من بغداد أثناء نقمة العبّاسيّين و البغداديّين، و لكونه قد استنفد أغراضه فلابدّ من تدبير مؤامرة و دسيسة جديدة لإبعاده عن السلطة في بغداد، و تقول رواية الذهبي: «بأنّ الحسن مرض مرضاً شديداً و تغيّر عقله حتّى ربط وحبس»[1] و تلقى هذه الرواية في أذهان الباحثين شكوكاً بوجود شيء

---

[1]- **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام** للذهبي ٥: ١٢.

أحكمه المأمون أو أحد أتباعه الموجودين في بغداد ليناسب هذه المرحلة السياسيّة الجديدة التي أعدّها من قبل.

و مع أنّ المأمون كان رجل دولة و إدارة ناجحاً و ذا مقدرة سياسيّة كبيرة مكّنته من تجاوز المحن و الخطوب التي مرّت بها الدولة العبّاسيّة، إلا أنّه كان يلعب لعبة القتل و الذبح في ظروف لم تكن تسمح بإمضاء هذا القرار، فقتله لوزيره الفضل بن سهل كان توقيته خاطئاً سبّب له أزمة و هياجاً عامّاً كاد أن يطيح بسلطة و مملكة الدولة العبّاسيّة، لو لا تدارك الإمام الرضا عليه السلام لهذا الأمر، و كان المأمون يعد العدّة لكي يتخلّص من قادته و وزرائه في اللحظة التي يشعر أنّ دورهم قد استنفد و انتهى، أو أراد أمراً يشبع غريزة الانتقام لديه، و يروي ابن كثير الدمشقي صورة من هذا بقوله: دخل طاهر بن الحسين يوماً على المأمون فسأله حاجة فقضاها له، ثمّ نظر إليه المأمون و اغرورقت عيناه فقال له طاهر: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فلم يخبره، فأعطى طاهر حسيناً الخادم مائتي ألف درهم حتّى استعلم له ممّا بكى أمير المؤمنين، فأخبره المأمون وقال: لا تخبر به أحداً و إلا أقتلك، إنّي ذكرت قتله لأخي و ما ناله من الإهانة على يدي طاهر، و والله لا تفوته منّي، فلمّا تحقّق طاهر ذلك سعى في النقلة من بين يدي المأمون، و لم يزل حتّى ولّاه خراسان و أطلق له خادماً من خدّامه، و عهد المأمون إلى الخادم إن رأى منه شيئاً يريبه أن يسمّه فسمّه»[١] و هكذا ظلّ يمارس دور القاتل مع كلّ شخص تعامل معه و انتهى دوره المرسوم له، فمرّة مع قائد جيشه و مرّة مع وزيره الفضل.

والمأمون كان من النوع الذي يقتل الضحيّة و يذرف الدموع عليها، و كان يظهر حرصه على الدولة و الرعيّة، و كأن الأمّة طفل ضعيف بحاجة

١- **البداية و النهاية** لابن الأثير ١٠: ٢٨٣.

إلى حنوّ المأمون و عطفه، و أنّه يخشى على هذا الطفل من الضياع والهلاك. و من طريف ما نقله السيوطي: «أنّ المأمون كان جالساً للمناظرة فجاءه رجل عليه ثياب قد شمّرها و نعله في يده فوقف على طرف البساط و قال : السلام عليكم، فردّ عليه المأمون فقال الرجل: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمّة، أم بالمغالبة والقهر؟ قال المأمون : لا بهذا و لا بهذا، بل كان يتولّى أمر المسلمين من عقد لي و لأخي، فلمّا صار الأمر إليّ علمت أنّي محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين في المشرق و المغرب على الرضا بي، و رأيت أنّي متى خلّيت الأمر اضطرب حبل الإسلام، و مرج أمرهم، و تنازعوا و بطل الجهاد و الحجّ و انقطعت السبل، فقمت حياطة للمسلمين إلى أن يجمعوا على رجل يرضون به فأسلّم إليه الأمر، فمتى اتّفقوا على رجل خرجت له من الأمر. فقال الرجل: السلام عليكم و رحمة الله و بركاته وخرج»[1] و كأنّ هذا الخبر يوحي بمرحلة انقلابيّة جديدة، و لا ندري ما حصل له من هذا الانقلاب الديمقراطي، على ما يقولون في لغة هذا العصر؟

فأراد المأمون أن يجرّب جولة جديدة من القتل، ولكن هذه المرّة مع وليّ عهده و إمام الخليقة، و كما جرى و خطّط لقتل الإمام الهمام ثامن الحجج، و كوكب الأرض الزاهي، الناطق بلسان الحقّ، و نور الله الساطع عليّ بن موسى الرضا المرتضى الراضي بقضائه، و الشاكر لبلائه. و كانت دراما القتل و الغدر التي حبكها المأمون ليبقى جالساً على بساط الأسرة العبّاسيّة من أفجع الأحداث و آلمها للقلب، فقد سلسل و رتّب لهذه الولاية بمقدّمات و أحداث اتّصلت بعضها ببعض لتتوّج الإمام الشهيد

---

[1]- **تاريخ الخلفاء** بتحقيق محيي الدين عبد الحميد ص ٣٢٧.

تاج العزّ و الشهادة، و كانت هذه الشهادة الفصل الأخير من فصول لعبة الولاية و العهد العبّاسي المفتعل، و التي كان يتظاهر بها المأمون، و لنترك الأمر لرواية التاريخ الذي نطق بأحداث جرت في ربوع خراسان و على أعتاب القرن الثالث الهجري في الفصل الآتي.

ولاية العهد و البيعة في نظر المؤرّخين

يقول المسعودي: «بُويع المأمون عبدالله بن هارون - و يكنّى أبا جعفر، و أُمّه أُمّ ولد باذغيسية تسمّى: مراجل - البيعة العامّة بعد قتل المخلوع يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرّم سنة ١٩٨، و بايع للرضا عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب بالعهد بعده، و أزال لبس السواد و لبس بدله الخضرة، وأخذ الناس بذلك فاضطرب من بمدينة السلام من الهاشميّين، و عظم ذلك على أهل بغداد عامّة، و على الهاشميّين خاصّة لزوال الملك عنهم ومصيره إلى ولد أبي طالب،فأخرجوا الحسن بن سهل،أخا ذي الرئاستين، و كان خليفة المأمون على العراق، و بايعوا المنصورين؛ المهديّ فلم يتمّ له أمر، و كان مضعفاً فبايعوا أخاه إبراهيم بن المهدي بالخلافة لخمس خلون من المحرم سنة ٢٠٢ و دعي له على المنابر بمدينة السلام وغيرها، فوجّه الجيوش لمحاربة الحسن بن سهل و هو بناحية المدائن، فكانت الحروب بينهم سجالا.و سار المأمون عن مرو يريد بغداد و معه عليّ بن موسى الرضا و وزيره القائم بدولته الفضل بن سهل ذو الرئاستين، و قتل الفضل بن سهل غيلةً في حمّام بسرخس يوم الاثنين

لخمس خلون من شعبان من هذه السنة، وقتل الرضا في طوس في أوّل صفر سنة ٢٠٣.

و لمّا قرب المأمون من بغداد اضطرب على إبراهيم من كان يعتمد على نصرته، و قعد عنه أكثر من بايعه من الهاشميّين و غيرهم فاستتر لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة من هذه السنة، و قال معاتباً للعبّاسيين :

فلا جزيت بنو العبّاس خيرا — على رغمي ولا اغتبطت بري

أتوني مهطعين و قد أتاهم — بوار الدهر بالخبر الجلي

و قد ذهل الحواضن عن بنيها — و صدّ الثدي عن فم الصبي

و حلّ عصائب الأملاك منها — فشدّت في رقاب بني علي

فضجّت أن تشدّ على رؤوس — تطالبها بميراث النبي

و كانت أيّامه منذ بويع إلى أن استتر؛ سنة و أحد عشر شهراً و أيّاماً، و دخل المأمون مدينة السلام يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٢٠٤، و أمر بإعادة لبس السواد و تخريق الخضرة بعد ثمانية أيّام من قدومه، و لم يزل إبراهيم مستتراً متنقّلاً بمدينة السلام إلى أن ظفربه في استتاره ليلة الأحد لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٢١٠ فعفا عنه المأمون».[١] و كان مسير المأمون لبغداد سبباً لاختلاف القوّاد على إبراهيم بن المهدي،لأنّ السبب الذي من أجله خلعوا المأمون قد زال فاضطرب أمر إبراهيم ببغداد.[٢]

و يتحدّث جلال الدين السيوطي عن هذه البيعة: و في سنة إحدى و مائتين خلع المأمون أخاه المؤتمن من العهد، و جعل وليّ العهد من بعده

١- **التنبيه و الإشراف** بتحقيق الصاوي _ ط القاهرة ص ٣٠٢.

٢- **الدولة العباسيّة** ص ١٥٩.

عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق،حمله على ذلك إفراطه في التشيّع حتّى قيل : إنّه همّ أن يخلع نفسه و يفوّض الأمر إليه، و هو الذي لقّبه: الرضا، و ضرب الدراهم باسمه، و زوّجه ابنته، و كتب إلى الآفاق بذلك.[١]

و يتحدّث ابن الأثير عن أحداث سنة ٢٠١ هـ بالقول: «في هذه السنة جعل المأمون عليّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبعليه‌السلام وليّ عهد المسلمين و الخليفة من بعده، و لقبّه: الرضا من آل محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله، و أمر جنده بطرح السواد و لبس الثياب الخضرة، و كتب بذلك إلى الآفاق.و كتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمّد بن أبي خالد بعد عوده إلى بغداد يعلمه أن المأمون قد جعل عليّ بن موسى الرضا وليّ عهده من بعده.و ذلك أنّه نظر في بني العبّاس و بني عليّ فلم يجد أحداً أفضل و لا أورع و لا أعلم منه. و أنّه سمّاه: الرضا من آل محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله، و أمره بطرح السواد و لبس الخضرة، و ذلك لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى و مائتين، و أمر محمّداً أن يأمر من عنده من أصحابه و الجند و القوّاد و بني هاشم بالبيعة له و لبس الخضرة، و يأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك، فدعاهم محمّد إلى ذلك فأجاب بعضهم و امتنع بعضهم.و قال : لا تخرج الخلافة من ولد العبّاس، و إنّما هذا من الفضل بن سهل، فمكثوا كذلك أيّاماً و تكلّم بعضهم و قالوا : نولّي بعضنا و نخلع المأمون، فكان أشدّهم فيه منصور و إبراهيم ابنا المهدي».[٢] و يتحدّث العصفري عن سنة إحدى و مائتين بالقول: «فيها بايع المأمون لعليّ بن موسى بن جعفر بالخلافة من بعده و خلع القاسم

---

[١]- **تاريخ الخلفاء** ص ٢٤٦.

[٢]- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير ٥: ٤٣١.

بن هارون أمير المؤمنين و أمر بالسواد فـأُلقي و لبست الخضرة.و فيها أُخرج الحسن بن سهل من بغداد و بويع إبراهيم بن المهدي و أُمّه شكلة ببغداد ، وأُخذت له الكوفة و عامّة السواد سنة اثنتين و مائتين : فيها خرج أمير المؤمنين المأمون من خراسان يريد بغداد، و فيها قتل الفضل بن سهل بسرخس في شعبان.فقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي سعيد وموسى بن عمران و عبد العزيز بن عمران اتّهمهم بقتل الفضل بن سهل...

سنة ثلاث و مائتين : فيها مات الرضا عليّ بن موسى بن جعفر يوم السبت آخر يوم من صفر، و قدم المأمون بغداد يوم الأحد في شهر رمضان».[1]

و قال الطبري متحدّثاً عن سنة إحدى و مائتين: «و في هذه السنة جعل المأمون عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وليّ عهد المسلمين و الخليفة من بعده، و سمّاه: الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، و أمر جنده بطرح السواد و لبس ثياب الخضرة، و كتب بذلك إلى الآفاق».[2]

و قال ابن خلدون يصف هذه البيعة و نهايتها: «أفلا ترى إلى المأمون لمّا عهد إلى عليّ بن موسى بن جعفر الصادق و سمّاه: الرضا كيف أنكرت العبّاسيّة ذلك، و نقضوا بيعته و بايعوا لعمّه إبراهيم بن المهدي، وظهر من الهرج و الخلاف و انقطاع السبل و تعدّد الثوّار و الخوارج ما كاد أن يصطلم الأمر حتّى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد و ردّ

---

[1]- **تاريخ خليفة بن خيّاط** ص ٣٨٧.

[2]- **تاريخ الطبريّ** ٨: ٥٥٤.

أمرهم لمعاهده».[1]

ويقول كارل بروكلمان: «و في سنة ٨١٧ م دعا البغداديّون المنصور ابن الخليفة المهدي إلى تولّي السلطة...ثمّ يقول وحسب المأمون غير شاكّ أنّ في استطاعته اكتساب عطف العراقيّين إذا عقد لعليّ بن موسى الرضا على ابنته وسمّاه وليّاً للعهد والواقع أنّه أقدم على هذا الصنيع في آذار سنة ٨١٧ م بإشارة من وزيره الفضل بن سهل.[2]

و يصف الدكتور حسن إبراهيم حسن بيعة الرضاعليه السلام بالقول: «قد أثار مبايعة عليّ الرضا بولاية العهد غضب العبّاسيّين، فنادوا بخلع المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة، و لقّبوه: المبارك فتصدّى لهم الحسن بن سهل واليه علي العراق،غير أنّه عجز عن إخماد هذه الفتنة، وظلّ إبراهيم بن المهدي خليفة ببغداد مدّة سنتين.و لمّا علم المأمون بما وصلت إليه الحال في بغداد من الاضطراب، عوّل على الرحيل إليها. وبينما كان في طريقه إلى المدينة دسّ لوزيره الفضل بن سهل من قتله، فتفرّق عنه أنصاره. و لمّا وصل إلى طوس حدثت حادثة أُخرى، هي وفاة عليّ الرضاعليه السلام.و قد اتّهم المأمون بقتله تقرّباً إلى العبّاسيّين».[3]

فالمحصّل من أخبار المؤرّخين أنّهم لم يقفوا على حقيقة البيعة للرضاعليه السلام و قوفاً واعياً و محللاً لملابسات الأمر و ظروف الدولة، و ما كان يعانيه المأمون من وضع عسير،كما أنّهم لم يستقرّوا على سبب نهاية الإمام الرضاعليه السلام،هل كانت بتدبير من المأمون أم لا، ولكنّهم تفهّموا عملية اغتيال الفضل و وضعو ا لها من العلل و الأسباب بما يناسب نهايته

---

[1]- **تاريخ ابن خلدون** ١: ٢٢٣، دار الكتب العلميّة - بيروت.

[2]- **تاريخ الشعوب الإسلاميّة** :١٩٨.

[3]- **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي** ٢: ٧١.

و دسائسه.و أفضل نصّ تاريخي وجدناه عن المأمون ما نقله ابن كثير الدمشقي فقال : كتب رجل رقعة إلى المتوكّل يقول : يا أمير المؤمنين،إنّ أحمد[١] يشتم آباءك و يرميهم بالزندقة. فكتب فيها المتوكّل : أمّا المأمون فإنّه خلط فسلّط الناس على نفسه، و أمّا أبي المعتصم فإنّه كان رجل حرب و لم يكن له بصر بالكلام، و أمّا أخي الواثق فإنّه استحقّ ما قيل فيه[٢]، فالمأمون أساساً شخص مضطرب قلق متغيّر الرأي، و يتّخذ قراراته وفقا لسياساته و أوضاعه، و لم تكن تعنيه الاعتبارات التي يذكرها المؤرّخون من أنّ معرفته بحقّ الرضا عليه السلام و كونه أجدر الخلق بالخلافة، أو أنّه نذر و عاهد الله أن يضع هذا الأمر في موضعه الذي وضعه الله عزّ وجلّ فيه[٣] و ما إلى ذلك.

كلّ هذا، و كانّه غاب عن المؤرّخين،بأنّ السلاطين و الحكّام حين يصلون إلى كرسيّ الحكومة و السلطة كأنّهم دخلوا جنّات الله و نعيمه، فكيف يمكنهم أن يتركوا جنّتهم بهذه السهولة؟! و المأمون واحد من هؤلاء الحكّام و السلاطين الذين فعلوا ما فعلوا لكي ينالوا بغيتهم، فيسلّمون هذا الأمر بهذه البساطة و بشكل سلمي و وديع و بلاضجّة و لا إراقة دماء، و هو بالأمس هيّج الهياج و أراق الدماء و حاصر بغداد وأجاعها و وضعها تحت نيران قائده طاهر بن الحسين الذي ذبح أخاه كما يذبح الكبش، و في سلسلة حروب و معارك وصفها ابن كثير بالقول: فتفرّق على الأمين شمله، و حار في أمره، و جاء طاهر بن الحسين بجيوشه فنزل على باب الأنبار يوم الثلاثاء لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي

---

[١]- المراد هو أحمد بن حنبل المتوفّى ٢٤٠ هـ ، و كان جواب المتوكّل بخصوص فتنة خلق القرآن التي لم يكن أحمد يقول بها خلافاً للمأمون و المعتصم و الواثق.

[٢]- **البداية و النهاية** ١٠: ٣٧٤.

[٣]- ينظر **بحار الأنوار** ٤٩: ١٣٧و ١٣٨ و ١٤٥.

الحجّة، و اشتدّ الحال على أهل البلد و أخاف الدُّعّار[1] و الشُّطّار[2] أهل الصلاح، و خربت الديار، و ثارت الفتنة بين الناس،حتّى قاتل الأخ أخاه للأهواء المختلفة و الابن أباه، و جرت شرور عظيمة و اختلفت الأهواء و كثر الفساد و القتل داخل البلد[3]، و كلّ هذا جعل صورة المأمون في نظر المؤرّخين صورة الحاكم الدامي و المتهالك و المتفاني من أجل السلطة.و هذه النفس و الشهوة العارمة للحكم و السلطة تدفع الداعي لها إلى التشبّث و الإمساك بأهداب السلطة إلى آخر لحظة من عمره، و لذا لا يمكن تصديق من يرى أنّ المأمون تنازل عنها قربة إلى الله و نبيّه ﷺ والمسلمين الصالحين من عباده.

١- الدّعارة: الفساد و الشرّ. **اللسان** (دعر).

٢- الشطارة: من قولهم شطر عن أهله شطوراً و شطورة و مشطارة، إذا نزح عنهم و تركهم مراغماً أو مخالفاً و أعياهم خبثاً. و الشاطر مأخوذ منه. **اللسان** (شطر).

٣- **البداية و النهاية** ١٠: ٢٥٨ في أحداث سنة ستّ و تسعين و مائة.

صورة العهد الذي كتبه المأمون للرضاعليه السلام

بسـم اللّـه الرحمـن الرحيـم

هذا كتاب كتبه عبدالله بن هـارون الرشـيد أميـر المـؤمنين لعلـيّ بـن موسى بن جعفر وليّ عهده.

أمّا بعد فإنّ الله عزّ وجلّ اصطفى الإسلام ديناً، و اصطفى له من عبـاده رسـلا دالّـين وهـادين إليه،يبشّـر أوّلهـم بـآخرهم، و يصـدّق تـاليهم ماضيهم،حتّى انتهت نبـوّة الله إلـى محمّـدصلى الله عليه وآله على فتـرة مـن الرسـل ، ودروس من العلم، و انقطاع من الوحي، و اقتراب من الساعة، فختـم الله به النبيّين و جعله شاهداً لهم و مهيمناً عليهم، و أنزل عليـه كتابـه العزيـز ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[1] بما أحلّ و حرّم، و وعد و أوعد، و حذّر و أنذر، و أمر به و نهـى عنـه،ليكون لـه الحجّة البالغة على خلقه، ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَة وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَـة وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [2] فبلّغ عن الله رسالتهُ، و دعاً إلى سبيله بما أمره بـه

---

[1]- فصّلت : ٤٢.

[2]- الأنفال : ٤٢.

من الحكمة و الموعظة الحسنة، و بالمجادلة[١] بالتي هي أحسن،ثمّ بالجهاد و الغلظة حتّى قبضه الله إليه و اختار له ما عنده،فلمّا انقضت النبوّة و ختم الله بمحمّدصلى الله عليه وآله الوحي و الرسالة جعل قوام الدين و نظام أمر المسلمين بالخلافة و إتمامها و عزّها و القيام بحقّ الله تعالى فيها بالطاعة،التي بها تقام فرائض الله و حدوده، و شرائع الإسلام و سننه، و يجاهد بها عدوّه.فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم و استرعاهم من دينه و عباده، و على المسلمين طاعة خلفائهم و معاونتهم على إقامة حق الله و عدله، و أمن السبيل و حقن الدماء ، و صلاح ذات البين، و جمع الألفة، و في خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين و اختلالهم، واختلاف ملّتهم، و قهر دينهم، و استعلاء عدوّهم، و تفرّق الكلمة، و خسران الدنيا و الآخرة.

فحقّ الله على من استخلفه الله في أرضه، و ائتمنه على خلقه،أن يجهد لله نفسه و يؤثر ما فيه رضى الله و طاعته و يعتدّ لما الله مواقفه[٢] عليه و مسائله عنه، و يحكم بالحقّ، و يعمل بالعدل فيما حمّله الله و قلّده، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول لنبيّه داودعليه السلام: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾.[٣]

و قال الله عزّ وجلّ : « **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٤] و بلغنا أنّ عمر بن الخطّاب قال : لو ضاعت سخلة بشاطىء الفرات

١- في **كشف الغمّة**: و المجادلة.

٢- المواقفة هنا بمعنى الوقوف يوم الحساب.

٣- ص : ٢٦.

٤- الحجر: ٩٢.

لتخوّفت أن يسألني الله عنها، و ايم الله،إنّ المسؤول عن خاصّة نفسه الموقوف على عمله فيما بين الله و بينه، ليعرض على أمر كبير و على خطر عظيم فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمّة و بالله الثقة، و إليه المفزع و الرغبة،في التوفيق و العصمة و التسديد و الهداية إلى ما فيه ثبوت الحجّة و الفوز من الله بالرضوان و الرحمة.

و أنظر الأئمّة لنفسه و أنصحهم لله في دينه و عباده من خلائقه في أرضه،من عمل بطاعة الله و كتابه و سنة نبيّة صلى الله عليه وآله في مدّة أيّامه و بعدها، و أجهد رأيه و نظره فيمن يولّيه عهده، و يختاره لإمامة المسلمين و رعايتهم بعده، و ينصبه علما لهم و مفزعاً في جمع اُلفتهم، و لمّ شعثهم و حقن دمائهم و الأمن بإذن الله من فرقتهم، و فساد ذات بينهم و اختلافهم، و رفع نزغ الشيطان وكيده عنهم، فإنّ الله عزّ وجلّ جعل العهد بعد الخلافة من تمام أمر الإسلام و كماله و عزّه و صلاح أهله، و ألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، و شملت فيه العافية، و نقض الله بذلك مكر أهل الشقاق و العداوة والسعي في الفرقة، و التربّص للفتنة.

و لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، فاختبر بشاعة مذاقها، و ثقل محملها، و شدّة مؤونتها، و ما يجب على من تقلّدها من ارتباط طاعة الله، و مراقبته فيما حمّله منها فأنصب بدنه، و أسهر عينه، و أطال فكره،فيما فيه عزّ الدين، و قمع المشركين، و صلاح الأمّة، و نشر العدل، و إقامة الكتاب و السنّة، و منعه ذلك من الخفض و الدعة بهنيّ العيش، علماً بما الله سائله عنه، و محبّة أن يلقى الله مناصحاً له في دينه و عباده، و مختاراً لولاية عهده، و رعاية الأمّة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه و ورعه و علمه، و أرجاهم للقيام في أمر الله و حقّه، مناجياً الله بالاستخارة في ذلك و مسألته إلهامه ما فيه رضاه و طاعته في آناء ليله

ونهاره، معملاً في طلبه و التماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العبّاس و عليّ بن أبي طالب - فكره و نظره، مقتصراً لمن[1] علم حاله ومذهبه منهم على علمه، و بالغاً في المسألة عمّن خفي عليه أمره جهده و طاقته.حتّى استقصى أمورهم معرفة، و ابتلى أخبارهم مشاهدةً، واستبرأ أحوالهم معاينةً، و كشف ما عندهم مساءلةً،فكانت خيرته بعد استخارته لله و إجهاده نفسه في قضاء حقّه في عباده و بلاده في البيتين جميعاً - عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما رأى من فضله البارع، و علمه النافع،[2] و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخلّيه من الدنيا، و تسلّمه من الناس.و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، و الألسن عليه متّفقة، و الكلمة فيه جامعة، ولمّا لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً و ناشئاً، و حدثاً و مكتهلاً فعقد له بالعقد و الخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله في ذلك، إذ علم الله أنّه فعله إيثاراً لله و للدين، و نظراً للإسلام و المسلمين، و طلباً للسلامة و ثبات الحجّة،[3] و النجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين.

و دعا أمير المؤمنين ولده و أهل بيته و خاصّته و قوّاده و خدمه فبايعوا مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده، و غيرهم ممّن هو أشبك منه رحما و أقرب قرابة، وسمّاه: الرضا إذ كان رضىً عند أمير المؤمنين، فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة، من قوّاده و جنده و عامّة المسلمين لأمير المؤمنين، و للرضا[4] من بعده عليّ بن موسى على اسم

---

[1]- في **البحار** : ممّن. و في صبح الأعشى : فيمن.

[2]- في **كشف الغمّة**، و في صبح الأعشى : الناصع.

[3]- في **الكشف الغمّة**: الحقّ.

[4]- في حاشية **كشف الغمّة**: و في هامش نسخة هكذا : كتب عند تسميته بالرضا : رضى الله عنك وأرضاك و أحسن في الدارين جزاك.و في أخرى هكذا : كتب تحت ذكر اسمه عليه السلام بقلمه الشريف: وصلتك رحم

الله و بركته، و حسن قضائه لدينه و عباده، بيعة مبسوطة إليها أيديكم، منشرحة لها صدوركم،عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، و آثر طاعة الله، و النظر لنفسه، و لكم فيها شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من قضاء حقّه في رعايتكم، و حرصه على رشدكم و صلاحكم، راجين عائدة ذلك في جمع اُلفتكم، و حقن دمائكم، و لمّ شعثكم، و سدّ ثغوركم، وقوّة دينكم ، و وقم[١] عدوّكم، واستقامة اُموركم، و سارعوا إلى طاعة الله وطاعة أميرالمؤمنين فإنّه الأمن إن سارعتم إليه، وحمدتم الله عليه، وعرفتم الحظّ فيه إن شاء الله تعالى.

وكتب بيده في يوم الاثنين لسبع[٢] خلون من شهر رمضان سنة إحدى و مائتين.[٣]

صورة ما كان على ظهر العهد بخطّ الرضا عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفعّال لما يشاء لامعقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، يعلم خائنة

وجزيت خيراً. و في ثالثة كتب بقلمه الشريف تحت الثناء عليه : أثنى الله عليك فأجمل و أجزل لديك الثواب فأكمل. **كشف الغمّة** ٢: ٣٣٦.

[١]- **في كشف الغمّة**، و في صبح الأعشى: و رغم.و الوقم مصدر وقمته أقمه وقما، إذا رددته ردّاً قبيحاً. **ترتيب جمهرة اللغة** ٣: ٦١٠ (وقم).

[٢]- في **كشف الغمّة** : بسبع.

[٣]- **بحارالأنوار** ١٤٨:٤٩ عن **كشف الغمّة للأربلي** ٢ : ٣٣٣ ، و ذكر العهد القلقشندي في **صبح الأعشى** ٣٨٠:٩، و في **مآثر الإنافة** ٣٢٥:٢ ط دار الكتب ، وذكر في آخره أنّ الفضل بن سهل هو الذي كتب شهادة الشهود .وجاء في حاشية كشف الغمّة : و في هامش نسخة مصحّحة هكذا : قال العبد الفقير إلى الله تعالى: الفضل بن يحيى الطيبي عفا الله عنه : قابلت المكتوب الذي كتبه الإمام عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه و على آبائه الطاهرين بأصله الذي كتبه الإمام المذكورعليه السلام بيده الشريفة حرفاً فحرفاً وألحقت مافات منه و ذكرت أنه من خطّه عليه السلام و ذلك في يوم الثلاثاء مستهلّ المحرّم من سنة تسع و تسعين و ستّمائة الهلاليّة بواسط و الحمدلله على ذلك و له المنّة. **كشف الغمّة** ٢: ٣٣٨.

الأعين وما تخفي الصدور، وصلّى الله على نبيّه محمّد خاتم النبيّين وآله الطاهرين.

أقول وأنا عليّ بن موسى بن جعفر : إنّ أمير المؤمنين عضّده الله بالسداد و وفّقه للرشاد، عرف من حقّنا ما جهله غيره،فوصل أرحاماً قطعت، و آمن نفوساً فزعت، بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، مبتغياً رضى ربّ العالمين لايريد جزاءً من غيره، وسيجزي الله الشاكرين ولايضيع أجر المحسنين.و إنّه جعل إليّ عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده،فمن حلّ عقدة أمر الله بشدّها و قصم عروة أحبّ الله إيثاقها فقد أباح حريمه، وأحلّ محرّمه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام، منتهكا حرمة الإسلام بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً على شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهليّة، ورصد فرصة تنتهز وبائقة تبتدر. وقد جعلتُ لله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين، وقلّدني خلافته،العمل فيهم عامّة وفي بني العبّاس بن عبد المطّلب خاصّة بطاعته وطاعة رسولهصلى الله عليه وآله، وأن لا أسفك دماً حراماً، و لا أبيح فرجاً و لا مالاً إلا ما سفكته حدود الله، وأباحته فرائضه، وأن أتخيّر الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهدا مؤكّدا يسألني الله عنه فإنّه عزّ وجّل يقول: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا**﴾[1]، و إن أحدثت أوغيّرتُ أو بدّلت كنت للغِيَر مستحقّاً، وللنكال متعرّضاً، أعوذ باللّه من سخطه و إليه أرغب في التوفيق لطاعته، و الحول بيني و بين معصيته في عافية لي وللمسلمين.

والجامعة والجفر يدلان على ضدّ ذلك، و ماأدري مايفعل بي و لابكم، إنِ الحكم إلا لله يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين.لكنّي امتثلت أمر أمير

---

[1]- الإسراء : ٣٤.

المؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمني وإيّاه، وأشـهدت الله علـى نفسـي بذلك، وكفى باللّه شهيدا.[١]

توقيع الرضا عليه السلام و صورة الشهادة على العهد

وكتبت بخطّي بحضرة أمير المـؤمنين أطـال الله بقـاءه، والفضـل بـن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم ، وعبدالله بن طاهر، وثمامة بـن أشرس، وبشر بن المعتمر[٢]، و حمّاد بن النعمان[٣] في شـهر رمضـان سـنة إحدى ومائتين.

الشهود على الجانب الأيمن : شهد يحيى بن أكثم[٤] على مضمون هـذا المكتوب ظهره وبطنه، وهو يسـأل الله أن يعـرّف أميـر المـؤمنين وكافّـة المسلمين ببركة[٥] هذا العهد والميثاق وكتب بخطّه في التاريخ المبيّن فيه.

عبدالله بن طاهر بن الحسين أثبت شهادته فيه بتاريخه.شهد حمّاد بـن النعمان بمضمونه ظهره و بطنه، وكتب بيده في تاريخه.بشـر بـن المعتـر يشهد بذلك.

الشهود على الجانب الأيسر : رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قـراءة هذه الصحيفة التي هي صحيفة الميثـاق نرجـو أن نجـوز[٦] بهـا الصـراط،

١- **بحار الأنوار** ٤٩: ١٥٢ عن **كشف الغمّة** للأربلي ٢: ٣٣٧.

٢- هو بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي أبو سهل فقيه معتزلي تنسب إليه الطائفة البشريّة توفّي ٢١٠ هـ **أعلام الزركلي** ٢:٥٥ .

٣- هو حمّاد بن أبي حنيفة تفقّه على أبيه، وهو من طبقة أبي يوسف ومحمّد بن الحسن الشيباني. **لسان الميزان** لابن حجر ٢:٣٤٦

٤- هو يحيى بن أكثم بن محمّد بن قطن التميمي قلّده المـأمون القضـاء وعزلـه المعتصـم بعـده، وعزلـه المتوكّل وقبض أملاكه سنة ٢٤٠ هـ و توفّي ٢٤٢ هـ ، **وفيات الأعيان** ٥:١٩٧ و **تاريخ بغداد** ١٤:١٩١.

٥- خ ل : بركة.

٦- خ ل : يجوز.

ظهرها و بطنها بحرم سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله بين الروضة و المنبر على رؤوس الأشهاد بمرأى و مسمع من وجوه بني هاشم و سائر الأولياء و الأحفاد،[١] بعد استيفاء شروط البيعة عليه بما أوجب أمير المؤمنين الحجّة به على جميع المسلمين، و لتبطل الشبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين، و ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**﴾.[٢]

و كتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه.[٣]

١- في **كشف الغمّة** : الأجناد.

٢- آل عمران : ١٧٩.

٣- **بحار الأنوار** ٤٩: ١٥٣؛ **كشف الغمّة** ٢: ٣٣٧.

كتاب الحباء و الشرط من الرضا عليه السلام إلى العمّال في شأن الفضل

اشتهر كتاب الحباء و الشرط الذي طلبه ذوالرئاستين من المأمون والرضا عليه السلام بصفتهما أعلى و أكبر قوّة في الدولة، و لأهمّيّة هذه الوثيقة نقلناها بحسب رواية الصدوق لها،يقول الشيخ الصدوق: «و جدت في بعض الكتب نسخة كتاب الحباء و الشرط من الرضا عليّ بن موسى عليه السلام إلى العمّال في شأن الفضل بن سهل و أخيه، و لم أرو ذلك عن أحدٍ:أمّا بعد،فالحمد لله البديء الرفيع،[1] القادر القاهر الرقيب على عباده،المقيت على خلقه، الذي خضع كلّ شيء لملكه، و ذلّ كلّ شئ لعزّته، و استسلم كلّ شيء لقدرته، و تواضع كلّ شيء لسلطانه و عظمته، وأحاط بكلّ شيء علمه، و أحصى عدده،فلا يؤوده كبير، و لا يعزب عنه صغير،الذي لا تدركه أبصار الناظرين، و لا تحيط به صفة الواصفين، له الخلق و الأمر و المثل الأعلى في السماوات و الأرض، و هو العزيز الحكيم.

و الحمد لله الذي شرع الإسلام ديناً، ففضّله و عظّمه و شرّفه وكرّمه، و جعله الدين القيّم الذي لا يقبل غيره، و الصراط المستقيم الذي لا يضلّ من لزمه، و لا يهتدي من صدف عنه، و جعل فيه النور و البرهان والشفاء و البيان، و بعث به من اصطفى من ملائكته إلى من اجتبى من رسله في الأُمم الخالية و القرون الماضية،حتّى انتهت رسالته إلى محمّد

---

[1]- في **بحار الأنوار** : البديع.

المصطفى صلى الله عليه وآله فختم به النبيّين، و قفّى بـه علـى آثـار المرسـلين، و بعثـه رحمـة للعـالمين، و بشـيراً للمـؤمنين المصـدّقين، و نـذيراً للكـافرين المكذّبين،لتكون له الحجّة البالغة، و ليهلك من هلك عن بيّنة، و يحيا مـن حيي عن بيّنة، و إنّ الله لسميع عليم.

و الحمد لله الذي أورث أهل بيته مواريث النبوّة، و استودعهم العلم و الحكمة، و جعلهم معدن الإمامة و الخلافة، و أوجب و لايتهم، و شـرّف منزلتهم، فأمر رسوله بمساءلة أمّته مودّتهم إذ يقول: ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[1] و ما وصفهم به مـن إذهابـه الـرجس عـنهم، وتطهيره إيّاهم في قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْـتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2].

ثمّ إنّ المأمون برّ رسول الله صلى الله عليه وآله في عترته و وصل أرحام أهل بيته،فردّ ألفتهم، و جمع فرقتهم، و رأب صدعهم، و رتق فـتقهم، و أذهـب الله بـه الضغائن و الإحن بينهم، و أسكن التناصر و التواصل و المودّة و المحبّـة قلوبهم، فأصبحت بيمنه و حفظه و بركته و برّه وصـلته أيـديهم واحـدة، وكلمتهم جامعة، و أهـواؤهم متّفقـة، و رعـى الحقـوق لأهلهـا، و وضـع المواريث مواضعها، و كافأ إحسـان المحسـنين، و حفـظ بـلاء المبلـين، وقرّب و باعد على الدين،ثمّ اختص بالتفضيل و التقديم و التشريف مـن قدّمته مساعيه،فكان ذلك ذاالرئاستين الفضل بن سـهل،إذ رآه لـه مـؤازراً، وبحقّه قائماً، و بحجّته ناطقاً، و لنقبائه نقيباً، و لخيولـه قائـداً، و لحروبـه مدبّراً، و لرعيّته سائساً و إليه داعياً، و لمـن أجـاب إلـى طاعتـه مكافئـاً،

---

[1]- الشورى : ٢٣.

[2]- الأحزاب: ٣٣.

ولمن عدل عنه منابذاً[١] و بنصرته متفرّداً، و لمرض القلوب و النيّات مداوياً. لم ينهه عن ذلك قلّة مال و لا عوز رجال، و لم يمل به طمع، ولم يلفته عن نيّته و بصيرته و جل، بل عند ما يهول المهوّلون، و يرعد ويبرق له[٢] المبرقون و المرعدون و كثرة المخالفين و المعاندين من المجاهدين و المخاتلين، أثبت ما يكون عزيمة و أجرأ جناناً، و أنفذ مكيدة، و أحسن تدبيراً، و أقوى في تثبيت حقّ المأمون[٣] و الدعاء إليه،حتّى قصم أنياب الضلالة و فلّ حدّهم، و قلّم أظفارهم، و حصد شوكتهم، و صرعهم مصارع الملحدين في دينهم، و الناكثين عهده، الوانين[٤] في أمره، المستخفّين بحقّه الآمنين لما حذّر من سطوته وبأسه مع آثار ذي الرئاستين في صنوف الأمم من المشركين، و ما زاد الله به في حدود دار المسلمين، ممّا قد وردت أنباؤها عليكم، و قرئت به الكتب على منابركم، و حمله أهل الآفاق عليكم إلى غيركم.فانتهى شكر ذي الرئاستين بلاء أمير المؤمنين عنده، و قيامه بحقّه، و ابتذاله مهجته ومهجة أخيه أبي محمّد الحسن بن سهل الميمون النقيبة، المحمود السياسة، إلى غاية تجاوز فيها الماضين، و فاق بها الفائزين، و انتهت مكافأة أمير المؤمنين إيّاه إلى ما حصل[٥] له من الأموال و القطايع و الجواهر، و إن كان ذلك لا يفي بيوم من أيّامه، و لا بمقام من مقاماته، فتركه زهداً فيه، وارتفاعاً من همّته عنه، و توفيراً له على المسلمين، و اطّراحاً للدنيا،

١- في **بحار الأنوار**: و لمن عدل عنها مباينا.

٢- في **البحار** : به.

٣- في **البحار** : و أقوى تثبتاً في حقّ المأمون.

٤- الونى : التقصير في العمل من التعب. **ترتيب جمهرة اللغة** ٣: ٦١٣ (ونى).

٥- في **بحارالأنوار** : جعل.

واستصغاراً لها، و إيثاراً للآخرة، ومنافسة فيها. و سأل أمير المؤمنين ما لم يزل له سائلاً، و إليه فيه راغباً من التخلّي و الزهد، فعظم ذلك عنده وعندنا لمعرفتنا بما جعل الله عزّ وجلّ في مكانه الذي هو به من العزّ للدين[1] و السلطان و القوّة على صلاح المسلمين، و جهاد المشركين، وما أرى الله به من تصديق نيّته، و يمن نقيبته، و صحّة تدبيره، و قوّة رأيه، ونجح طلبته، و معاونته على الحقّ و الهدى، و البرّ و التقوى.

فلمّا وثق أمير المؤمنين وثقنا منه بالنظر للدين و إيثار ما فيه صلاحه، و أعطيناه سؤله الذي يشبه قدره. و كتبنا له كتاب حباء و شرط،قد نسخ في أسفل كتابي هذا، و أشهدنا الله عليه و من حضرنا من أهل بيتنا والقوّاد و الصحابة و القضاة و الفقهاء و الخاصّة و العامّة. و رأى أمير المؤمنين الكتاب به إلى الآفاق ليذيع و يشيع في أهلها، و يقرأ على منابرها، و يثبت عند ولاتها و قضاتها.فسألني أن أكتب بذلك و أشرح معانيه، و هي على ثلاثة أبواب:

ففي الباب الأوّل: البيان عن كلّ آثاره التي أوجب الله تعالى بها حقّه علينا و على المسلمين. و الباب الثاني : البيان عن مرتبته في إزاحة علّته في كلّ ما دبّر و دخل فيه، و ألا سبيل عليه فيما ترك و كره. و ذلك ما ليس لخلق، ممّن في عنقه بيعة، إلا له وحده و لأخيه.و من إزاحة العلّة تحكيمها في كلّ من بغى عليهما، و سعى بفساد علينا و عليهما و على أوليائنا، لئلا يطمع طامع في خلاف عليهما، و لا معصية لهما، و لا احتيال في مدخل بيننا و بينهما.

و الباب الثالث : البيان عن إعطائنا إيّاه ما أحبّ من ملك التخلّي، و

---

[1]- في **عيون أخبار الرضا**: و الدين.

حلية الزهد، و حجّة التحقيق،لما سعى فيه من ثواب الآخرة بما يتقرّب[١] في قلب من كان شاكّاً[٢] في ذلك منه، و ما يلزمنا له من الكرامة و العزّ و الحباء الذي بذلناه له و لأخيه في منعهما ما نمنع منه أنفسنا، و ذلك محيط بكلّ ما يحتاط فيه محتاط في أمر دين و دنيا».[٣]

صورة نسخة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب و شرط من عبدالله المأمون أميرالمؤمنين و وليّ عهده عليّ ابن موسى الرضا لذي الرئاستين الفضل بن سهل في يوم الاثنين لسبع ليال خلون من شهر رمضان من سنة إحدى و مائتين، و هو اليوم الذي تمّم الله فيه دولة أمير المؤمنين، و عقد لوليّ عهده، و ألبس الناس اللباس الأخضر، و بلغ أمله في إصلاح وليّه و الظفر بعدوّه.

إنّا دعوناك إلى ما فيه بعض مكافأتك على ما قمت به من حقّ الله تبارك و تعالى، و حقّ رسوله صلى الله عليه و آله، و حقّ أمير المؤمنين و وليّ عهده عليّ ابن موسى، و حقّ هاشم التي بها يرجى صلاح الدين، و سلامة ذات البين بين المسلمين،إلى أن ثبتت النعمة علينا و على العامّة بذلك، و بما عاونت عليه أمير المؤمنين من إقامة الدين و السنّة، و إظهار الدعوة الثانية، و إيثار الأولى مع قمع المشركين،[٤] و كسر الأصنام، و قتل العتاة، وسائر آثارك الممثّلة للأمصار في المخلوع[٥]. و قابل، و في المسمّى:

---

[١]- في **بحار الأنوار** و نسخة : يتقرَّر.

[٢]- ليست في **بحارالأنوار**.

[٣]- **عيون أخبار الرضا** ٢: ١٥٤؛ **بحارالأنوار** ٤٩ : ١٥٧.

[٤]- في **بحارالأنوار** و نسخة: الشرك.

[٥]- المخلوع هنا هو الأمين.

بالأصفر المكنّي بأبي السرايا، و في المسمّى بالمهديّ محمد بن جعفر الطالبيّ و الترك الحوليّة،[١] و في طبرستان و ملوكها إلى بندار هرمز بن شروين، و في الديلم و ملكها(مهورس). و في كابل و ملكها هرموس[٢] ثمّ ملكها الأصفهيد،[٣] و في ابن البرم،[٤] و جبال بدار بنده و غرشستان، والغور و أصنافها ، و في خراسان خاقان و ملون صاحب جبل التبّت، وفي كيمان و التغرغر، و في أرمينيّة و الحجاز و صاحب السرير وصاحب الخزر، وفي المغرب وحروبه. وتفسير ذلك في ديوان السيرة.

وكان ما دعوناك إليه و هو معونة لك مائة ألف ألف درهم، و غلّة عشرة ألف ألف درهم جوهراً، سوى ما أقطعك أمير المؤمنين قبل ذلك، وقيمة مائة ألف ألف درهم جوهراً يسيراً عندنا[٥] ما أنت له مستحقّ، فقد تركت مثل ذلك حين بذله لك المخلوع، و آثرت الله و دينه.و إنّك شكرت أمير المؤمنين و وليّ عهده و آثرت توفير ذلك كلّه على المسلمين وجدت لهم به، و سألتنا أن نبلغك الخصلة التي لم تزل إليها تائقاً من الزهد والتخلّي، ليصحّ عند من شكّ في سعيك للآخرة دون الدنيا، و تركك الدنيا، و ما عن مثلك يستغنى في حال، و لا مثلك ردّ عن طلبه[٦]، ولو أخرجتنا طلبتك عن شطر النعيم علينا، فكيف بأمر رفعت فيه المؤونة وأوجبت به الحجّة على من كان يزعم أنّ دعاءك إلينا للدنيا لا

---

[١]- في **بحارالأنوار** : الخزلجية.

[٢]- في **بحارالأنوار**: المهوزين.

[٣]- في **بحارالأنوار**: الاصفهد.

[٤]- في **بحارالأنوار**: المبرم.

[٥]- في **بحارالأنوار**: عند ما أنت له.

[٦]- في **بحارالأنوار**: طلبته.

للآخرة. وقد أجبناك إلى ما سألت به، و جعلنا ذلك لـك مؤكّـداً بعهـد الله وميثاقه الذي لا تبديل له ولاتغيير، و فوّضنا الأمر في وقـت ذلـك إليـك، فما أقمت فعزيز مزاح العلّة مدفوع عنك الدخول فيما تكرهه من الأعمال كائناً ما كان، نمنعك ممّا نمنع منه أنفسنا في الحـالات كلّهـا، و إذا أردت التخلّي فمكرم مزاح البدن، وحقّ لبدنك بالراحة والكرامة.ثمّ نعطيـك ممّـا تتناوله ممّا بذلناه لك في هذا الكتاب.فتركته اليـوم، وجعلنـا للحسـن بـن سهل مثل ما جعلناه لك ،فنصف ما بذلناه مـن العطيّـة و أهـل ذلـك هـو لك.وبما بذل من نفسه في جهـاد العتـاة وفـتح العـراق مـرّتين، وتفريـق جموع الشيطان بيده، حتّى قوي الدين وخاض نيـران الحـروب، و وقانـا عذاب السموم بنفسه[١] وأهل بيته ومن ساس من أولياء الحقّ، وأشهدنا الله وملائكته وخيار خلقه وكلّ من أعطانا بيعته وصفقة يمينه في هذا اليـوم. و بعده على ما في هذا الكتاب، و جعلنا الله علينا كفـيلاً، و أوجبنـا علـى أنفسنا الوفاء لما اشترطنا من غيـر اسـتثناء بشـيء ينقضـه فـي سـرّ و لا علانية، و المؤمنون عند شروطهم، و العهد فرض مسؤول، و أولى الناس بالوفاء من طلب من الناس الوفاء، و كان موضعاً للقدرة. قال[٢] الله تعـالى: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**.[٣]

وكتب الحسن بن سهل توقيع المأمون فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أوجب أمير المؤمنين على نفسه جميع ما في هذا الكتاب، وأشـهد

١- في **بحارالأنوار**: وفاء وشكرا بنفسه، بدل و وقانا عذاب السموم بنفسه.

٢- في **بحارالأنوار**: فإن الله تبارك و تعالى يقول.

٣- النحل :٩١.

الله تبارك و تعالى و جعله عليه داعياً و كفيلاً. و كتب بخطّه في صفر سنة اثنتين ومأتين تشريفاً للحباء و توكيداً للشريطة.

توقيع الرضا عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قد ألزم عليّ بن موسى نفسه جميع ما في الكتاب على ما وكّد فيه من يومه و غده ما دام حيّاً، و جعل الله عليه راعياً و كفيلاً، و كفى بالله شهيدا. و كتب بخطّه في هذا الشهر من هذه السنة و الحمدلله ربّ العالمين و صلّى الله على محمّد و آله و سلّم و حسبنا الله و نعم الوكيل.[١]

بنو العبّاس كما وصفوا أنفسهم

لقد تباينت رؤية المؤرّخين في وصف و دراسه الدولة العبّاسيّة، كما أنّ الأحداث التي جرت في بطون التاريخ هي الأخرى تباينت عندها الأسباب و الدواعي في تفسيرها و تحليلها، و كما أنّ المؤرّخين و الدراسين لم يتّفقوا في رسم الصورة التي يمكن أن تقدّم لقارئ التاريخ عن كلّ حاكم أو عصر أو دور مرّت به هذه الدولة التي تضخّمت وامتدّت إلى تخوم أُوربا، فلذلك لا يطمئنّ الباحث و القارئ المحايد إلى رسم أيّ صورة أو معلم لهذه الدولة و لأعلامها، و مهما كانت ميول واتّجاهات الباحثين و المؤرّخين، إلا أنّ وثيقة تاريخيّة مهمّة، نقلها الشيخ محمد باقر المجلسي المتوفّى ١١١١هـ في بحار الأنوار، و السيّد ابن طاووس المتوفّى ٦٦٤هـ في كتاب الطرائف عن كتاب: «نديم الفريد» لابن مسكويه المؤرّخ، صوّرت لنا تاريخ بني العباس و حياتهم و أوضاعهم الخاصّة، على لسان واحد منهم هو الخليفة عبدالله المأمون

---

[١]- **عيون أخبار الرضا** ٢:١٥٤ ح ٢٣؛ **بحارالأنوار** ٤٩:١٥٧.

المتوفّى سنه ٢١٨هـ، و كانوا قد كاتبوا المأمون و لاموه على سياسته السلميّة تجاه البيت العلوي، و ما كان يقصده من تولية الرضا عليه السلام لخلافة الأمّة، و إن كان غير جادّ في هذه الولاية و العهد الذي أمضاه إلا أنّهم استاؤوا و نقموا و فعلوا ما فعلوا لعزله. و الظاهر أنّ هذه الوثيقة لها ما يؤيّدها من مصادر معتبرة تناقلها المؤرّخون.

و يقول صاحب كتاب: «الإمام عليّ عليه السلام في آراء الخلفاء» في الإشارة إلى هذه الوثيقة : أخرج الحافظ القندوزي و غيره من الحفّاظ والمؤرّخين، من السنّة و الشيعة، حديثاً ذكره ابن مسكويه صاحب التاريخ بحوادث الإسلام في كتاب سمّاه: «نديم الفريد» أو: «نديم الأحباب» يقول فيه : لمّا ولّى المأمون العباسي الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ولاية العهد بعد ما دعاه من المدينة إلى خراسان، و بايعه الإمام عليه السلام في ذلك بشرط أن لا يتدخّل في شؤون الحكومة من عزل أو نصب أحد و غيره من الأمور، و ضرب المأمون النقود باسم الرضا عليه السلام، احتجّ بنو العبّاس على المأمون و كتبوا إليه كتاباً شجبوا فعله و طلبوا منه الجواب، فكتب المأمون إليهم كتاباً شرح فيه مواقف الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام و مناقبه و فضائله، وأحقّيّته في الخلافة عن غيره، و دوره في ديمومة الدين، و دفاعه عن النبيّ صلى الله عليه وآله و ملكاته النفسيّة و خصائصه العائليّة.[1]

---

[1]- **الإمام عليّ عليه السلام في آراء الخلفاء**، للشيخ مهدي فقيه إيماني، ترجمة الشيخ يحيى كمالي البحراني، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة قم ص١٧٩. و ينظر كتاب: **ينابيع المودّة** للقندوزي ص٤٨٤.

صورة نصّ الكتاب

أمّا بعد، عرف المأمون كتابكم و تدبير أمركم، و مخض زبدتكم، وأشرف على قلوب صغيركم و كبيركم، و عرفكم مقبلين و مدبرين، و ما آل إليه كتابكم في مراوضة الباطل، و صرف وجوه الحقّ عن مواضعها، و نبذكم كتاب الله تعالى و الآثار. و كلّما جاءكم به الصادق محمّد صلى الله عليه وآله حتّى كأنّكم من الأمم السالفة التي هلكت بالخسفة و الغرق و الريح و الصيحة و الصواعق و الرجم ﴿**أفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أمْ عَلَى قُلُوبٍ أقْفَالُهَا**﴾[1] و الذي هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد، لو لا أن يقول قائل : إنّ المأمون ترك الجواب عجزاً لما أجبتكم من سوء أخلاقكم، و قلّة أخطاركم، و ركاكة عقولكم، و من سخافة ما تأوون إليه من آرائكم، فليستمع مستمع فليبلّغ شاهد غائباً.

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله على فترة من الرسل، وقريش في أنفسها و أموالها لا يرون أحداً يساميهم و لا يباريهم، فكان نبيّنا صلى الله عليه وآله أميناً من أوسطهم بيتا، و أقلّهم مالاً، و كان أوّل من آمنت به خديجة بنت خويلد فواسته بمالها، ثمّ آمن به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

---

[1]- محمّد : ٢٤.

ابن سبع سنين، و لم يشرك بالله طرفة عين، و لم يعبد وثناً، و لم يأكل رباً، و لم يشاكل الجاهليّة في جهالاتهم، و كانت عمومة رسول الله صلى الله عليه وآله إمّا مسلم مهين، أو كافر معاند إلا حمزة فإنّه لم يمتنع من الإسلام، و لا يمتنع الإسلام منه، فمضى لسبيله على بيّنة من ربّه.

و أمّا أبو طالب فإنّه كفّله و ربّاه، و لم يزل مدافعاً عنه و مانعاً منه، فلمّا قبض الله أبا طالب فهمّ القوم و أجمعوا عليه ليقتلوه فهاجر إلى القوم **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[1] فلم يقم مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من المهاجرين كقيام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّه آزره ووقاه بنفسه، و نام في مضجعه، ثمّ لم يزل بعد متمسّكاً بأطراف الثغور، و ينازل الأبطال، و لا ينكل عن قرن،[2] و لا يولّي عن جيش، منيع القلب، يؤمّر على الجميع و لا يؤمّر عليه أحد، أشدّ الناس و طأةً على المشركين، و أعظمهم جهاداً في الله، و أفقههم في دين الله، و أقرأهم لكتاب الله، و أعرفهم بالحلال و الحرام، و هو صاحب الولاية في حديث غدير خمّ، و صاحب قوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي» و صاحب يوم الطائف.[3]

و كان أحبّ الخلق إلى الله تعالى و إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و صاحب الباب فتح له و سدّ أبواب المسجد، و هو صاحب الراية يوم خيبر، و صاحب عمرو بن عبدوّد في المبارزة، و أخو رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى

---

[1]- الحشر : ٩.

[2]- القِرن : الكفء و النظير في الشجاعة و الحرب. **لسان العرب** (قرن).

[3]- روى الصادق عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ناجى عليّاً عليه السلام يوم الطائف فقال أصحابه : ناجيت عليّاً من بيننا و هو أحدثنا سنّاً؟! فقال صلى الله عليه وآله : ما أنا أُناجيه، بل الله يناجيه. **الاختصاص** للشيخ المفيد ص١٩٩.

بين المسلمين. و هو منيع جزيل و هو صاحب آيـة: ﴿**وَيُطْعِمُـونَ الطَّعَـامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾.[١] و هو زوج فاطمة سيّدة نساء العالمين و سيّدة نساء أهل الجنّة، و هو ختن خديجة عليها السلام ، و هو ابـن عـمّ رسـول الله صلى الله عليه وآله ربّاه و كفّله، و هو ابن أبي طالب عليه السلام في نصرته و جهاده، و هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم المباهلة، و هو الذي لم يكن أبو بكر وعمر ينفذان حكماً حتّى يسألانه عنه، فما رأى إنفاذه أنفذاه، و ما لم يره ردّاه. و هو دخل من بني هاشم في الشورى.[٢] و لعمري، لو قدر أصحابه علـى دفعه عنه عليه السلام، كما دفع العبّاس رضوان الله، و وجـدوا إلـى ذلـك سـبيلا لدفعوه. فأمّا تقديمكم العبّاس عليـه، فـإنّ الله تعـالى يقـول: ﴿ **أَجَعَلْـتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ**﴾.[٣]

و الله، لو كان ما في أميـر المـؤمنين مـن المناقـب و الفضـائل و الآي المفسّرة في القرآن خلّة واحدة في رجل واحـد مـن رجـالكم أو غيـره، لكان مستأهلاً متأهّلاً للخلافة مقدّماً على أصحاب رسول الله بتلك الخلّة، ثمّ لم تزل الأمور تتراقى به إلى أن ولي أمور المسلمين، فلم يعـن بأحـدٍ من بني هاشم إلا بعبد الله بن عبّاس تعظيماً لحقّه، و صلة لرحمه، و ثقـة

---

[١]- الإنسان : ٨

[٢]- لمّا طعن عمر بن الخطّاب جعل الخلافة بعده إلى شورى من ستّة أفراد من الصحابة أحدهم علي عليه السلام.

[٣]- التوبة :١٩. و السقاية : هي جمع الماء من آبار مكّة و حمله على الإبل في المـزاود و القـرب و سـكبه في حياض من أدم، توضع في فناء الكعبة، فيرده الحجيج و يشربون منه. و كان قصي قد حفر آبارا عـدّة لحلّ أزمة مياه الشرب التي كانت تشكو منها مكة، و كذلك فعل هاشم بن عبـد منـاف عنـدما آلـت إليـه السقاية والرفادة من بعده، و لم يزل هاشم يقوم بهذه الوظيفة حتى مات فقام بها من بعده ابنه عبدالمطلب الذي حفر بئر زمزم التي أضحت مشرب الحاج. التاريخ السياسي و العسـكري لدولـة المدينـة فـي عهـد الرسول صلى الله عليه وآله لعلي معطي ص٢٢. و انتقلت سقاية الحجيج إلى العبّاس بن عبد المطّلب من بعده فكانت له السقاية و زمزم. **إعلام الورى بأعلام الهدى** ص١٥١.

به، فكان من أمره الذي يغفر الله له، ثمّ نحن وهم يد واحدة كما زعمتم، حتّى قضى الله تعالى بالأمر إلينا فأخفناهم و ضيّقنا عليهم و قتلناهم أكثر من قتل بني اُميّة إيّاهم.و يحكم ! إنّ بني اُميّة إنّما قتلوا منهم من سلّ سيفاً، و إنّا معشر بني العبّاس قتلناهم جملاً، فلتسألنّ أعظم الهاشميّة بأيّ ذنب قتلت، و لتسألنّ نفوس اُلقيت في دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد و الكوفة أحياء، هيهات إنّه من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره.

و أمّا ما وصفتم في أمر المخلوع، و ما كان فيه من لبس، فلعمري ما لبّس عليه أحد، إذ هويتم عليه النكث، و زيّنتم له الغدر، و قلتم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيك ! و هو رجل مغرّب، و معك الأموال و الرجال نبعث إليه فيؤتى به، فكذبتم و دبّرتم و نسيتم قول الله تعالى: «ومن بغي عليه لينصرنه الله».[1]

و أمّا ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا عليه السلام، فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره، عالماً بأنّه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً و لا أظهر عفّة، و لا أورع ورعاً، و لا أزهد زهداً في الدنيا، و لا أطلق نفساً و لا أرضى في الخاصّة والعامّة، و لا أشدّ في ذات الله منه، و إنّ البيعة له لموافقة رضى الربّ عزّ وجلّ، ولقد جهدت، و ما أجد في الله لومة لائم، و لعمري أن لو كانت بيعتي بيعة محاباة، لكان العبّاس ابني و سائر ولدي أحبّ إلى قلبي، و أجلى في عيني، ولكن أردت أمراً، و أراد الله أمراً، فلم يسبق أمري أمر الله. و أمّا ما ذكرتم ممّا مسّكم من الجفاء في ولايتي، فلعمري ما كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم

---

[1]- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجّ آية ٦٠: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾.

عليه، وممايلتكم إيّاه. فلمّا قتلته و تفرّقتم عباديد؛ فطورا أتباعاً لابن أبي خالد، وطوراً أتباعاً لأعرابي، و طوراً أتباعاً لابن شكلة، ثمّ لكلّ من سلّ سيفاً عليّ، و لو لا أنّ شيمتي العفو، و طبيعتي التجاوز، ما تركت على وجهها منكم أحداً، فكلّكم حلال الدم محلّ بنفسه.

و أمّا ما سألتم من البيعة للعبّاس ابني ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** ﴾[1] ويلكم ! إنّ العبّاس غلام حدث السنّ و لم يؤنس رشده، و لم يمهل وحده، و لم تحكمه التجارب، تدبّره النساء، و تكفله الإماء، ثمّ لم يتفقّه في الدين، و لم يعرف حلالاً من حرام، إلا معرفة لاتأتي به رعيّة، و لا تقوم به حجّة، و لو كان مستأهلاً قد أحكمته التجارب، و تفقّه في الدين، و بلغ مبلغ أمير العدل في الزهد في الدنيا و صرف النفس عنها، ما كان له عندي في الخلافة إلا ما كان لرجل من عكّ وحمير،[2] فلا تكثروا في هذا المقال، فإنّ لساني لم يزل مخزوناً عن أُمور و أنباء، كراهيّة أن تخنث النفوس عندما تنكشف، علماً بأنّ الله بالغ أمره، و مظهر قضاه يوماً. فإذا أبيتم إلا كشف الغطاء و قشر العظاء، فالرشيد أخبرني عن آبائه، و عمّا وجد في كتاب الدولة و غيرها: أنّ السابع من ولد العبّاس لا تقوم لبني العبّاس بعده قائمة، و لا تزال النعمة متعلّقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودّعها، فإذا أودع فودّعاها، و إذا فقدتم شخصي فاطلبوا لأنفسكم معقلاً، و هيهات ما لكم إلا السيف يأتيكم الحسني الثائر البائر، فيحصدكم حصداً، أو السفياني المرغّم و القائم المهديّ

---

[1]- البقرة : ٦١.

[2]- عكّ : نسبة إلى عكّ بن عدنان أو عدثان، و حمير نسبة إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب، و هما بطنان من العرب في اليمن. لم يكن لهما حظّ كبير في الإسلام. ينظر **الأعلام** للزركلي ٢٤٣:٤ **مجمع البحرين** ٢٧٧:٣ (حمر).

يحقن دماءكم إلا بحقّها.

و أمّا ما كنت أردته من البيعة لعليّ بن موسى، بعد استحقاق منه لها في نفسه، و اختيار منّي له، فما كان ذلك منّي إلا أن أكون الحاقن لدمائكم و الذائد عنكم باستدامة المودّة بيننا و بينهم، و هي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب و مواساتهم في الفيء بيسير ما يصيبهم منه، و إن تزعموا أنّي أردت أن يؤول إليهم عاقبة و منفعة فإنّي في تدبيركم و النظر لكم و لعقبكم و أبنائكم من بعدكم، و أنتم ساهون لاهون، تائهون في غمرة تعمهون، لا تعلمون ما يراد بكم، و ما أظللتم عليه من النقمة، و ابتزاز النعمة، همّة أحدكم أن يمسي مركوباً، و يصبح مخموراً. تباهون بالمعاصي، و تبتهجون بها، و آلهتكم البرابط[١] مخنّثون مؤنّثون، لا يتفكّر متفكّر منكم في إصلاح معيشته، و لا استدامة نعمة، و لا اصطناع مكرمة، و لا كسب حسنة يمدّ بها عنقه يوم لا ينفع مال و لا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. أضعتم الصلاة، و اتّبعتم الشهوات، و أكببتم على اللذّات عن النغمات، فسوف تلقون غيّا.

وايم الله، لربّما أُفكّر في أمركم، فلا أجد أُمّة من الأُمم استحقّوا العذاب حتّى نزل بهم لخلّة من الخلال، إلا أُصيب تلك الخلّة بعينها فيكم، مع خلال كثيرة، لم أكن أظنّ أنّ إبليس اهتدى إليها، و لا أمر بالعمل عليها، و قد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن قوم صالح أنّه كان فيهم تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون، فأيّكم ليس معه تسعة وتسعون من المفسدين في الأرض قد اتّخذتموهم شعاراً و دثاراً، استخفافاً بالمعاد، و قلّة يقين بالحساب، و أيّكم له رأي يتّبع، أو رويّة تنفع، فشاهت الوجوه و عفّرت الخدود.

١- البَرْبط : ملهاة تشبه العود. أعجميّ ليس من ملاهي العرب. **لسان العرب** (بربط).

و أمّا ما ذكرتم من العترة كانت في أبي الحسن عليه السلام نوّر الله وجهه، فلعمري، أنّها عندي للنهضة و الاستقلال الذي أرجو به قطع الصراط و الأمن و النجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر، و لا أظنّ عملت عملاً هو عندي أفضل من ذلك، إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، و أين لي بذلك و أنّى لكم بتلك السعادة!

و أمّا قولكم : إنيّ سفّهت آراء آبائكم و أحلام أسلافكم، فكذلك قال مشركو قريش: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[١] ويلكم ! إنّ الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء فافقهوا، و ما أراكم تعقلون.

و أمّا تعييركم إياي بسياسة المجوس إيّاكم فما أذهبكم الأنفة من ذلك و لو ساستكم القردة و الخنازير ما أردتم إلا أمير المؤمنين. و لعمري لقد كانوا مجوسا فأسلموا كآبائنا و أُمّهاتنا في القديم، فهم المجوس الذين أسلموا و أنتم المسلمون الذين ارتدّوا. فمجوسيّ أسلم خير من مسلم ارتدّ، فهم يتناهون عن المنكر، و يأمرون بالمعروف، و يتقرّبون من الخير و يتباعدون من الشرّ، و يذبّون عن حرم المسلمين، يتباهجون بما نال الشرك و أهله من النكر، و يتباشرون بما نال الإسلام و أهله من الخير، منهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلا.

وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون[٢] في عقله و تدبيره، إمّا مغنّ أو ضارب دفّ أو زامر. و الله لو أنّ بني أُميّة الذين قتلتموهم بالأمس نشروا فقيل لهم: لا تأنفوا في معايب تنالونهم بها، لما زادوا على ما صيّرتموه لكم شعاراً و دثاراً، و صناعة و أخلاقا. ليس فيكم إلّا من إذا مسّه الشرّ جزع، و إذا مسّه الخير منع، و لا تأنفون و لا ترجعون إلا خشية، و كيف

---

[١]- الزخرف : ٢٣.

[٢]- يقال:أفن الرجل، إذا كان ناقص العقل فهو أفين و مأفون. **ترتيب جمهرة اللغة** ١:٧١ (أفن).

يأنف من يبيت مركوباً، و يصبح بإثمه معجباً، كأنّه قد اكتسب حمداً، غايته بطنه و فرجه، لا يبالي أين ينال شهوته بقتل ألف نبيّ مرسل، أو ملك مقرّب ! أحبّ الناس إليه من زيّن له معصية، أو أعانه في فاحشة، تنظّفه المخمورة، و تربّده المطمورة، فشتّت الأحوال، فإن ارتدعتم ممّا أنتم فيه من السيّئات و الفضائح و ما تهذرون به من عذاب ألسنتكم، وإلا فدونكم تعلموا[1] بالحديد و لا قوّة إلا بالله و عليه توكّلي و هو حسبي.[2]

١- في **بحار الأنوار**:تعلوا.

٢- **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف** ص٢٧٦؛ **بحار الأنوار** ٤٩:٢٠٨.

العبّاسيّون و التشيّع

ليس من الإنصاف تجريد العبّاسيّين من أحاسيس و رؤى صادقة أحيانا تخالجهم، أو قول حقّ ربّما ينسب إليهم، أو موقف فيه غرابة تصدر عنهم، فهم كبشر و ملوك كانوا في محنة مع زمنهم و ابتلوا بمواجهة مع حركات التمرّد و الانشقاق و التآمر عليهم و التي كانت تهدّد نظام الدولة و أمنها، فعاشوا بين صراع الملك و مسؤوليّاته و شهوته أو مغرياته، و بين و مضات الحقّ التي تومض في ضمائرهم و طوايا أنفسهم، فهم بين هذا و ذاك تمكّن المأمون، و هو واحد منهم، من رسم صورة تقريبيّة عنهم في الوثيقة المذكورة في الفصل الآنف الذكر، و هذه الوثيقة لا تمثّل صورة بني العبّاس الذين كان يزيد عددهم، في سنة ٢٠١هـ ، عن ثلاثة و ثلاثين ألفا.[١] و إنّما تمثّل الوثيقة التيّار الماجن والجاحد للحقّ منهم. و بالجملة يستطيع الباحث أن يكتشف في الوثيقة المذكورة الوضع المتردّي الذي كان عليه صبيان بني العبّاس و السفهاء منهم، و الذين توزّعتهم الشهوات و تقسّمتهم الشبهات، فهم بين تافه حقير لا يملك إربه، و بين معاند جاحد لا يريد أن يرعوي أو يرتدع، فلا

---

[١]- **مآثر الإنافة في معالم الخلافة** للقلقشندي ١: ٢١٢.

نعمة الله يشكروها، و لا عاقبة يرجوها، خدعتهم الدنيا الغدّارة و استبدّت بهم نزواتها فأنستهم أرحامهم و بني عمومتهم، و استعبدهم الشيطان بالأباطيل و الأغاني و الأماني، و زيّن لهم الطغيان و العدوان، على أنفسهم و أرحامهم قبل عدوّهم، و إن كانت الوثيقة تصوّرهم تصويراً مجملاً.

كما أنّ الباحث يجد تشيّع المأمون الخارجي الذي يلامس جوارحه الخارجيّة من غير أن ينفذ في جوارحه الداخليّة. و قد ينتهي تشيّع المأمون و يقف عند حدود دولته و سلطته، فإذا تعارض الفكر العلويّ مع إرادة الحاكم العبّاسي هنا يغيب هذا الفكر و يذهب بعيداً عنهم، وكذا كانوا مع أيّ شيء يتعارض و يتصادم مع بلاطهم فهنا يضربوه عرض الحائط. و يؤكّد المأمون تشيّعه للخاصّة و العامّة فيروى أنّه قال لقومه: أتدرون من علّمني التشيّع؟ فقال القوم : لا و الله ما نعلم ذلك. قال: علّمنيه الرشيد، قيل له : و كيف ذلك و الرشيد يقتل أهل البيت!

قال: كان الرشيد يقتلهم على الملك، لأنّ الملك عقيم، ثمّ قال: إنّه دخل موسى بن جعفر عليه السلام على الرشيد يوماً فقام إليه و استقبله و أجلسه في الصدر و قعد بين يديه، و جرى بينهما أشياء ثمّ قال موسى بن جعفر عليه السلام لأبي : يا أمير المؤمنين، إنّ الله عزّ وجلّ قد فرض على الولاة عهده؛ أن ينعشوا فقراء هذه الأمّة، و يقضوا عن الغارمين، و يؤدّوا عن المثقل، و يكسوا العاري، و يحسنوا إلى العاني،[١] و أنت أولى من يفعل ذلك. فقال الرشيد: أفعل يا أبا الحسن. ثمّ قام فقام الرشيد لقيامه، و قبّل عينيه و وجهه ثمّ أقبل عليّ و على الأمين و المؤتمن فقال : يا عبدالله، و يا محمّد، و يا إبراهيم، امشوا بين يدي ابن عمّكم و سيّدكم، خذوا

١- العاني : الأسير : و العاني : العبد، و العاني السائل. **لسان العرب** (عنا).

بركابه و سوّوا عليه ثيابه و شيّعوه إلى منزله، فأقبل إليّ أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام سراً بيني و بينه فبشّرني بالخلافة، و قال لي : إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي، ثمّ انصرفنا و كنت أجرأ ولد أبي عليه.

فلمّا خلا المجلس قلت : يا أمير المؤمنين، و من هذا الرجل الذي أعظمته و أجللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته و أقعدته في صدر المجلس و جلست دونه، ثمّ أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال الرشيد : هذا إمام الناس و حجّة الله على خلقه، و خليفته على عباده. فقلت : يا أمير المؤمنين، أو ليست هذه الصفات كلّها لك و فيك؟ فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة و القهر، و موسى بن جعفر إمام حقّ، و الله، يا بني إنّه لأحقّ بمقام رسول الله منّي و من الخلق جميعاً، و والله، لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، لأن الملك عقيم.

فلمّا أراد الرحيل من المدينة إلى مكّة أمر بصرّة سوداء فيها مائتا دينار ثمّ أقبل على الفضل فقال له : اذهب إلى موسى بن جعفر و قل له : يقول لك أمير المؤمنين : نحن في ضيقة و سيأتيك برّنا بعد هذا الوقت. فقمت في وجهه فقلت : يا أمير المؤمنين، تعطي أبناء المهاجرين و الأنصار و سائر قريش و بني هاشم و من لا تعرف حسبه و نسبه : خمسة آلاف دينار إلى ما دونها و تعطي موسى بن جعفر و قد عظّمته و أجللته مائتي دينار، و أخسّ عطية أعطيتها أحداً من الناس؟!

فقال الرشيد : اسكت لا أمّ لك، فإنّي لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته و مواليه، و فقر هذا و أهل بيته أسلم لي و لكم من بسط أيديهم و إغنائهم.[1]

---

[1]- الاحتجاج للطبرسي ص٣٩٢.

و ينسب أيضا إلى الرشيد أنه قد جرى ذكر آل أبي طالب عنده فقال : يتوهّم عليّ العوام أنّي أبغض عليّاً عليه السلام و ولده، والله، ما ذلك كما يظنونه، و أنّ الله يعلم شدّة حبّي لعليّ عليه السلام و الحسن و الحسين عليهما السلام و معرفتي بفضلهم.[١] و في خبر آخر أنّه قال في عليّ عليه السلام : و والله ما أحبّ أحداً حبّي له، ولكن هؤلاء ــ أي أولاد عليّ عليه السلام ــ أشدّ الناس بغضاً لنا وطعناً علينا و سعياً في فساد ملكنا بعد أخذنا بثأرهم، و مساهمتنا إيّاهم ما حويناه، حتى أنّهم لأميل إلى بني أُميّة منهم إلينا، فأمّا ولده لصلبه فهم سادة الأهل و السابقون إلى الفضل.[٢]

و يروي السيّد عبد الكريم بن طاووس بسنده عن محمّد بن زكريّا قال: حدّثنا عبدالله بن محمد بن عائشة قال : حدّثني عبدالله بن حازم قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد فصرنا إلى ناحية الغريّين و الثويّة فرأينا ظباءً فأرسلنا عليها الصقورة و الكلاب فحاولتها ساعة، ثمّ لجأت الظباء إلى أكمة فسقطت عليها فسقطت الصقورة ناحية و رجعت الكلاب، فتعجّب الرشيد من ذلك، ثمّ إنّ الظباء هبطت من الأكمة فسقطت الصقورة و الكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة فتراجعت عنها الكلاب و الصقورة، ففعلت ذلك ثلاثاً فقال هارون : اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال هارون : ما هذه الأكمة؟ قال : إن جعلت لي الأمان أخبرتك، قال : لك عهد الله و ميثاقه ألّا أهيجك و لا أُوذيك، قال : حدّثني أبي عن أبيه أنّهم كانوا يقولون : هذه الأكمة قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام، جعله الله حرماً لا يأوي إليه أحد إلا أمن، فنزل هارون و دعا بماء فتوضّأ فصلّى عند الأكمة و تمرّغ عليها فجعل يبكي

---

[١]- **بحار الأنوار** ٣٧: ٩٤ و ج ٤٩: ٣٠١.

[٢]- **تاريخ الخلفاء** للسيوطي ص ٢٣٥.

ثمّ انصرفنا، فقال عبدالله بن محمّد بن عائشة : فكأنّ قلبي لم يقبل ذلك، فلمّا كان بعد ذلك حججت إلى مكّة فرأيت فيها ياسر الجمّال جمّال – الرشيد – و كان يجلس معنا إذا طفنا، فجرى الحديث إلى أن قال: قال لي الرشيد ليلة من الليالي، و قد قدمنا من مكّة فنزل الكوفة فقال : يا ياسر، قل لعيسى بن جعفر فليركب فركبا جميعاً و ركبت معهما، حتّى إذا صرنا إلى الغريّين، فأمّا عيسى فطرح نفسه فنام، و أمّا الرشيد فجاء إلى أكمة فصلّى عندها، فلمّا صلّى ركعتين دعا و بكى و تمرّغ على الأكمة، ثمّ جعل يقول : يا بن عمّ، أنا – و الله – أعرف فضلك و سابقتك، و بك ــ و الله ــ جلست مجلسي الذي أنا به، و أنت أنت، ولكن ولدك يؤذونني و يخرجون عليّ. ثمّ يقوم فيصلّي و يعيد الكلام و يدعو ويبكي، حتّى إذا كان وقت السحر قال : يا ياسر، أقم عيسى، فأقمته فقال: يا عيسى، قم فصلّ عند قبر ابن عمّك، قال له : أيّ عمومتي هذا؟ قال: هذا قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فتوضّأ و قام يصلّي، فلم يزالا كذلك حتّى الفجر، فقلت : يا أمير المؤمنين، أدركك الصبح فركبا و رجعا إلى الكوفة.

قال ابن طاووس : و ذكر صفيّ الدين محمّد بن معد رحمه الله نحو هذا المتن في رواية رآها في بعض الكتب الحديثية قديمة و أسنده بما صورته: قال محمّد بن سهل : قال حدّثنا عبيدالله بن محمّد بن عائشة قال : حدّثني عبدالله بن حازم بن خزيمة قال : خرجنا مع الرشيد من الكوفة نتصيّد فصرنا إلى ناحية الغريّين و الثويّة[١] و ذكر نحو المتن، فلمّا وصل إلى آخره زاد فيه بعد قوله : و رجعنا إلى الكوفة، ثمّ إنّ أمير

---

[١]- الثويّة، بضمّ الثاء و فتح الواو و تشديد الياء و يقال: بفتح الثاء و كسر الواو : موضع بالكوفة. قيل: كانت سجناً للنعمان بن المنذر كان يحبس به من أراد قتله. **مراصد الاطّلاع** ١: ٣٠٢.

المؤمنين خرج إلى الرقّة و أنا معه فقال لي : يا ياسر، تذكر ليلة الغريّين؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين، قال : أتدري قبر من ذاك؟ قلت : لا، قال : قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقلت : يا أمير المؤمنين، تفعل هذا بقبره و تحبس أولاده؟! فقال : ويلك، إنّهم يؤذونني و يخرجونني إلى ما أفعل بهم، انظر من في الحبس منهم، فأحصينا من في الحبس ببغداد و الرقّة فكانوا مقدار خمسين رجلاً، فقال : ادفع إلى كلّ رجل ألف درهم و ثلاثة أثواب و أطلق جميع من في الحبس منهم . قال ياسر : ففعلت ذلك فمالي عند الله حسنة أكثر منها.

و في آخر الخبر: أنّ الرشيد أمر أن يبنى عليه - أي القبر- قبّة فبنيت من طين أحمر و طرح على رأسها حبرة[1] خضراء، و هي في الخزانة إلى اليوم.[2]

فالذي يبدو لنا من هذا الخبر و غيره أنّ الرشيد، و من وافقه من بني العبّاس، في هذه المواقف كان حسن الاعتقاد، ولكنّه كان سيء السيرة، يعتقد و يؤمن بقلبه، ولكنّه يقتل و يسجن بيده، يعيش في دوّامة من الأحاسيس المضطربة، فمرّة تصفو نفسه و تشرق بومضة خير علويّة، ومرّة تتّقد بنيران الغضب الشيطانيّة الشرّيرة التي تعصف به و تجعله يستبدّ و يتجبّر بملكه و سلطانه الزائل الذي أسكره. و على العموم يمكن القول: بأنّ الرشيد يعتقد بالأئمّة المعصومين عليهم السلام و بمنزلتهم و كلامهم و يصدّق بما لديهم من العلوم حتّى أنّه اعتبر ما قال موسى بن جعفر عليه السلام في ولديه الأمين و المأمون أمراً مفروغاً منه، لأنّه كان يرى بأنّ الأئمّة المعصومين ما ينطقون باطلاً و لا يجري إلا الصدق على ألسنتهم، و

---

[1]- الحبرة بكسر الحاء أو فتحها : ضرب من برود اليمن منمّر. **لسان العرب** (حبر).

[2]- **فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ** عليه السلام ص١١٩.

يظهر هذا من حديثه مع الكسائي الذي كان يؤدّب الأمين و المأمون عند ما قال له : كأنّك بهما و قد حمّ القضاء، و نزلت مقادير السماء، و بلغ الكتاب أجله، فقد تشتّت كلمتهما، و اختلف أمرهما، و ظهر تعاديهما، ثمّ لم يبرح ذلك بهما حتّى تسفك الدماء و تقتل القتلى، و تهتك ستور النساء، و يتمنّى الكثير من الأحياء أنّهم في عداد الموتى، قلت : أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لأمر رؤية في أصل مولدهما، أو لأثر وقع لأمير المؤمنين في مولدهما؟ فقال الرشيد : لا والله إلا بأثر واجب حملته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء. فكان المأمون يقول : قد كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمّد.[1]

و نحوه روي عن الأصمعي قال : دخلت على الرشيد و كنت غبت عنه حولين بالبصرة فأومأ إليّ بالجلوس قريباً منه، فجلست قليلاً ثمّ نهضت فأومأ إليّ أن أجلس فجلست حتّى خفّ الناس ثمّ قال لي : يا أصمعي، ألا تحبّ أن ترى محمداً و عبدالله؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين، إنّي لأحبّ ذلك، و ما أردت القيام إلا إليهما لأسلّم عليهما، قال : تكفى. ثمّ قال : عليّ بمحمد و عبدالله فانطلق الرسول و قال : أجيبا أمير المؤمنين، فأقبلا كأنّهما قمرا اُفق، قد قاربا خطاهما، و ضربا ببصرهما الأرض حتّى وقفا على أبيهما فسلّما عليه بالخلافة، و أومأ إليهما فدنيا منه، فأجلس محمّداً عن يمينه و عبدالله عن شماله، ثمّ أمرني بمُطارحتهما فكنت لا ألقي عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا. فقال : كيف ترى أدبهما؟ قلت : يا أمير المؤمنين، ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما، فأطال الله بقاءهما، و رزق الأمّة من

---

[1]- محمّد جاسم الحديثي: **وصايا الخلفاء و الأمراء السياسيّة و الإداريّة في العصر العبّاسي الأوّل**، منشوات المجمع العلمي بغداد ص١٧٢.

رأفتهما و معطفتهما. فضمّهما إلى صدره و سبقته عبرته حتّى تحدّرت دموعه ثمّ أذن لهما، حتّى إذا نهضا و خرجا قال : كيف بكم إذا ظهر تعاديهما و بدا تباغضهما، و وقع بأسهما بينهما حتّى تسفك الدماء، و يودّ كثير من الأحياء أنّهم كانوا موتى؟ فقلت : يا أمير المؤمنين، هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟ قال: بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما. فكان المأمون يقول في خلافته : قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر فلذلك قال ما قال.[١]

و إضافة إلى ما كان يظهره المأمون من تفضيل عليّ عليه السلام و تقديمه في كلّ الأُمور و والذبّ عنه، و الدفاع عن مقولات الشيعة فإنّه كان يحرص على حضور جنائز العلويّين، مثل: يحيى بن الحسين بن زيد الذي صلّى عليه بنفسه، و رأى الناس عليه من الحزن و الكآبة ما تعجّبوا منه، على حين أرسل أخاه صالحاً لينوب عنه في جنازة أحد العبّاسيّين الأقرباء، و قد مات بعد يحيى بقليل، فلمّا عزّى صالح أُمّ المتوفّى، و هي زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس، ابنة عمّ الخليفة المنصور، و كانت لها عند العبّاسيّين هيبة و منزلة عظيمة، و اعتذر عن تخلّفه عن الصلاة عليه، ظهر غضبها و قالت لحفيدها : تقدّم فصلّ على أبيك، و تمثّلت بقول الشاعر :

سبكناه و نحسبه لجينا   فأبدى الكير عن خبث الحديد

ثمّ قالت لصالح : قل له : يا بن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسن ابن زيد لوضعت ذيلك على فيك و عدوت خلف جنازته.[٢]

١- **الأخبار الطوال** للدينوري ص٣٨٨.

٢- محمّد بيومي مهران: **الإمامة وأ هل البيت** ٣: ١١٣.

و لم يكن المأمون وحده أو الرشيد و غيره من قبله يرون أفضليّة لعليّ عليه السلام و ينتحلون بعض الرؤى و الأفكار التي يقولها الشيعة، بل هناك من الاتّجاهات و التيّارات المحدودة بينهم و بين أتباعهم أبصرت بعض الحقيقه، فلم تخلو قصور بني العبّاس و لا بلاطاتهم من متشيّع و مستبصر يرى رأي العلويّين في أنّ الإمامة و الوصيّة كانت لعليّ عليه السلام و كذلك للحسن و الحسين عليه السلام و لأولاده المعصومين من بعده، و كانوا يخفون ذلك إلا أنهم قد يبوحون ذلك في أوضاع و أسباب لا يسع أن نفصّل فيها. فممّا يُروى من هذه المواقف: أنّ القاسم بن مجاشع التميمي المروزي لما حضرته الوفاة أوصى إلى المهديّ العبّاسي : فكتب ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ**﴾[1] الآية. ثمّ كتب : و القاسم يشهد بذلك و يشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله، و أنّ عليّ بن أبي طالب وصيّ رسول الله و وارث الإمامة من بعده. فعرضت الوصيّة على المهديّ بعد موته، فلمّا بلغ إلى هذا الموضع رمى بها و لم ينظر فيها[2] ولكنّه كان في قرار نفسه يعتقد بهذا إلا أنّه كان يكابر و يتجبّر.

و يحكى: أنّ صاحب عمورية - من ملوك الروم - كانت عنده شريفة من ولد فاطمة عليها السلام مأسورة في خلافة المعتصم بن الرشيد فعذّبها فصاحت الشريفة: وا معتصماه! فقال لها الملك : لا يأتي لخلاصك إلا على أبلق، فبلغ ذلك المعتصم فنادى في عسكره بركوب الخيل البلق ، وخرج وفي مقدّمة عسكره أربعة آلاف أبلق و أتى عمورية و فتحها وخلّص الشريفة و قال : اشهدي لي عند جدّك أنّي أتيت لخلاصك، وفي

---

[1]- آل عمران : ١٨.

[2]- **الكامل في التاريخ** ٥: ٢٦١.

مقدّمة عسكري أربعة آلاف أبلق.[١] فنجد هنا الخليفة العبّاسي يحترم هذه المرأة، و يأنف لهذه العلويّة النسب، و يقوم بقيادة جيش استجابة لصرختها، و مهما كان الدافع الذي دفعه فهو له مسجّل كموقف رائع وعظيم من خليفة عبّاسي.

و ممّن كان يعرف بالتشيّع و الهداية عليّ بن يقطين الذي كان وزيراً لهارون الرشيد، إلا أنّه استأذن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في ترك العمل للسلطان العبّاسي فلم يأذن له الإمام عليه السلام و قال له : عسى أن يجبر الله بك كسراً، و يكسر بك نائرة المخالفين، و أمره بالتقيّة. و قال له عليه السلام أيضا: كفّارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم. فكان لا يأتيه وليّ من أولياء الشيعة إلا أكرمه، و ضمّن له الإمام عليه السلام ثلاث خصال: أن لا يصيبه حرّ الحديد بقتل، و لا فاقة، و لا سجن حبس.[٢] فمن هنا يبدو أنّ التشيّع كان قويّاً و ساحراً فلا يمكن لأيّ جهة أو شخص أن تقف بوجه الموجات العارمة و العاتية من موجات التشيّع التي تتولّد و تنبثق في بحار الإيمان الصادق الذي يقذف به الله في قلوب من يشاء من عباده، لأنّ التشيّع هو الإسلام. و بلغ من قوّة التشيّع و امتداده الواسع أن دخل إلى بيوت الأمراء و قصور الخلفاء، و المأمون العبّاسي الذي شهد هذا الموج والدفق العارم لهذا التيّار هو الذي دفعه إلى كشف هذه الحقيقة فقال : إنّي تعلّمت التشيّع من الرشيد.[٣]

و قد بشّر الكاظم عليه السلام المأمون العبّاسي باعتلائه كرسيّ الحكم

١- **مآثر الإنافة في معالم الخلافة** للقلقشندي ٢: ٢٢٦.

٢- ينظر **بحار الأنوار** ٤٨ : ١٣٦ و ١٠٨ و ج ٧٥: ٣٥٠.

٣- **بحار الأنوار** ٤٨: ١٢٩؛ **عيون أخبار الرضا** ١: ٨٨ ح ١١.

فأوصاه بذرّيته قائلاً له : إذا ملكت فأحسن إلى ولدي.[١] إلا أنّه لـم يعمـل بهذه الوصيّة فنسيها و ضرب الزمان على أُذنه و لم يفق من غفلته، ولكنّه كان يذهب إلى تقطيع الإيمـان و الاعتقـاد الـديني، و خصوصـاً بـبعض المعتقدات الشيعيّة، و يرى العمل بالفقه الإمامي في بعض الأحكام، فهـو انتقائيّ في اعتقاده و عمله، أو مقلّد تجزيئي، فقد ذهب إلى القول بخلـق القرآن، و هذا القول و الاعتقاد لربّما يقترب مـن الاعتقـاد الشـيعي قلـيلاً والـذي يـرى بـأنّ القـرآن حـادث غيـر مخلـوق، و كمـا يـروى عـن الصادق عليه السلام قوله : كلام الله محدث غير مخلـوق، و غيـر أزلـيّ، مـن الله تعالى ذكره، و تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، كـان الله عـزّ وجـلّ و لا شـيء غير الله معروف و لا مجهول، كان الله عزّ وجـلّ و لا مـتكلّم و لا مريـد، ولا متحرّك و لا فاعل، فجميع هذه الصفات محدثة غيـر حـدوث الفعـل منه، و القرآن كلام غير مخلوق، فيه خبر من كان قبلكم، و خبر ما يكـون بعدكم، أُنزل من عند الله على محمّد صلى الله عليه وآله.[٢]

و كان المأمون قد كتب إلى عمّاله لامتحان القضـاة و المحـدّثين فـي سنة ثمان و عشرة و مائتين. و كـان أوّل كتـاب كتبـه إلـى اسـحاق بـن إبراهيم جاء فيه: فاجمع من بحضرتك من القضاة، و اقـرأ علـيهم كتـاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحانهم فيمـا يقولـون و تكشـيفهم عمّـا يعتقدون في خلق الله القرآن و إحداثه.[٣]

فهذا الاعتقاد الذي تبنّاه المأمون نصفه موجود لدى الشيعة، و كما في حديث الصادق عليه السلام، إلّا أنّ النصف الآخر من الاعتقـاد يعـود إلـى جهـة

١- **بحار الأنوار** ٤٨:١٣١؛ **عيون أخبار الرضا** ١:٩١.
٢- **بحار الأنوار** ٨٩:١١٨ باب أنّ القرآن مخلوق.
٣- **تاريخ الطبري** ٨:٦٣٣.

اخرى تلقّاها المأمون من روافد و نوافذ فتحها على نفسه من رأي أو مدرسة أو أُستاذ أو فلسفة شاعت في عصره. ولكن في أُخريات حكمه و عمره صدق مع نفسه و مع ربّه حين أوصى بأن يكبّر على جنازته خمس تكبيرات[١] اعتقاداً منه بصواب الفقه الشيعي وكان أهل السنّة و الجماعة أسقطوا التكبيرة الخامسة[٢] في الصلاة على الميّت. و كما كان يفعل سائر الخلفاء. و الأصل في هذا التكليف هي خمس تكبيرات مأخوذة من فرض الصلوات الخمس، لكلّ فريضة تكبيرة واحدة،[٣] فأبصر المأمون هذه الحقيقة و أوصى بها. و مع كلّ هذا، فإنّ المأمون كان يفهم اللمحة والإشارة، فالمأمون عالم يدرك خفايا الأمور و يستطيع قراءة ماوراء السطور، و يفهم من حديثه مع إبراهيم بن المهدي العبّاسي الذي حدثّه قائلاً: رأيت عليّا عليه السلام في النوم فمشيت معه حتّى جئنا قنطرة، فذهب يتقدّمني لعبورها فأمسكته و قلت له : إنّما أنت رجل تدّعي هذا الأمر بامرأة و نحن أحقّ به منك ! فما رأيته بليغا في الجواب، قال : و أيّ شيء قال لك؟ قال: مازادني على أن قال : سلاما سلاما، فقال المأمون: قد - والله - أجابك أبلغ جواب، قال : كيف؟ قال : عرّفك أنّك جاهل لاتجاب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[٤] و لعلّ المأمون فهم هذه الإشارات لأنّه كان حافظاً للقرآن الكريم كما يروى.[٥]

لماذا قتلوا الرضا عليه السلام

١- ينظر البداية و النهاية لابن كثير الدمشقي ١٠:٣٠٧.

٢- المغني لابن قدامة ٢:٣٦٦ _ ط دار الفكر.

٣- المقنعة للشيخ المفيد ص٢٢٧ _ ط جماعة المدرّسين في قم.

٤- الفرقان :٦٣، بحار الأنوار ٣٩:٨٦، المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٧٠.

٥- ينظر **تاريخ الخلفاء** للسيوطي بتحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ص٣١٥.

كان الرضا عليه السلام يكثر وعظ المأمون إذا خلا به و يخوّفه بالله و يقبّح ما يرتكبه من خلاف، فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه و يبطن كراهته و استثقاله. و دخل الرضا عليه السلام يوما فرآه يتوضّأ للصلاة و الغلام يصبّ على يده الماء فقال عليه السلام : لا تشرك يا أمير المؤمنين بعبادة ربّك أحداً، فصرف المأمون الغلام و تولّى تمام وضوئه بنفسه، و زاد ذلك في غيظه و وجده.

و كان الرضا عليه السلام يزري على الفضل و الحسن ابني سهل عند المأمون إذا ذكرهما و يصف له مساوئهما و ينهاه عن الإصغاء لهما.[1]

فيصل الباحث من هذا الخبر و غيره أنّ جهاز الدولة المتمثّل بالوزير و المستشار و الحاكم نفسه، و هو المأمون، لم يكونوا مستعدّين لقبول الحكم الديني السماوي الذي مثّله الإمام الرضا عليه السلام بصفته الخليفة الديني و المعيّن من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله لخلافة الأمّة، و المأمون يرى نفسه بقوّته و جبروته و سلطانه كأنّ كلّ شيء تحت سيطرته بما في ذلك خليفة الله، و من هنا فالتصادم بين الإمام المعصوم و سلاطين الدنيا لا بدّ منه، و لم يكن الإمام راغباً في هذا، و إنّما ماهيّة العصمة و الطهارة التي نشأبها الرضا عليه السلام لا تنسجم بعمومها مع هؤلاء السلاطين الذين جعلوا الحكم و السلطة غاية و منتهى لآمالهم، و كأنّها - أي السلطة - الجنّة الموعودة التي يسعى لها كلّ إنسان مسلم و غير مسلم، في حين أنّ تنشأة الرضا عليه السلام و موقعه في دائرة العصمة لا تمكّنه تمكّنا قهريّاً من أن ينخدع و ينجذب لمظاهر الملوكّية و الذاتية المفرطة التي تتعالى على الناس و كأنّهم في ملكويّتهم و حكومتهم خلقوا من طينة أفضل من بقيّة البشر، في حين أنّ الأئمة عليهم السلام و كما كان جدّهم لا يرى أفضلية للأسود على الأبيض، و لا لعربيّ على أعجميّ، و لا السيّد و عبده، و كان

---

[1]- **الإرشاد** للشيخ المفيد ٢: ٢٦٠.

الرضا عليه السلام تجسيداً للعدل و المساواة الإلهيّة بين الناس، فالسلطة والحكومة عنده وسيلة إلى مبادئ و قيم و مثل، أمّا السلطة و الحكومة لذا تها فليست غاية وهدفا له عليه السلام.

و إنّما المهمّ و الغاية عند الرضا عليه السلام الرسالة و المبادئ التي يحملها من أجداده عليهم السلام، فيرى القدرة و القوّة و السلطة و الحكومة وسيلة و أداة لإيصال هذه الرسالة و تطبيقها، أو على الأقلّ الإعلان عن هذه الرسالة وإبلاغها. لقد كان عليه السلام مثقلاً بالمبادئ و القيم، فلا يستطيع التخلّي عنها، أو وضعها جانباً فينغمس في شهوات السلطة و الحكم فينسجم مع رغبات المأمون و مع وزرائه و قادته، فهم يمارسون دور الحاكم المستبدّ الذي أغرته الحكومة و السلطة السياسيّة المجرّدة من المبادئ و الأعراف السماويّة، و هو عليه السلام يريد أن يقيّد السلطة بإطار الدين و الأخلاق والمبادئ، فلا تعني هذه الدنيا لديه شيئاً إن لم ينل المظلوم حقّه و يسعد بها أبناؤها، أليس جدّ المأمون عبدالله بن العبّاس حين دخل على عليّ عليه السلام جدّ الرضا عليه السلام سأله عليّ عليه السلام عن قيمة نعله الذي كان يخصفه، فقال له ابن عباس: لا قيمة لها، فقال عليّ عليه السلام: و الله، لهي أحبّ إليّ من إمرتكم، إلا أن أُقيم حقّاً، أو أدفع باطلا.[١] فورث الرضا عليه السلام هذا النفس والفكر العظيم و الحسّ الإنساني، فهو يرى نفسه حاكماً إلهيّا و مأموراً سماويّاً لكي يحقّق العدل الإلهي، و يمسح دموع المعذّبين و الفقراء والمظلومين في الأرض.

و قد قال الرضا عليه السلام لواحد من أصحابه: «لو آل الامر إلى ما تقول، وأنت منّي كما أنت، ما كانت نفقتك إلّا في كمّك و كنت كواحد من

---

[١]- **نهج البلاغة** ص٧٦ خطبة رقم ٣٣، و كأنّه عليه السلام كان يلمّح من وراء الغيب إلى إمارة أولاده في الأزمنة اللاحقة.

الناس»[١] فهكذا يفهم الرضا عليه السلام الحكم و السلطة، فهي خدمة و عدالة ورحمة للرعيّة، و ليست وسيلة للثراء و إشباع المنافع الخاصّة و رغبات الأصحاب و الأحبّة. و قد مارس الرضا عليه السلام في حياته القصيرة التي أمضاها كوليّ عهد للخليفة العبّاسي دور الحاكم العادل الناصح مستهدياً بسيرة جدّه عليّ عليه السلام الذي ضاقت نفوسهم من عدله و قسطه، فانبروا لتنظيم المؤامرات و الدسائس لقتله، و تنحيته عن مقامه الذي وضعه الله فيه، فعليّ هذا كعليّ ذاك لم تكن تملأ نفسه الرئاسة أو ملاذ طعام أو شراب أو فراش وثير. و الكلّ لديه سواء لا فرق بينهم.

فلم تكن لديه أحاسيس طبقيّة أو علويّة أو مشاعر تراتبية، فالجميع لديه متساوون لا يفرق بين أبناء آدم، و من هنا روى الصدوق عنه أنّه عليه السلام كان إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً و لا كبيراً حتّى السائس و الحجّام، إلا أقعده على المائدة.[٢]

و هذا من أكثر أسباب العداوة التي اشتعلت في قلب المأمون وحاشيته من كبار رجال الدولة، بما في ذلك ابني سهل، فهم يحكمون بصفتهم سادة و كبراء، و كأنّ هيبة الملك و السلطان لا تتحقّق إلا بالترفّع و وضع الدرجات و السلالم الاجتماعيّة و الطبقيّة داخل قصورهم و خارجها، في حين أنّ هذا لايعني لديه عليه السلام شيئاً بل يملأه غيظاً و حنقاً، أن يرى الناس يتعالى بعضهم على بعض. و هم - سلاطين الدنيا - فيكرهون تواضعه عليه السلام و حبّه للفقراء و الضعفاء، فتلاقت إراداتهم الشرّيرة مع ما كان في دواخله من أحزان هذه الدنيا الظالمة التي أراد أن يفارقها و يلتحق بركب الشهداءو الصالحين، و زادته آلاماً ولايته التي

---

[١]- قال المجلسي : و هذا كناية عن قلّة نفقته بحيث يقدر أن يحملها معه في كمّه. **بحار الأنوار** ٤٩:١٧١.

[٢]- **عيون أخبار الرضا** ٢:١٥٩ ح ٢٤، **بحار الأنوار** ٤٩:١٦٤ و ج ٦٦:٣٥.

فرضها عليه المأمون.

و كانت معاناة الرضا عليه السلام و ما يقاسيه من ولايته التي أُجبر عليها تسحق قلبه عليه السلام و تجعله يئنّ و يتوجّع و كأنّه يسير في جادّة الموت و الهلاك، و يروي الشيخ الصدوق عن ياسر الخادم بأنّ الرضا عليه السلام كان إذا رجع يوم الجمعة من الجامع و قد أصابه العرق و الغبار رفع يديه و قال: اللهمّ، إن كان فرجي ممّا أنا فيه بالموت فعجّل لي الساعة، و لم يزل مغموماً مكروباً إلى أن قبض صلوات الله عليه.[١]

و بالتالي تحقّق له عليه السلام ذلك بلقاء الله حيث كانت إرادة المأمون بقتله عليه السلام تلتقي مع إرادته و رغبته في أن ينفض يديه من غبار و متاع هذه السلطة و الدنيا الفانية. فكان لهم ما أرادوا و أراد هو عليه السلام ذلك، لتكتب شهادته عليه السلام.

و يتحدّث أحمد بن عليّ الأنصاريّ عن سبب شهادته عليه السلام فقال: سألت أبا الصلت الهرويّ - و كان هذا من أصحابه عليه السلام - فقلت: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبّته إلى الرضا عليه السلام و ما جعل له من ولاية العهد بعده؟ فقال: إنّ المأمون إنما كان يكرمه ويحبّه لمعرفته بفضله، و جعل له ولاية العهد من بعده ليري الناس أنّه راغب في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ماازداد به فضلاً عندهم و محلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلّمين من البلدان طمعاً من أن يقطع واحد منهم فيسقط محلّه عند العلماء، و بسببهم يشتهر نقصه عند العامّة. فكان لا يكلّمه خصم من اليهود و النصارى و المجوس و الصابئين و البراهمة و الملحدين والدهرية، و لا خصم من فرق المسلمين المخالفين له، إلا قطعه وألزمه

١- **عيون أخبار الرضا** ١٥:٢ ضمن حديث ٣٤.

الحجّة، و كان الناس يقولون : والله، إنّه أولى بالخلافة من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك و يشتدّ حسده، و كان الرضاعليه السلام لا يحابي المأمون من حقّ، و كان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك، و يحقد عليه و لا يظهر له، فلمّا أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسمّ[١]، ليختم ثامن حجّة و إمام نصبه الله لخلقه في بقعة مباركة صارت معلماً و رمزاً و مزاراً للعباد، فسلام عليه يوم ولد ويوم مات و يوم يبعث حيّاً. والحمدلله ربّ العالمين و صلاته و سلامه على نبيّنا محمّد و على آله إلى قيام يوم الدين.

---

[١]- عيون أخبار الرضا ٢:٢٣٩، بحارالأنوار ٤٩:٢٩٠.

مصادر ومراجع الكتاب

١- **الإتحاف بحب الأشراف**، الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشيراوي المتوفى ١١٧١ هـ، المطبعة الأدبية بمصر.

٢- **الاحتجاج على أهل اللجاج**، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، بتعليق السيد محمد باقر الموسوي الخرسان، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٣- **الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة**، عليّ بن محمّد حبيب الماوردي الشافعي المتوفّى ٤٥٠ هـ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي - ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٤- **الأخبار الطوال**، أبوحنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفّى ٢٨٢ هـ، بتحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر، افسيت الرضي قم ١٤١٢.

٥- **الاختصاص**، أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ الملقّب بالشيخ المفيد المتوفّى ٤١٣ هـ، بتحقيق علي أكبر غفاري، منشورات مكتبة الزهراء، قم ١٤٠٢هـ.

٦- **اختيار معرفة الرجال(رجال الكشي)** أبوجعفرمحمّد بن الحسن الطبرسي المتوفّى٤٦٠ هـ، بتحقيق حسن المصطفوي، نشر كلّية الإلهيّات مشهد (دانشكده إلهيات ومعارف إسلامي) - ط الأولى ١٣٤٨ هـ. ش.

٧- **الإرشاد** في معرفة حجج الله على العباد، أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المتوفّى ٤١٣ هـ، ترجمة وشرح السيّد هاشم الرسولي المحلاتي،

انتشارات علميّة إسلامية طهران، وط أُخرى منشورات بصيرتي قم.
٨- **أسباب النزول**، أبوالحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفّى ٤٦٨ هـ ، دارالكتب العلمّية بيروت.
٩- **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهليّة والإسلام**، أبـوجعفر محمّـدبن حبيب البغدادي المتوفّى ٢٤٥ هـ ، بتحقيق سيد كسروي حسن، منشـورات محمّـد علي بيضون بيروت - ط الأولى ١٤٢٢ هـ .
١٠- **الأُصول والفروع من الكافي**، محمّد بن يعقوب الكليني المتوفى٣٢٩ هـ ، دارالكتاب الإسلاميّة طهران ١٣٨٨هـ .
١١- **الأعلام**، خيرالدين الزركلي المتوفّى ١٣٩٦ هـ ، دارالعلم للملايين بيـروت - ط السابعة ١٩٨٦ م.
١٢- **إعلام الورى بأعلام الهدى**، أبو عليّ الفضل بـن الحسـن الطبرسـي، مـن إعلام القرن السادس الهجري، صحّحه علي أكبر الغفّاري، نشر دار المعرفة بيـروت ١٣٩٩ هـ .
١٣- **أعلام الهداية**، المجمع العالمي لأهل البيتعليهم السلام قم - ط الثانية ١٤٢٥ هـ .
١٤- **الإمام عليّعليه السلام في آراء الخلفاء**، الشـيخ مهـدي فقيـه إيمـاني، ترجمـة الشيخ يحيى كمالي البحراني، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة قم ١٤٢٠هـ .
١٥- **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة**، أسد حيدر، دار الكتاب العربي بيروت - ط الثالثة ١٤٠٣ هـ .
١٦- **الإمامة وأهل البيت**، الدكتور محمّد بيوّمي مهران، مركز الغدير للدراسـات الإسلامية - ط الثانية ١٤١٥ هـ .
١٧- **الأمالي والمجالس**، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه القمّـي المتـوفّى ٣٨١ هـ ، منشورات الأعلمي بيروت ١٤٠٠هـ .
١٨- **إيلاف قريش، رحلة الشـتاء والصـيف**، فكتورسـحّاب، المركـز الثقـافي العربي بيروت ١٩٩٢ م.
١٩- **البداية والنهاية**، الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشـقي المتـوفّى ٧٧٤ هــ ، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي - ط الأُولى ١٤٠٨ هـ .

٢٠- **بحارالأنوار الجامعة**، لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمّد باقر المجلسي المتوفّى ١١١١ هـ ، مؤسّسة الوفاء بيروت و ط دارالكتب الإسلاميّة طهران.
٢١- **البلدان وفتوحها وأحكامها**، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفّى ٢٧٩، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دارالفكر بيروت ١٩٩٢ م.
٢٢- **البيعة ونظام الحكم في الإسلام**، علي أمين جابر آل صفا، الدار الإسلاميّة بيروت - ط الأولى ١٤٢٣ هـ.
٢٣- **تأويل مشكل القرآن**، محمّد بن مسلم بن قتيبة المتوفّى ٢٧٦ هـ. تحقيق السيّد أحمد صقر، دار التراث القاهرة.
٢٤- **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام**، شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفّى ٧٤٨ هـ، بتحقيق الدكتور بشّارعوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت - ط الأولى ١٤٢٤هـ.
٢٥- **تاريخ الإسلام السياسي و الاجتماعي و الثقافي**، الدكتور حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصريّة - ط السابعة ١٩٦٤، افسيت دار إحياء التراث العربي بيروت.
٢٦- **تاريخ خليفة بن خياط العصفري المتوفّى ٢٤٠هـ**، بتحقيق سهيل زكار، دار الفكر بيروت - ط الأولى ١٩٩٣م.
٢٧- **تاريخ الشعوب الإسلامية**، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين بيروت - ط السادسة ١٩٧٤ م.
٢٨- **تاريخ العقيدة الشيعيّة و فرقها**، الميرزا فضل الله بن ميرزا نصرالله المعروف شيخ الإسلام الزنجاني المتوفّى ١٣٧٣ هـ، بتحقيق غلام علي بور اليعقوبي، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد - ط الأولى ١٤٢٨هـ.
٢٩- **تاريخ الأمم والملوك**، أبو جعفر محمّد بن جعفر بن جرير الطبري المتوفّى ٣١٠هـ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، روائع التراث العربي بيروت.
٣٠- **التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول** صلى الله عليه وآله، الدكتور علي معطي، مؤسّسة المعارف بيروت - ط الأولى ١٤١٩ هـ.
٣١- **تاريخ ابن خلدون**، عبدالرحمن بن خلدون المتوفّى ٨٠٨ هـ، دارالكتب

العلميّة بيروت – ط الأولى ١٤١٣هـ .

٣٢- **تاريخ العرب في الإسلام**، جواد علي، منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٤هـ .

٣٣- **تاريخ الخلفاء**، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى ٩١١ هـ ، المطبعة العلميّة بيروت وط أُخرى بتحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد، منشورات الرضي، قم.

٣٤- **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهيّة**، الإمام محمّد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٣٥- **تاريخ العلويّين**، محمّد أمين غالب الطويل، دار الأندلس بيروت.

٣٦- **تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة**، بشير رمضان التليسي و جمال هاشم الذويب، دار المدار الإسلامي بيروت – ط الثانية ٢٠٠٤ م.

٣٧- **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المتوفّى ٢٨٤ هـ ، دار صادر بيروت.

٣٨- **التبيان في تفسير القرآن**، محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّى ٤٦٠ هـ ، بتحقيق أحمد حبيب العاملي – ط الإعلام الإسلامي قم ١٤٠٩ و ط مكتبة الأمين النجف.

٣٩- **تحفة الأبرار في مناقب الأئمّة الأبرار**، عماد الدين الطبري القرن السابع الهجري، تعريب عبدالرحيم مبارك، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد – ط الثانية ١٤٢٧ هـ .

٤٠- **تحفة الوزراء**، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي المتوفى ٤٢٩ هـ ، تحقيق حبيب الراوي و ابتسام الصفّار، دار الآفاق العربيّة القاهرة – ط الأولى ١٤٢٠هـ .

٤١- **ترتيب جمهرة اللغة**، محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفّى ٣٢١هـ ، تصحيح و ترتيب عادل البدري، مجمع البحوث الإسلامية مشهد ط الأولى ١٤٢٦ هـ .

٤٢- **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد بن جزى الكلبي المتوفّى ٧٤١هـ ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢ هـ، و ط منشورات أُم القرى القاهرة.

٤٣- **التنبيه و الإشـراف**، علـيّ بـن الحسـين المسـعودي المتـوفى ٣٤٥ هــ، بتصحيح عبد الله الصاوي، دار الصاوي القاهرة.

٤٤- **تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي**، القرن الثالـث الهجـري، مؤسّسـة الأعلمـي بيروت - ط الأولى ١٤١٢هـ .

٤٥- **تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)** ، شمس الدين محمد بـن أحمـد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المتوفّى ٦٧١ هـ، نشر دار الكاتب العربـي بيـروت ودار الغد القاهرة.

٤٦- **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة**، الشـيخ المفيـد، محمّـد بـن الحسـن الطوسي ٤٦٠ هـ، تصحيح السيّد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران.

٤٧- **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)** أبو عيسى محمّد بن عيسى المتوفّى ٢٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٨- **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسـلام**، الشـيخ محمّـد حسـن النجفـي المتوفّى ١٢٦٦هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيـروت و ط دار الكتـب الإسـلاميّة طهران.

٤٩- **حلية الأولياء**، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بـن أحمـد الإصـفهاني المتـوفّى ٤٣٠ هـ، ط بيروت.

٥٠- **الخصال**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي المتوفّى ٣٨١ هـ، نشـر جماعـة المدرّسين في الحوزة العلميّة قم.

٥١- **الخلافة العبّاسيّة في عصر الفوضى العسـكريّة**، الـدكتور فـاروق عمـر، منشورات مكتبة المثنّى بغداد - ط الثانية ١٩٧٧ م.

٥٢- **دراسات في الحضارة الإسلاميّة**، مجموعة من الكتّـاب، الهيئـة المصـريّة العامّة للكتّاب .١٩٨٥

٥٣- **دراسات في تاريخ المدن العربيّة الإسلاميّة**، عبـد الجبّـار نـاجي، شـركة المطبوعات للنشر بيروت - ط الأولى .٢٠٠١

٥٤- **دور أئمّة أهل البيت في الحياة السياسيّة**، عادل الأديب، دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤٠٨هـ .

٥٥- **الدولة العبّاسيّة، محاضرات تاريخ الأُمم الإسلاميّة**، الشيخ محمّد الخضري، دار المعرفة بيروت - ط السابعة ٢٠٠٥م.

٥٦- **رجال حول أهل البيت**، الموسوعة التاريخيّة الميسّرة، محمّد فوزي، دار الصفوة بيروت - ط الثالثة ١٩٨١.

٥٧- **الرضا و المأمون و ولاية العهد و صفحات من التاريخ العبّاسي**، حسن الأمين، دار الجديد بيروت - ط الأولى ١٩٩٥م.

٥٨- **رسالة في الولاية السياسيّة**، الدكتور فرح موسى، دار الهادي بيروت - ط الأولى ٢٠٠٠ م.

٥٩- **الرسول المصطفى و مقولة الرأي**، باسم الحلّي، موسوعة الرسول المصطفى مشهد.

٦٠- **سفينة البحار و مدينة الحكم و الآثار**، عبّاس القمّي المتوفّى ١٣٥٩هـ ، تحقيق مجمع البحوث الإسلاميّة مشهد - ط الأولى.

٦١- **السيف و السياسة في الإسلام**، صالح الورداني، دار القارئ بيروت - ط الثانية ١٤٢٢هـ .

٦٢- **سيرة الأئمّة الاثنى عشر**، هاشم معروف الحسني، دار القلم بيروت - ط الثالثة ١٩٨١م.

٦٣- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفّى ١٠٨٩هـ ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٦٤- **شرح الزرقاني** محمّد بن عبد الباقي بن يوسف المتوفّى ١١٢٢هـ ، **على موطّأ مالك**، دار المعرفة بيروت - ط الأولى ١٤٠٧هـ .

٦٥- **شرح نهج البلاغة**، عبد الحميد بن محمّد بن أبي الحديد المتوفّى ٦٥٦ هـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم، نشر مكتبة المرعشي النجفي قم ١٤٠٤هـ .

٦٦- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، أحمد بن علي القلقشندي المتوفّى ٨٢١ هـ ، تحقيق الدكتور يوسف علي طويل وآخرين،دار الكتب العلمية بيروت - ط

الأولى ١٤٠٧هـ .

٦٧- **صحيح مسلم** بن الحجّاج النيسابوري المتوفّى ٢٦١ هـ ، دار الفكر و دار إحياء التراث العربي بيروت.

٦٨- **صور من حياة الرسول**، أمين الدويدار، دار المعارف مصر - ط الرابعة.

٦٩- **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، عليّ بن موسى بن طاووس المتوفّى ٦٦٢ هـ ، بتحقيق السيّد مهدي الرجائي، مؤسّسة البلاغة بيروت - ط الأولى ١٤١٩هـ .

٧٠- **العبّاسيّون في سنوات التأسيس**، الدكتور عصام سخنيني، المؤسّسة العربيّة للدراسات و النشر بيروت - ط الأولى ١٩٩٨م.

٧١- **العراق في العصر الأُموي من الناحية االسياسيّة و الإداريّة**، ثابت إسماعيل الراوي، منشورات مكتبة النهضة بغداد - ط الأُولى ١٩٦٥م.

٧٢- **العقيدة و السياسة**، لؤي صافي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا - ط الثانية ١٩٩٦م.

٧٣- **علل الشرائع**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي، المكتبة الحيدريّة النجف ١٣٨٥هـ .

٧٤- **العلاقات العبّاسيّة البيزنطيّة**، موفّق سالم نوري، وزارة الثقافة بغداد ١٩٩٢م.

٧٥- **علم أُصول القانون**، عبدالله مصطفى - ط بغداد.

٧٦- **علم أُصول القانون**، رياض القيسي، بيت الحكمة بغداد ٢٠٠٢م.

٧٧- **عيون أخبار الرضا**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي، نشر رضا مشهدي قم.

٧٨- **الغارات**، إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي المتوفّى ٢٨٣هـ ، بتحقيق جلال الدين المحدّث الأرموي، سلسلة انتشارات الآثار الوطنيّة (أنجمن ملّي) طهران.

٧٩- **الغيبة**، محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّى ٤٦٠ هـ ، مكتبة نينوى الحديثة طهران.

٨٠- **فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في النجف**، النقيب غياث الدين السيّد عبد الكريم بن طاووس المتوفّى ٦٩٣ هـ ، منشورات الرضي قم.

٨١- **فلاح السائل**، عليّ بن موسى بن طاووس المتوفّى٦٦٤ هـ . - ط المكتب الإسلامي قم.

٨٢- **الفهرست**، محمّد بن إسحاق بن محمّد بن النديم الورّاق المتوفّى ٤٣٨ هـ ، تحقيق رضا تجدد طهران، وط دار المعرفة بيروت.

٨٣- **الفضائل**، شاذان بن جبرئيل القمّي المتوفّى ٥٠٢ هـ ـ ط قم.

٨٤- **قبيلة قريش و أثرها في الحياة العربيّة قبل الإسلام**، الدكتور خضير عبّاس الجميلي، منشورات المجمع العلمي العراقي بغداد.

٨٥- **قريش من القبيلة إلى الدولة المركزيّة**، خليل عبد الكريم، سينا للنشر القاهرة - ط الأولى ١٩٩٣م.

٨٦- **الكامل في التاريخ**، أبو عليّ بن أبي الكرم محمّد بن عبد الكريم، المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفّى ٦٣٠هـ ، تصحيح محمّد يوسف الدقّاق، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة بيروت - ط الثالثة ١٩٩٨م.

٨٧- **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلّي المتوفّى ٦٩٣ هـ ، نشر مكتبة بني هاشمي تبريز ١٣٨١هـ .

٨٨- **كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر**، أبو القاسم عليّ بن محمّد ابن عليّ الخزّار، القرن الرابع الهجري، انتشارات بيدار قم.

٨٩- **الكنى و الألقاب**، عبّاس القمّي، المطبعة الحيدريّة النجف - ط الأولى ١٣٧٦هـ .

٩٠- **لسان العرب**، جمال الدين محمّد بن مكرّم ابن منظور الأفريقيّ المتوفّى ٧١١ هـ ، دار الفكر بيروت .

٩١- **مجمع الزوائد و منبع الفوائد**، نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي المتوفّى ٨٠٧ هـ ، نشر دار الكتاب بيروت - ط الثانية ١٩٦٧م.

٩٢- **ما منّا إلا مقتول أو مسموم**، جعفر البيّاتي، نشر كوثر كوير ١٤٢٤ هـ ، ط

الأولى.

٩٣- **المعارضة السياسيّة في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام**، عبد الزهراء عثمان محمّد، دار الهادي بيروت - ط الأولى ١٤٢٤هـ.

٩٤- **المحاسن و المساوىء**، إبراهيم بن محمّد البيهقي من أعلام القرن الرابع الهجري، دار بيروت ١٤٠٤ هـ.

٩٥- **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، أحمد بن عبد الله القلقشندي المتوفّى ٨٤١ هـ، بتحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، وزارة الإعلام الكويت و ط عالم الكتب بيروت.

٩٦- **مجمع البحرين و مطلع النيّرين**، فخر الدين الطريحي المتوفّى ١٠٨٥هـ، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، المكتبة الرضوية طهران.

٩٧- **المغني**، موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، المتوفّى ٦٢٠هـ، دار الفكر بيروت ١٤٠٤هـ، ط الأولى.

٩٨- **مثير الأحزان في أحوال الاثني عشر أُمناء الرحمن**، الشيخ شريف الجواهري المتوفّى ١٣١٤ هـ، منشورات الرضي قم - ط الثانية ١٣٦٢هـ.ش.

٩٩- **معالم الحكومة الإسلاميّة**، جعفر سبحاني، مكتبة أمير المؤمنين إصفهان.

١٠٠- **معجم رجال الحديث**، السيّد أبو القاسم الخوئي، مطبعة الآداب النجف ١٣٩٨هـ.

١٠١- **مقاتل الطالبيّين**، أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد الإصفهاني المتوفّى ٣٥٦ هـ، بتحقيق أحمد صقر - ط دار المعرفة بيروت.

١٠٢- **المقنعة**، الشيخ المفيد، نشر جماعة المدرّسين للحوزة العلميّة بقم.

١٠٣- **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مجموعة من الكتّاب، دار أُسامة للنشر و التوزيع عمّان الأردن - ط الأولى ٢٠٠٦ م.

١٠٤- **موسوعة الحضارة العربيّة**، الدكتور قصي الحسين، دار مكتبة الهلال و دار البحار بيروت - ط الأولى ٢٠٠٥م.

١٠٥- **موسوعة علماء الكيمياء**، موريس شربل، دار الكتب العلميّة بيروت.

١٠٦- **المعارف**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفّى ٢٧٦ هـ، تحقيق ثروت

عكاشة - ط وزارة الثقافة و الإرشاد القومي القاهرة، أُفسيت منشورات الرضي قم.

١٠٧- **مسند** أحمد بن حنبل المتوفّى ٢٤١ هـ، دار صادر بيروت.

١٠٨- **مفاتيح العلوم الإنسانيّة**، الدكتور خليل أحمد خليل، دار الطليعة بيروت ١٩٨٩م.

١٠٩- **مروج الذهب و معادن الجوهر**، عليّ بن الحسين المسعودي المتوفّى ٣٤٦ هـ، منشورات دار الهجرة قم - ط الثانية ١٤٠٤هـ.

١١٠- **من لا يحضره الفقيه**، الصدوق، دار الكتب الإسلاميّة طهران.

١١١- **المقالات و الفرق**، سعد بن عبد الله الأشعريّ القميّ المتوفّى ٢٩٩ أو ٣٠١ هـ، تحقيق الدكتور محمّد جواد مشكور، مجموعة ميراث إيران و إسلام وزارة الثقافة إيران - ط الثانية ١٣٦٠هـ ش.

١١٢- **مناقب آل ابي طالب**، محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندراني المتوفّى ٥٨٨ هـ، ط المطبعة العلميّة قم.

١١٣- **معاني الأخبار**، الصدوق - ط جماعة المدرّسين قم.

١١٤- **مجمع البيان في تفسير القرآن**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفّى ٥٤٨ هـ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي قم ١٤٠٣ هـ، افسيت مطبعة العرفان صيدا.

١١٥- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفّى ٤٠٥ هـ، ط دار المعرفة بيروت.

١١٦- **الميزان في تفسير القرآن**، محمّد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلاميّة طهران.

١١٧- **نظام الإسلام السياسي**، باقر شريف القرشي، دار التعارف بيروت - ط الثانية ١٩٧٨م.

١١٨- **نظام الإسلام**، الحكم و الدولة، محمّد المبارك، منظّمة الإعلام الإسلامي طهران ١٤٠٤هـ.

١١٩- **نهج البلاغة**، جمعه الشريف الرضي من خطب و أقوال عليّ عليه السلام، بتصحيح و شرح صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة قم.

١٢٠- **نظريّة عدالة الصحابة و المرجعيّة السياسيّة في الإسلام**، المحامي أحمد حسين يعقوب، شركة شمس المشرق للخدمات الثقافيّة بيروت - ط الأولى ١٤١٣ هـ.

١٢١- **واقع التقيّة عند المذاهب و الفرق الإسلاميّة من غير الشيعة الإماميّة**، ثامر هاشم حبيب العميدي، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة - ط الأولى ١٤١٦هـ.

١٢٢- **ولاية العهد للإمام الرضا**، حسن طاهر الياسري، دار المرتضى بيروت ١٤٢٥هـ.

١٢٣- **وصايا الخلفاء و الأُمراء السياسيّة و الإداريّة في العصر العبّاسي الأوّل**، الدكتور محمّد جاسم الحديثي، منشورات المجمع العلمي العراقي بغداد ٢٠٠٢ م.

١٢٤- **وقعة صفّين**، نصر بن مزاحم المنقري المتوفّى ٢١٢ هـ تحقيق عبدالسلام محمّد هارون المؤسّسة العربية الحديثة القاهرة - ط الثانية ١٣٨٢ هـ، أُفسيت مكتبة المرعشي النجفي قم ١٤٠٣ هـ.

١٢٥- **الوزراء و الكتّاب**، أبو عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشياري، المتوفّى ٣٣١ هـ، تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي القاهرة - ط الأولى ١٣٥٧هـ.

١٢٦- **ينابيع المودّة**، الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفيّ المتوفّى ١٢٩٤هـ، نشر دار الكتب العراقيّة، محمّد اعتماد كتبي بغداد ١٩٦٦م - ط الثامنة.

الفهرس

المقدّمة ٣
فلسفة الحكم و الدولة ٢١
الإمامة و الحكم و القيادة ٢٦
مراتب الإمامة و الإمام ٣١
الإمامة و أُصول الدين ٣٩
المواجهات و التحدّيات للأئمّة ٤٦
المعركة الثقافيّة و حرب النصوص ٥٢
المواجهة القرشيّة لعليّ عليه السلام ٦٠
الإسلام الأموي ٦٧
السلطة الأمويّة والحسن عليه السلام ٧١
مواجهة السلطة الأُمويّة مع الحسين عليه السلام ٧٤
ثورة الحسين بن عليّ عليه السلام ٧٨
عهد السجاد عليه السلام ٨٥
عهد الباقر عليه السلام ٨٩
عهد الصادق عليه السلام ٩٢
عهد الكاظم عليه السلام ١٠٢
السياسة العبّاسيّة مع العلويّين ١١٦
عصر الرضا عليه السلام ١٢١

الرضا عليه السلام من الولادة إلى الإمامة........................ ١٢٧
النصّ على الرضا عليه السلام ١٣٠
العمل مع السلاطين و الحكّام ١٣٤
المأمون و محنة الرضا عليه السلام بولاية العهد........................ ١٤٠
الوزارة في العصر العبّاسي ١٥٠
وزارة الفضل و دورها في رسم الأحداث........................ ١٥٢
علل و أسباب عداء الفضل للرضا عليه السلام ١٥٧
مؤامرة البيعة و ولاية العهد ١٦٠
إخلاص الرضا عليه السلام و مؤامرات رجال السلطة........................ ١٧٠
ولاية العهد والفتن في البيت العبّاسي........................ ١٨٦
الغدر العبّاسي الموروث ١٩٣
حنكة المأمون ٢٠٣
ولاية العهد و البيعة في نظر المؤرّخين........................ ٢٠٧
صورة العهد الذي كتبه المأمون للرضا عليه السلام ٢١٤
صورة ما كان على ظهر العهد بخطّ الرضا عليه السلام ٢١٨
توقيع الرضا عليه السلام و صورة الشهادة على العهد ٢٢٠
كتاب الحباء و الشرط من الرضا عليه السلام إلى العمّال في شأن الفضل ٢٢٢
صورة نسخة الكتاب.. ٢٢٦
توقيع الرضا عليه السلام ٢٢٩
بنو العبّاس كما وصفوا أنفسهم ٢٢٩
صورة نصّ الكتاب ٢٣١
العبّاسيّون و التشيّع ٢٣٩
لماذا قتلوا الرضا عليه السلام ٢٥٠
مصادر ومراجع الكتاب.. ٢٥٦
الفهرس.. ٢٦٧

al-Imām al-Rizā (A.S.)
Bayn Nuṣuṣ al-Risāla wa Sultat al-Ra'y wa al-Qabīla

يحظى هذا الكتاب بأهمية فائقة نظراً لارتباطه بحقبــة مهمة من تاريخ الدولة العباســيّة ، ولكون الإمام الرضا عليه السلام قد عايش تلك الفترة و كان له تأثير كبير في ســياق هذه الأحـــداث وبصفته الإمام المعصوم كانت كلّ خطوة من خطواته مشمولة بالعناية الإلهية .



Islamic Research Foundation
Astan Quds Razavi
Mashhad - IRAN

